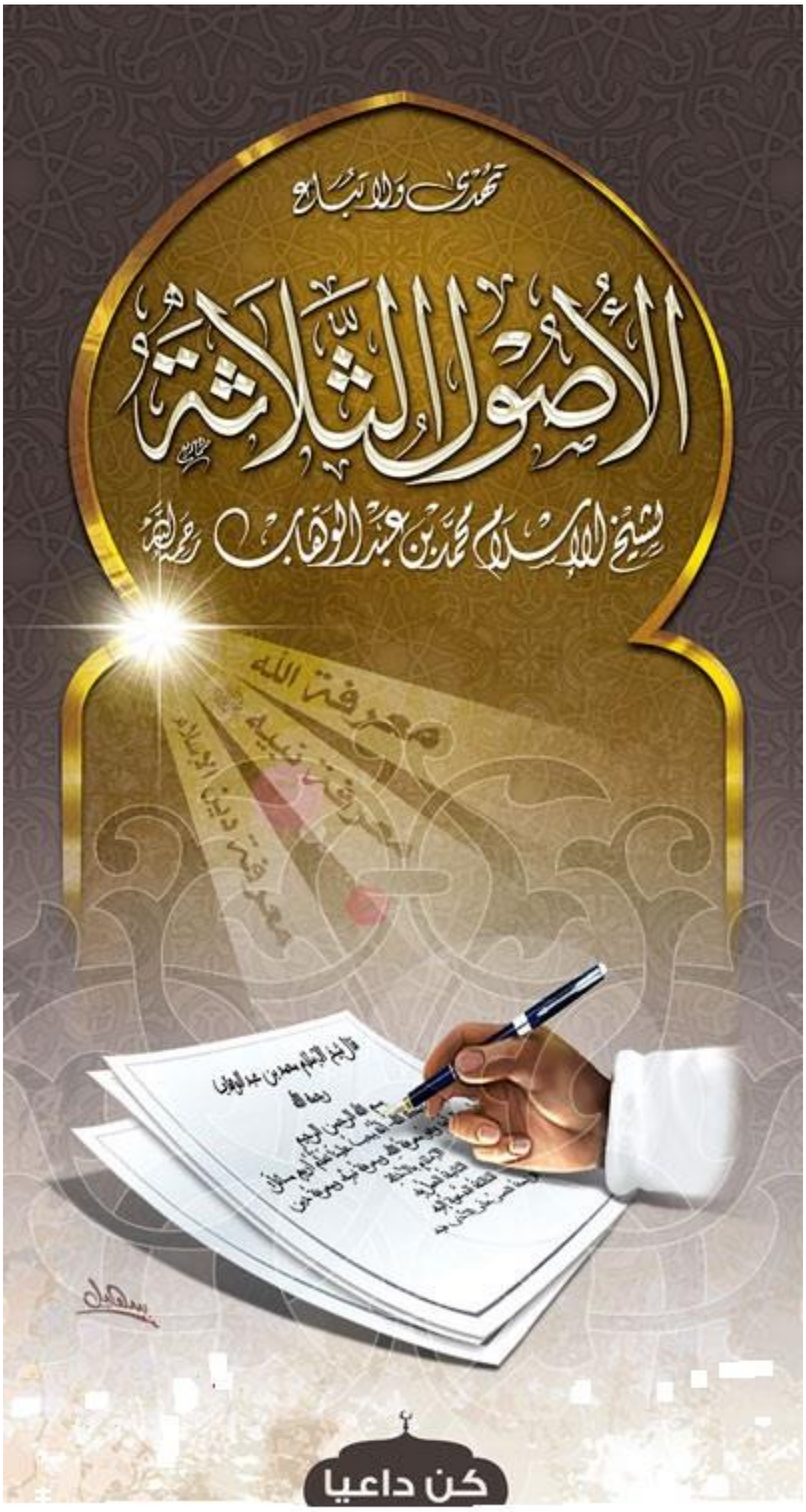

الأصول الثلاثة
لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
معرفة الله
معرفة نبيه
معرفة دين الإسلام
كن داعيا

شرح الأصول الثلاثة

(الثلاثة أصول)

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

مُحَمَّد بن سليمان التميمى

– رحمه الله تعالى –

١١١٥ – ١٢٠٦ هـ

جمع وإعداد

عبد الله بن محمد الغليفى

رحمه الله تعالى

غليفة – مكة المكرمة

كتاب ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام الإمام المجدد

مُحَمَّد بن عبد الوهاب المشرفي التميمي

-رحمه الله تعالى-

ينبغي لنا أن نحرص على هذه الرسالة؛ تعليما لها للعوام، وللنساء في البيوت، وللأولاد ونحو ذلك، على حسب مستوى من يخاطب في ذلك، وقد كان علماؤنا رحمهم الله تعالى يعتنون بثلاثة الأصول هذه تعليما وتعلما، بل كانوا يلزمون عددا من الناس بعد كل صلاة فجر أن يتعلموها، أن يحفظوا هذه الأصول ويتعلموها، وذلك هو الغاية في رغبة الخير، ومحبة الخير لعباد الله المؤمنين، إذْ أعظم ما تُسدي للمؤمنين من الخير، أن تسدي لهم الخير الذي ينجيهم حين سؤال الملكين للعبد في قبره، لأنه إذا أجاب جوابا حسنا -جوابا صحيحا- عاش بعد ذلك سعيدا، وإن لم يكن جوابه مستقيما ولا صحيحا عاش بعد ذلك، والعياذ بالله على التوعد بالشقاء والعذاب.[صالح آل الشيخ]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢]﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها،وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾[النساء :١]﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [الأحزاب :٧٠ ، ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَّد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار

الحمد لله رب العالمين الذي بعث رسوله بالهدى ودين الحق، فبلغ البلاغ المبين، وقرر أصول هذا الدين، وترك الأمة على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وجعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يجددون للأمة ما اندرس من معالم دينها ويكشفون شبهات أهل الزيغ والردى.

والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

فإن الأصول الثلاثة رسالة صغيرة الحجم قليلة الألفاظ، إلا أن المؤلف رحمه الله قد قرر فيها عدداً من أصول الدين التي لا يسع المسلم جَهْلُها.

فقرر الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبد في قبره وعليها معقد فلاحه أو خسارته، فبين من هو الرب وكيف تتعرف عليه وما الذي يجب له جل وعلا، ثم بين من هو الرسول عليه الصلاة والسلام ونَسَبُهُ وما الذي يجب له، ثم بين حقيقة دين الإسلام، كل هذا بينه بأسلوبٍ وعبارةٍ واضحة مع قرنه بالأدلة من الكتاب والسنة.

وعند عكوفى على دراسة هذه الرسالة ومدارستها مع بعض الإخوة الكرام وطلبة العلم النجباء الذين حرصوا على الطلب بمنهجية علمية محددة وتعلم أصول المسائل صغارها قبل كبارها كما هو مذهب السلف الصالح في التلقى في أثناء ذلك وقفت على شروح كثيرة لهذه الرسالة وهذا يدل على اعتناء العلماء والدعاة وطلبة العلم بشرح الأصول الثلاثة والإعتناء بها واستخراج الفوائد منها كل ذلك بغية تقريبها لطلاب العلم .

ومن أفضل الشروح التى وقفت عليها حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله وأكثرها من تقريرات الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ،وشرح الشيخ بن باز والشيخ بن عثيمين والشيخ بن جبرين رحمهم الله وغفر لهم وكذلك من أنفعها شرح الشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن البراك والشيخ الغنيمان حفظهم الله تعالى .

ومن أفضل الشروح تحقيقاً وتفصيلاً وتفريعاً شرح الشيخ صالح آل الشيخ وشرح الشيخ على بن خضير وشرح الشيخ أحمد بن عمر الحازمى فهذه الثلاث من أفضل ماوقفت عليه من شروح للأصول الثلاثة ،وكذلك شرح الشيخ عبد الله بن حمود الفريح تيسير الوصول وشرح الشيخ سليمان بن مُحَمَّد اللهيميد وشرح الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الصقعوب وشرح الشيخ إبراهيم بن الفقيه السريحى على هيئة سؤال وجواب وكذلك شروح علماء ودعاة المدينة المنورة – على منورها أفضل الصلاة والسلام – شروح مفيدة قيمة لاتخلوا من فائدة .

وقد حرصت في هذا الشرح على الجمع بين كل هذه الفوائد والفرائد وجعلت الوجازة هى الأصل والشروح الباقية له تبع حتى تحصل الفائدة ويتحقق الهدف الذى من أجله صنف الشيخ الإمام هذه الرسالة وهو بيان أصل الدين وحقيقة الإسلام وتفسير معنى توحيد الربوبية والذات والأسماء والصفات و توحيد الألوهية والعبادة والنسك والولاء والبراء والحكم والتشريع وعلى هذا يدور دين الإسلام ومن فهم الدين بشموليته فهم معنى وحقيقة لاإله إلا الله مُحَمَّد رسول الله وفهم حقيقة العبودية لله رب العالمين.

ولذلك عند الشروع في شرح الأصول الثلاثة ينبغي مراعاة عدد من الأمور:

١/ أن تشرح الألفاظ وتفسر الآيات من غير إطالة.

٢/ أن تغوص في دلالاتها وأسرارها وتبين أثر ذلك في القلب وقوة الإيمان واليقين.

٣/ أن تحاول غرس هذه المعاني في القلوب عبر ما تطرحه من أمثلة وشواهد.

فمثلاً:

- في الأصل الأول تبين قدرة الله وعظمته وصفاته التي تملأ القلب محبةً له وخوفاً وتألهاً وإجلالاً وإخلاصاً.
- وفي الرسول ﷺ تبين شيئاً من أخلاقه وجهاده وزكائه وفضله وحلمه وعلمه، وما ينبغي أن يعامل به وحال السلف مع ذلك؛ لتمتلئ القلوب بمحبته وإجلاله ومن ثم الاقتداء به واتباعه وعدم مخالفته.
- وهكذا في الكلام على الإسلام، تذكر مزاياه ونعمة الله على العبد به وبيان فضله بمقارنته بغيره من **الأديان الأخرى ليظهر الفرق من حيث :**

١ – التوحيد.

٢– يسر التكاليف.

٣– وربانية الأحكام.

٤ – وشمولية المنهج.

٥ – وعالمية الرسالة.

٦ – وأبدية الديانة وأنها خاتمة الأديان.

٧– والثواب الأخروي.

٨– والتمكين الدنيوي(الصقعبى)

قررت ثلاثة الأصول توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة دين الإسلام. ولكن قف عند هذه الألفاظ واطلب ما تضمنت من العلم والعمل. ولا يمكن العلم إلا أنك تقف عند كل مسمى منها. ا؟.

ومن عجز لجهله أو عجمته عن معرفة ذلك فلا بد أن يعتقد بقلبه، ويقول بلسانه حسب طاقته، بعد أن يفسر له (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأن ما جاء به حق ،وكل دين سواه باطل.(مقدمة الحاشية)

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع الخلق بهذا الشرح ويجعله خالصا لوجه الكريم ولايحرمنا أجر نشر توحيده ودعوة الناس إليه وتعلق القلوب به سبحانه

كما نسأله سبحانه أن يجعلنا من أنصار دينه وسنة نبيه وعباده الموحدين .

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام الإمام المجدد رحمه الله تعالى

هو العلامة المجدد شيخ الإسلام أبو الحسين مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي مشرف آل معضاد المهيبي – من بني حنظلة بن مالك التميمي – فهو تميمي رحمه الله تعالى.

وُلِدَ الإمام شيخ الإسلام المجدد في (العيينة) من قرى اليمامة عام خمسة عشر ومائة وألف من الهجرة النبوية، نشأ في أحضان أسرة صالحة فاضلة، وبين أبوين كريمين، وإذا نشأ الابن بين أبوين كريمين صالحين فإنه سيكون له من الأثر في الابن ما هو ملاحظ مشهود، فوالده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان تُوفِّيَ سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف من الهجرة النبوية، هو قاضي (العيينة)، ومن علماء نجد المعروفين. وجدّه سليمان بن علي هو مفتي نجد آنذاك، فهكذا نرى أن والده من علماء نجد، وجده هو مفتي نجد. هذه البيئة الصالحة هيَّأت لهذا الإمام ولهذا الابن الجو المناسب للعلم، ودفعه إلى الإقبال على العلم في وقتٍ مبكر، وشجعه على طلبه والانقطاع إليه مع ما وهبه الله جل وعلا من الفهم الثاقب، والذكاء الوافر، والقدرة على الحفظ مع ما ذُكر فيما سبق، ولذلك قيل: إنه حفظ القرآن دون العاشرة، يعني لم يبلغ العاشرة من سِنِّه، وأخذ عن كثير من علماء بلده ورحل وارتحل إلى الحجاز والبصرة والإحساء وغير ذلك.

له مشاركات رحمه الله في فنون عديدة، كتب وصنَّف ودرَّس مع ما كان فيه من تحمل لأعباء الدعوة التي قام بها رحمه الله تعالى، وهي الدعوة السلفية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة بالجهاد بيده كما هو معلوم.

مات رحمه الله في أواخر سنة ست ومائتين وألف من الهجرة النبوية، عن إحدى وتسعين سنة قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة.

وصف المتن:

رسالة "ثلاثة الأصول وأدلتها" للإمام المجدد شيخ الإسلام/ مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف التميمي، رسالة مهمّة لكل مسلم، وكان علماؤنا يعتنون بها شرحا، في أول ما يشرحون من كتب أهل العلم ، ذلك لأن فيها الجواب عن أسئلة القبر الثلاث؛ ألا وهي سؤال الملكين العبدَ عن ربه وعن دينه وعن نبيه، يعني معرفة العبد ربه، وهو معبوده، ومعرفة العبد دينه؛ دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه عليه الصلاة والسلام، فمن هاهنا جاءت أهمية هذه الرسالة؛ لأن فيها من أصول التوحيد والدين الشيء الكثير .

وللشيخ -رحمه الله- رسالة أخرى بعنوان الأصول الثلاثة، وهي رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ ليعلمها الصبيان والصغار؛ تلك يقال لها الأصول الثلاثة، وأمَّا ثلاثة الأصول فهي هذه التي نقرأها، ويكثر الخلط بين التسميتين، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول، أو الأصول الثلاثة، لكن تسميتها المعروفة أنها "ثلاثة الأصول وأدلتها."

رسالة ثلاثة الأصول، رسالة مهمّة لكل مسلم، وكان العلماءُ -أعني علمائنا- يعتنون بها شرحا، في أول ما يشرحون من كتب أهل العلم، ذلك؛ لأن فيها الجواب عن أسئلة القبر الثلاث؛ ألا وهي سؤال الملكين العبد عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، وهي ثلاثة الأصول يعني معرفة العبد ربه؛ وهو معبوده، ومعرفة العبدِ دينه؛ دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه عليه الصلاة والسلام، فمن هاهنا جاءت أهمية هذه الرسالة؛ لأن فيها من أصول التوحيد والدين الشيء الكثير.

هذه المقدمات التي قدمتُ بها، أردتُّ منها أن أرشدك إلى أن العلم لا يُنال مرة واحدة، وإنما يُنال العلم على مر الأيام والليالي، كما قال ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى، فيما رواه ابن عبد البر في كتاب الجامع قال: "من رام العلمَ جملة ذهب عنه جملة، إنما يُطلب العلم على مرِّ الأيام والليالي" وهذا حق، العلم يبدأ بتحصيل صغاره قبل كباره، إذا حصلت صغار المسائل قبل الكبار فأنت على طريق العلم، وأما إذا ابتدأت بالكبار دون معرفة الصغار؛ صغار المسائل؛ واضحات المسائل، وابتدأت بالكبار التي فيها خلاف، تحتاج إلى بحث، تحتاج إلى ترتيب، تنازع العلماء فيها، كما هو ديدن بعض طلبة العلم، أو بعض المبتدئين في العلم، فإنه

يذهب عنك العلم، لهذا أأكد على ضرورة تأصيل العلم والسير فيه خطوة فخطوة، وإنما يطلب العلم على مر الأيام والليالي:اليوم علم وغدا مثلُه من نُخب العلم التي تُلتقط يُحصِّل المرء بها حكمة وإنما السيل اجتماع النقط وهذا واقع وقد ذكر الخطيب البغدادي بإسناده في كتاب الجامع ببيان أدب السامع، ذكر حكاية عن أحد رواة الأحاديث، بأنه طلب العلم، وحرص على لقاء الشيوخ، وأخذ عنهم، لكنه لم يحفظ، مرت عليه الأيام ولم يحفظ، لم يفهم، ومضى الوقت وهو على هذا فظن أنه لا يصلح للعلم فترك العلم، فبينما هو يسير مرة إذا بماء يتقاطر على صخرة، وهذا الماء قد أثَّر في الصخرة، فحفر فيها حفرة، فنظر متأملا فقال: هذا الماء على لطافته أثر في هذا الصخر على كثافته، فليس العلم بألطفَ من الماء، يعني بأخف من الماء، وليس قلبي وعقلي بأكثف من الصخر، ورجع يطلب العلم من جديد، وحصَّل وأصبح من رواة الحديث الذين لهم شهرة، إذن فالعلم يحتاج إلى مواصلة ما نيأس نواصل، نواصل، نحفظ، ندارس، لكن ينبغي بل يجب أن يكون على أصوله خطوة فخطوة، ومن بدأ من الأهم ثم أعقبه بالمهم، فإنه يحصل إن شاء الله تعالى.(آل الشيخ)

وعلى كُلٍّ الظاهر أن هذه الرسالة هي أطول الرسالات المختصرة في بيان الأصول الثلاثة، أطول الرسالات المؤلفة في بيان الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها العبد في قبره، وذكر ذلك الدكتور صالح العبود في كتابه عقيدة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب السلفية، وجعلها كلها أسماء لمسمى واحد، وإن كان الظاهر أن ثَمَّ فَرْقًا، لكنه لا يبنى عليه كبير فائدة.

الرسالة كما ذكرنا اسمها، أو سماها المصنف بـ ((الأصول الثلاثة)) هكذا قال: فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم .. إلى آخره؟ ما الأصول الثلاثة؟ إذًا سماها ((الأصول الثلاثة)). وسماها كذلك ابن القاسم رحمه الله تعالى في حاشيته، قال: ((حاشية ثلاثة الأصول))، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله كذلك قال: ((شرح ثلاثة الأصول))، وكذلك الشيخ بن باز رحمه الله تعالى، وقد سمى هو مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله سَمَّى الرسالة نفسها بـ ((ثلاثة الأصول))، سماها ((الأصول الثلاثة))، وسماها أيضًا ((ثلاثة الأصول))، قال: قد قررت في ثلاثة الأصول توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة الدين.

مدخل إلى الكتاب

المصنف رحمه الله ذكر في الدرر المجلد الأول أربع رسائل تقريبا كلها تتكلم عن ثلاثة أصول ، وجامع الدرر رحمه الله جعلها متتابعة ابتداء من ص ١٢٥ إلى ص ١٥٨ ، أطولها الرسالة الأول من ص ١٢٥ إلى نهاية ص ١٣٦ ، وهي الرسمية المنشورة باسم الأصول الثلاثة ، وقد نص المصنف على اسمها فقال : ١ / ١٢٧ فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه مُحَمَّداً ﷺ ، ثم سردها . وهذه الرسالة فيها زيادة ذكر الطاغوت ورؤسه وزاد في أولها تعلم ثلاث مسائل وفي آخرها ذكر مسائل اليوم الآخر .

والثانية أقل من الأولى وهي من ص ١٣٧ إلى نهاية ص ١٤٣ . وزاد فيها ذكر نوعي التوحيد باختصار . الربوبية والألوهية . ، ولم يذكر فيها مسائل الطاغوت ولا اليوم الآخر . ولا أصول الإيمان الستة .

أما الثالثة من ص ١٤٧ إلى ١٥١ . فقد كتبها متأخرا في الدرعية بطلب من الأمير : عبد العزيز بن مُحَمَّد بن سعود، طلب من الشيخ رحمه الله، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الدين، فكتب هذه، وأرسلها عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها ، وهي التي سماها المصنف ثلاثة أصول كم في النص التالي ١ / ١٤٧ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد : فاعلموا وفقكم الله لمراضيه، وجنبكم طريق معاصيه، أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة : معرفة ثلاثة أصول، والعمل بهن . ثم ذكرها وهي : الأصل الأول : في معرفة العبد ربه، ثم ذكر ذلك ، الأصل الثاني : في معرفة دين الإسلام ، الأصل الثالث : في معرفة نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم . ولم يذكر فيها مسائل الطاغوت ولا اليوم الآخر . ولا أصول الإيمان الستة .

أما الرابعة والأخيرة من ص ١٥١ إلى ١٥٨ ، فذكر نوعي التوحيد باختصار . الربوبية والألوهية . ،وذكر أصول الإيمان الستة مختصرا ، لكن فيها بعض الألفاظ العامة مثل كلمة (ايش ؟) وهي بمعنى ماذا ؟ .

وفي المقدمة مسائل

المسألة الأولى : (اسم الكتاب) سماه المصنف بالأصول الثلاثة فقال : في الدرر ١ / ١٢٧ فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه مُحَّداً ﷺ ، ثم سردها .

أما الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع الدرر السنية قال في حاشيته : حاشية ثلاثة الأصول ، مما يدل على أنه يرى أن اسمها ثلاثة الأصول ، وكذا في مجموع مؤلفات الشيخ مُحَّد في القسم الأول في العقيدة ص ١٨٣ سُميت أيضا ثلاثة الأصول ، وكذا شيخنا مُحَّد العثيمين رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خيرا في شرحه قال : شرح ثلاثة الأصول .

والذي يظهر لي أن كل ما سبق ليس بدقيق بل اسمها الأصول الثلاثة لأن هذا هو تسمية المصنف كما نص على ذلك وذكرنا كلامه قبل اسطر ، حيث قال : في الدرر ١ / ١٢٧ فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه مُحَّداً ﷺ ، ثم سردها .

وأيضا الذي يظهر أن المصنف لا يهتم كثيرا بالتفريق بين اسم الأصول الثلاثة أو ثلاثة الأصول ، ولذا في الدرر ١ / ١١٧ في رد على رسالة جاءته وفيها .... وغير ذلك من النصوص، الدالة على حقيقة التوحيد، الذي هو مضمون ما ذكرت، في رسالتك، أن الشيخ مُحَّد[١] : قرر لكم ثلاثة أصول، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة دين الإسلام اهـ .

ومرة قال : ١ / ١٢٧ فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه مُحَّداً ﷺ .

وقال في الدرر ١ / ١٤٦ وطلب الأمير : عبد العزيز بن مُحَّد بن مسعود، من الشيخ رحمه الله، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الدين، فكتب هذه، وأرسلها عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها .

---

[١] ـ يقصد المصنف نفسه ويدل عليه صنيع ابن قاسم رحمه الله في حاشيته على ثلاثة الاصول حيث قال ص ٥ قال المصنف قدس الله روحه : قررت ثلاثة الاصول توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والولاء والبراء وهذا هو حقيقة الاسلام اهـ بنصه وهو نفس الكلام السابق .

فكتب رسالة بعد البسملة والحمد له فقال : أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفة ثلاثة أصول، والعمل بهن ، الأصل الأول : في معرفة العبد ربه، ثم ذكر ذلك .

الأصل الثاني : في معرفة دين الإسلام ، الأصل الثالث : في معرفة نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم .

فتلاحظ أنه مرة يكتب الأصول الثلاثة ومرة ثلاثة الأصول مع أن المعنى والمضمون تقريبا واحد .

المسألة الثانية (زمن تأليف الكتاب) : ألفه في أوائل دعوته السلفية بعد أن صار له نصرة ودار ، وقلنا ذلك لأنه في رسالته هذه تكلم عن الهجرة وعن دار الإسلام ودار الشرك والكفر ، وهذه قرينة على أنه ألفها في مكان يمكن أن يكون إليه هجرة ، ويحتمل أنه ألفها في العيينة قبل انتقاله إلى الدرعية لأنه كان له فيها نصرة ، ويحتمل أنها في الدرعية لأن النصرة فيها أقوى ولا يخرج الحال عن هذين الاحتمالين ، والله أعلم .

ويلاحظ أنه باعتبار الترتيب يحسن البداءة به قبل كتاب التوحيد. فهو كالمقدمة له .

المسألة الثالثة : (وصف عام للكتاب) هو عبارة عن ثلاثة أقسام :

١ – مقدمة.: والملاحظ على المقدمة أن المصنف لا يبدأ مباشرة بالأصول الثلاثة ، إنما يبدأ بالمقدمة وهي عبارة عن ثلاث مقدمات وثلاثة مواضيع كل موضوع يبدأ بكلمة اعلم رحمك الله .

أ . الأولي في وجوب أربع مسائل . ب . الثانية في وجوب ثلاث مسائل .

ج . في بيان ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

مسألة : هذه الثلاث المقدمات هل هي من صلب الكتاب وإلاّ أدخلت عليه ؟ ومن الذي كتبها ومن الذي جمعها ؟ . بل هي من صلب الكتاب كما جاء في الدرر ١ / ١٢٧ لم يفصل بينها بل قال في البداية وقال الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب ثم سردها مع المقدمات المذكورة . ونفس الصنيع في مجموع مؤلفات الشيخ مُحَمَّد القسم الأول ص ١٨٥ .

٢– صلب الموضوع وهو الحديث عن الأصول الثلاثة ، فبدأ بالأصول الثلاثة : الأصل الأول عن معرفة الله ثم الثاني عن معرفة الدين ومراتبه الثلاث ثم الثالث عبارة عن سيرة الرسول ﷺ باختصار شديد .

٣- نهاية وخاتمة الكتاب ، فالنهاية ضمنها المصنف بعض قضايا الآخرة ، منها الإيمان بالبعث والحساب ثم قضية مهمة وهي وجوب الكفر بالطاغوت مع ذكر معناه ورؤوسه .

وأسلوب الكتاب أسلوب مبسط ومختصر وعنده اهتمام كبير بذكر الأدلة وأحياناً يستعمل أسلوب السؤال والجواب . وإن كان هذا ليس كثيراً إنما استخدمه في الأصل الأول وهو معرفة الرب .

وقفات مع عنوان الرسالة

الأصول الثلاثة

إذا نظرنا إلى العنوان ((الأصول)) –كما هو معلوم – جمع أصل فَعْلٍ، يجمع على فُعُول، أَصْل يجمع على أصول. والأصل في اللغة: هو ما يُبنى عليه غيره، كأصل الجدار أي أساسه، وأصل الشجرة الذي هو ما تقوم عليه، هذا الأصل في اللغة ما يُبنى عليه غيره، واختاره أكثر الأصوليين.

وأما في الاصطلاح: فهو ما له فرع، لأن الفرع لا ينشأ إلا عن أصل، كل فرع لا بد وأن يكون له أصل قد نشأ منه وتفرع عنه.

وأما في الاصطلاح فيُطلق الأصل ويراد به أحد أربعة أمور:

– إمّا الدليل، فيقال: الأصل في تحريم الخمر الكتاب والسنة، أي دليل تحريم الخمر الكتاب والسنة، فيطلق الأصل ويراد به الدليل، وهذا هو الغالب عند الأصوليين.

– ويطلق الأصل ويُراد به الرجحان، فيقال: الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز، أي عند السامع يحمل الكلام على حقيقته دون مجازه.

– الإطلاق الثالث: على القاعدة المستمرة، فيقال: أَكْلُ الميتة على خلاف الأصل، يعني على خلاف الحالة المستمرة.

الرابع: يطلق الأصل على المقيس عليه، فيقال: النبيذ فرع، والخمر أصل، هذا في باب القياس.

هل يمكن حمل هذا اللفظ الأصول الثلاثة على أحد المعاني الاصطلاحية؟ الجواب: لا. لا يمكن حمل هذا اللفظ على هذه المعاني الاصطلاحية، وإنما يتعين حمله على المعنى اللغوي له، وهو أنه ما يُبنى عليه غيره.

فَالأَصْلُ مَا عَلَيْهِ غَيْرُهُ بُنِي ... وَالفَرْعُ مَا عَلَى سِوَاهُ يَنْبَنِي

هكذا قال في ((نظم الورقات))، والأصول الثلاثة الأصول مضاف، والثلاثة مضاف إليه، وهو من جهة الصيغة اسم جمع لا مفرد له من لفظه، اسم الجمع وهو ما دل على أكثر من

اثنين ولا واحد له من لفظه كقوم ورهط ونساء، نقول: هذا اسم جمع لأنه يدل على ثلاثة فأكثر، أكثر من اثنين، ولا واحد له من لفظه، وأما من جهة المعنى فهو اسم عدد.

وأدلتها: الأدلة جمع دليل وسيأتي عند قوله: (مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ) أنه الموصل إلى المطلوب يعني المرشد أو مَنْ أرشدك إلى المطلوب، هذا ما يتعلق باللفظ.

أما محتوى الكتاب الرسالة التي معنا، فنقول: هي مؤلفة من ثلاثة أقسام، يعني ما يتعلق بطريقة التصنيف، المصنف رحمه الله تعالى لهذه الرسالة.

أولاً: نقول: مقدمة، هذا كما هو الشائع مقدمة، ثم موضوع الكتاب، ثم الخاتمة.

هذه الرسالة على صِغرها اشتملت علي: مقدمة، وموضوع الكتاب، وخاتمة.

أما المقدمة: فهي ثلاثة أشياء وكلها مُصَدَّرَه إما بـ: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ). التي في الرسالة الأولى التي تضمنتها سورة العصر: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ). هذه مقدمة أولى.

والمقدمة الثانية التي تليها: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اَللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ).

والمقدمة الثالثة في بيان وإيضاح ملة إبراهيم عليه: (اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصاً لَهُ الْدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ).

فحينئذٍ نقول: هذه الثلاث المقدمات جعلها المصنف رحمه الله توطئةً وتمهيدًا للأصول الثلاثة، لأن الأصول الثلاثة أول ما تبدأ بقوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الْتِّي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ) .. إلى آخر ما سيأتي بيانه.

إذًا مقدمة، وهذه المقدمة مكونة من ثلاثة أشياء، كل واحد منها يُصَدِّرُها بقوله: اعلم رحمك الله، اعلم أرشدك الله لطاعته.

الأولى: في بيان وإيضاح وجوب أربعة مسائل على كل مكلف.

والثانية: بيان وجوب ثلاث مسائل على كل مكلف أيضًا.

والثالثة: بيان وإيضاح حقيقة دعوة ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

هذه المقدمات الثلاث، هل هي من صُلب الكتاب أم أنها أُلحقت بعد الإمام رحمه الله تعالى؟ قيل: بهذا وقيل: بذاك، والظاهر – والله أعلم – أنها من صلب الكتاب، أنه أرادها، بدليل

أن ابن القاسم رحمه الله جعلها بكاملها في ((الدرر السنية))، وكذلك هي موجودة في مصنفات شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب.

القسم الثاني من الكتاب موضوع الكتاب: وهو الحديث عن الأصول الثلاثة:

الأصل الأول: معرفة الله جل وعلا.

الأصل الثاني: معرفة الدين ومراتبه الثلاثة. الإسلام، والإيمان، والإحسان.

الأصل الثالث: معرفة النبي – ﷺ –. وقد ذكر شيئًا مختصرًا اختصارًا شديدًا من سيرته عليه الصلاة والسلام. نُبِّئَ بكذا، وبَقِيَ في مكة ثم هاجر .. إلى آخر ما ذكره.

ثالثًا: القسم الثالث من مضمون هذه الرسالة الخاتمة، وذكر فيها شيئًا مما يتعلق بالبعث والحساب، ثم تطرق إلى بيان وجوب الكفر بالطاغوت، وبيَّن حقيقة الكفر بالطاغوت، وبيَّن رؤوس الطواغيت، وهذه خاتمة الرسالة.

فالرسالة مختصرة بأسلوب واضح بيِّن، يهتم بذكر المسألة مقرونة بدليلها، وهذا يؤكد فيه رحمه الله أن دعوته دعوة سلفية قائمة على الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة.

هذا ما يتعلق بمضمون الكتاب.

الرسالة الأولى

ذكرنا أنها مقدمة تمهيدية، وهي التي عنون لها بقوله: اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل. هذه الرسالة مقدمة تمهيدية حثَّ فيها القارئ والمتعلم والناظر والمعلِّم حثَّ هؤلاء على لزوم الطريق العامِّ الذي تحصل به النجاة في الدنيا والآخرة، لأنَّ المكلف، أو الإنسان من حيث هو إنسان الأصل فيه الخسارة، قال جل وعلا: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر: ١ – ٢] يعني لفي خسارة، وفي نقصان، وغبن، وهلاك، وعقوبة، كما قال بعض السلف، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} [العصر: ٣]، ثم بين طريق النجاة من هذا الخسران في الدنيا والآخرة، وهو من اتصف بجميع هذه الأوصاف الأربعة: الإيمان بالله، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

إذًا مفهوم هذه الرسالة: كأنه يرسل إليك أيها الناظر، وأيها القارئ، أنَّ طريق النجاة العام الذي تحصل به النجاة في الدنيا والآخرة، ومن سلكه فهو الناجي، ومن خالفه وأعرض عنه فهو الخاسر، هو مضمون سورة العصر، ولذلك قال:

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله على خلقه حجة إلا هذه السورة لكفتهم. يعني في بيان المنهاج الصحيح الذي يسير عليه المسلم لينجي نفسه وغيره من مغبة الخسران، أجارنا الله وإياكم من هذا الخسران.

التوحيد والعقيدة هذان اسمان لمسمًّى واحد. يقال التوحيد وهو ما سندرسه إن شاء الله ويسمَّى أيضًا بالعقيدة. ثُمَّ مقدمات لا بد من معرفتها قبل الولوج في هذا الكتاب.

وذكرنا أن الكتاب مختصر، هو من كتب العقيدة المختصرة، والمتون المفيدة المحررة، عُني به كثير من أهل العلم قديمًا وحديثًا، شرحًا، وتحشيةً، ونظمًا، ونحو ذلك، ولذلك يدرسها أول ما يدرسها طالب العلم المبتدئ، وتُعَلَّمُ للعامة على جهة العموم، كل مسلم يجب عليه العلم بمضمون هذه الرسالة، والعمل بمضمون هذه الرسالة، ولذلك كانت رسالة مختصرة؟ لماذا رسالة مختصرة؟ ليستفيد منها ويقرأها القارئ سواء كان عاميًّا جاهلاً فيتعلم أم كان طالب علم، فكل مسلم هو مخاطب بمضمون هذه الرسالة؛ لأن الذي خُلق من أجله في هذه الدنيا هو التوحيد، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦] فحقيقة وجود الإنسان وسر وجوده في هذه الحياة هو تحقيق العبودية لله جل وعلا. وهذا لا يتميز أو يختص به طالب العلم دون غيره، بل يشمل الكبير والصغير، الحر والعبد، الذكر والأنثى شبالاً كانوا أو صغارًا.

فنقول: العقيدة والتوحيد هذان اسمان لمسمّى واحد وإن افترقا في بعض الأجزاء.

وأما العقيدة من حيث اللفظ فهي مأخوذة من العَقْدِ فَعِيلَة بمعنى مَفْعُول، يأتي فَعِيلَة بمعنى فاعل، ويأتي فَعِيلَة بمعنى مفعول. والعقيدة نقول: مأخوذة من الْعَقْدِ، والمراد من العقد: رَبْطُ الشيءِ، كعقد الحبل، عقدُ الحبل ما المراد به؟ شَدُّ بعضِه ببعض، تقول: عقدتُ الحبل إذا شددت بعضه على بعض، نقيض حلِّه، حل الحبل نقيض عقد الحبل، عقدت الحبل شددت بعضه على بعض، حللت الحبل أي فتحته أو فككته ونحو ذلك.

ومادة عَقَد في اللغة مدارها على اللزوم والتأكيد والاستيثاق، يعني تدور حول هذه المعاني الثلاثة التأكيد واللزوم والاستيثاق، ولذلك جاء في القرآن: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} [المائدة: ٨٩] تعقيد الأيمان إنما

يكون بقصد القلب وعزمه، لفظ صَاحَبَهُ قَصْدٌ وعَزْمٌ بخلاف اللغو في الأيمان فإنه لفظ لم يصاحبه قصد ولا عزم. وتقول العرب: اعْتَقَدَ الشيء صلُب واشتد.

واعتقدتُ كذا عقدت عليه القلب والضمير.

إذًا المراد بالعقيدة من حيث اللغة: أنه ما يكون فيه إشارة إلى اللزوم والشد والجزم، ولذلك إذا كان مع المعتقِد جزمٌ فهي عقيدة صحيحة إن وافقت الشرع، وإن لم يكن مجزومًا بها فحينئذٍ صارت شكًّا وظنًّا. والمعتقَد الأصل فيه أنه لا يقبل فيه الشك، ولا يقبل فيه الظنّ هذا هو الأصل وخاصة في أصول الإيمان، لذلك جاء {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: ١٥]، نفى الريب {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة: ٢]، {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ} [آل عمران: ٩]، {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [التوبة: ٤٥]. ذَمَّ المشركين على الريب، فالأصل في العقيدة أنه لا يصح معها شكٌّ ولا ظنٌّ، وإنما لا بد أن يكون معها جزم واستيثاق ولزوم وتأكيد.

وأما في الشرع: فيجمعها أو ما أشار إليه بحديث جبريل لما سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الإيمان، فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».

إذًا العقيدة شرعًا هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. وهذه هي أركان الإيمان، وهي أمور غيبية يعني مدارها على الغيب {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ٣] فيشمل أركان الإيمان الستة، فالعقيدة إذًا إذا عرفنا أن مدارها على أركان الإيمان، وأنها أمور غيبية، إذًا تدور حول اعتقاد قضايا معينة.

هل المطلوب من المكلَّف أن يعتقد أيَّ شيء أم أنها قضايا معينة؟

لا شك أنه الثاني لماذا؟ لأن المأمور به أن يعتقد: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره. إذًا عقيدة معينة منصوص عليها في الكتاب والسنة، وليس المطلوب أن يعتقد أيَّ شيء أراده وشاءه، نقول: لا، بل هي ما أخبر الله جل وعلا في كتابه أو على لسان رسوله – ﷺ –. هذه هي العقيدة.

وأما التوحيد فهو تَفْعِيْل، مصدر وحَّدَ يُوَحِّدُ توحيدًا، إذا جَعَلَهُ وَاحِدًا، والمراد بالجعل جعل الشيء واحد في قلبك، ليس في الخارج، يعني وإنما الذي يقبل الشركة والتشريك هو ما كان في القلب وليس ما كان في الخارج، وأما في الخارج فليس إلا الحق. وأما في الشرع فهو إفراد الله تعالى بما يختصُّ به من الربوبية، والإلوهية، والأسماء والصفات.

وليس المراد أنَّ كلَّ ما عبد من دون الله على الأرض فهو حق، ليس هذا هو المراد بل هذا باطل، وإنما المراد أن الجعل اعتقاد الوحدانية، وأن الله جل وعلا منفرد بإلوهيته، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته، إنما يكون في القلب أنت الذي يقع في قلبك الشرك بأن تشرك بين الله جل وعلا وبين غيره في العبادة أو الإلوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات.

إذًا التوحيد والعقيدة في الأصل هما اسمان، وهما متلازمان، لا توجد العقيدة إلا إذا وجد التوحيد، ولا يوجد التوحيد إلا إذا وجدت العقيدة، إذًا التلازم من حيث الوجود. ولكن ثَمَّ فرقٌ بينهما وذلك أن العقيدة تشمل شرح أركان الإيمان الستة، لأن الذي يُشْرَحُ في باب المعتقد هو الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، هذا الذي يشرح، لو نظرنا في الركن الأول وهو الإيمان بالله لوجدنا أنه يبحث عن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بإثبات ذات الربِّ جلَّ وعلا.

ثانيًا: الإيمان بربوبية الله جل وعلا.

الثالث: الإيمان بإلوهية الله جل وعلا.

رابعًا: الإيمان بأسمائه وصفاته.

هذا هو الركن الأول وهو ما يبحث فيه التوحيد بأنواعه الثلاثة. إذًا التوحيد إفراد الله جل وعلا بما يختص به من الربوبية والإلوهية وما له من الأسماء والصفات، هذا داخل في الركن الأول فقط من أركان الإيمان. طيب والإيمان بالملائكة، وبالرسل، والكتب، وبالقضاء والقدر، وباليوم الآخر، نقول: هذا يُبحث فيه في العقيدة ولا يُبحث فيه في التوحيد.

العقيدة تزيد على مباحث التوحيد من حيثية أخرى، وهي أنه يبحث فيها عن مسائل التلقي، من أين نتلقى العقيدة؟ وهذه المسألة مما يخالف فيه أهل السنة والجماعة غيرَهم من أهل الفرق المنحرفة الضالة بأنواعها، لأن مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة هو الوحي فقط، ولا مجال للعقل البتة في إثبات العقيدة، ولذلك نقول: العقيدة توقيفية. ما معنى توقيفية؟

موقوفة على السماع، دليلها سمعيّ بحت إما بالكتاب، وإما بالسنة، وإما بإجماع صحيح منقول عن السلف الصالح، والعقل لا مجال له استقلالاً في إثبات مسألة عقائدية، وإنما العقل تابع للنقل بمعنى أنه يُستنبط بواسطته أو يُتأمل ويُدرك بواسطته فهم النصوص فقط، لأنه لا يستقل بوضع مسائل في باب المعتقد. وكذلك يُبحث في العقيدة مسائل التعامل، كما أنه يُبحث مسائل التلقي، من أين نأتي بالعقيدة، كذلك مسائل التعامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما فارق أهلُ السنةِ والجماعة أهلَ البدعةِ، ثَمَّ فرقٌ بين الطوائف المخالفة وأهل السنة في ذلك، لذلك ابن تيمية رحمه الله تعالي لما ذكر في ((الواسطية)) أن أهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر قال: (على ما توجبه الشريعة). يعني ليس بالهوى، وليس بالعقل، وليس بالعواطف، فالأمر بالمعروف مُناط بالشرع ومعقود بشريعة الله جل وعلا. ولذلك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يُنظر في المنكر بنظرين:

النظر الأول: في إثبات أنه منكر، هل هذا القول منكر؟ هل هذا الفعل منكر؟ حينئذٍ إذا ثبت نقول: يثبت بماذا؟ بالنقل أم بالعقل؟ بالنقل.

كذلك الطريقة في إنكاره هل يثبت بالعقل أما بالنقل؟ بالنقل، ولا يثبت بالعقل، لذلك قال: (على ما توجبه الشريعة).

إذًا يبحث في كتب المعتقد قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طاعة ولاة الأمور هذه ما تُذكر في كتب التوحيد التي أُلِّفَت لبيان توحيد العبادة، وإنما تُبحث في باب المعتقد العام، الكتب التي تؤلف لبيان عقيدة أهل السنة والجماعة التي تخالف أهل البدعة والضلالة، فينشأ أو يقال في باب المعتقد هناك إنهم يطيعون ولاة الأمور المسلمين وإن ظلموا وجاروا.

كذلك الموقف من الصحابة، والموقف من أمهات المؤمنين ونحو ذلك. هذا يبحث في باب المعتقد ولا يذكر في التنصيص على التوحيد بأنواعه الثلاثة.

وأما التوحيد فهو أخصُّ من العقيدة، إذًا العلاقة بينهما في المفارقة أن نقول: العقيدة أعمُّ من التوحيد، بينهما العموم والخصوص المطلق، هذه الخلاصة، فكلُّ توحيدٍ عقيدة ولا عكس، لأنه قد يكون من مباحث العقيدة ولا يكون من مباحث التوحيد كالبحث في الصحابة، نقول: هذا من مباحث المعتقد الذي تفارق أهل السنة والجماعة غيرهم من أهل البدعة والضلالة، أين نجده أين نبحث عنه في كتب المعتقد الجامعة لمعتقد أهل السنة والجماعة.

فالتوحيد نقول: أخص من العقيدة لأنه يُعنى به تقرير حق الله جل وعلا على عباده، وهو ما يستحقه سبحانه في ربوبيته، وإلوهيته، وأسمائه وصفاته، وأعظم هذا وأفضله هو ما يتعلق بإفراده جل علا بالعبودية، ولذلك أعظم أنواع التوحيد هو توحيد العبودية.

هذا ما يتعلق بالاسمين المشهورين: التوحيد والعقيدة. ويسمى أيضًا أصول الإيمان، وأصول الإسلام، ويسميه المتأخرون بعلم الكلام، وهذه التسمية فيها نظر، وسماه بعضهم بالفقه الأكبر، لأن الفقه فقهان:

فقه أصغر وهو ما يتعلق بكيفية العمل.

وفقه أكبر وهو ما يتعلق بتصديق القلب ونحو ذلك. وسماه بعضهم بأصول الدين.

أما استمداده: من أين يستمد التوحيد والعقيدة؟ من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، والعقل لا مجال له البتة، ليس عندنا حمل فرع على أصل لعلة جامعة بينهما في الحكم، وليس عندنا تنظير بين مسألة ومسألة، ولذلك وقع مجمل أصول معتقد أهل السنة العامة هذه مجمع عليها، فنقول: فقه أبي حنيفة، وفقه الشافعي، وفقه أحمد، وفقه مالك، ولا نقول: عقيدة الشافعي وعقيدة أحمد بن حنبل لأنهم على عقيدة واحدة، وإن كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله أُخذ عليه مسألة الإيمان، هو إمام ولكن في هذه المسألة يُنظر فيها.

فالعقل تابع للنقل وليس مستقلاً، لأن الشرع لم يهمل العقل مطلقًا، وإنما جعل له

فسحة في فهم النصوص، لا في وضع مسائل وإنشاء صور مستقلة، ولذا قيل: العقيدة توقيفية، ووجهه أن العقيدة هي الإيمان بالأركان الستة، وهذا غيب لا شاهد فيها، ولا يمكن أن يُعلم الغيب إلا من طريق الوحي، إذا قيل بأن أركان الإيمان كلها غيبية، كالإيمان بالله في ذاته {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ٣] الله جل وعلا غيبٌ بذاته وأسمائه وصفاته، والإيمان بالملائكة، والملائكة غيب، والإيمان باليوم الآخر، اليوم الآخر غيب ما وقع، والإيمان بالقدر خيره وشره غيب، باقي الكتب والرسل، هل الإيمان بهما غيب أم حس وشاهد؟ الرسول قد يَراه، إيمان الصحابة بالرسول - ﷺ - إيمانٌ بغيب أم بشاهدٍ؟

كونه رسولاً من رب العالمين هذا غيب أم شاهد؟ غيب.

كونه مسندًا أو مُرْسَلاً مِن عند الله جل وعلا هذا غيب لا شاهد، فيكون الإيمان بالرسل من هذه الحيثية غيبًا، ومن أدرك الرسول ورآه من حيث الوجود حس وشاهد.

الكتب الإيمان بها غيب أم شاهد؟ غيب، من حيث كونها من عند الله مُنْزَلَة نقول: غيب، ومن حيث أنك تراه، هذا شاهد.

كَذَا بِالابْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ ... وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

نقول: هذا شاهد لأنه مدرك بالحس.

إذًا أركان الإيمان الستة كلُّها غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، ولا يمكن أن يطلع الخلق على غيب إلا من طريق الوحي فقط، والعقل لا يعلم الغيب، لا أحد أعلم بالله بما يجب له، وما يجوز، وما يمتنع من الله. ولا أحد أعلم من الخلق بالله جل وعلا بما يجوز له وما يجب، وما يمتنع من رسول الله - ﷺ -، لذلك انحصر الطريق في الوحيين الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، لأنهم لا يجتمعون على ضلالة.

موضوعه: أركان الإيمان الستة وتشمل أنواع التوحيد الثلاثة.

حكمه: فرض عين، حكم تعلم التوحيد فرض عين، وهذا فيما لا يصح ولا يتم الإيمان إلا به، لأن الإنسان مكلف مأمور أن يصحح عقيدته، ويُقَوِّم عبادته، لأن الشريعة عقيدة، وعبادة، ومعاملة، هذه الشريعة، فالمكلف مطالب أن يصحح

عقيدته، وعباداته، ومعاملته، فكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما كان المخاطَب به كل فرد بعينه صار فرض عين، لا يقوم أحد مقام آخر، لا يقول: له اعتقد أن الله واحد عني بالنيابة عني كما يحج عنه، لا. أليس كذلك؟ نقول: كل واحد هو مخاطب بهذا الحكم الشرعي. إذًا حكم تعلم التوحيد فرض عين وليس من التنفل، وخاصة فيما يُصحح به العقيدة، ما لا يتم الواجب إلا به حينئذٍ حكمه الوجوب. ما زاد عن ذلك فهو إما فرض كفاية وإما مستحب، لأن التوحيد ليس كله فرض عين، بل بعضه قد يوجد يكون الإنسان مُوَحِّدًا وعنده تقصير ونقص يعود على توحيده بالخلل، كما إذا نقص عن التوحيد الواجب أو الإيمان الواجب، فنقول: فتَعَلُّمُ ما زاد إما أن يكون فرض كفاية، وإما أن يكون مستحبًا.

الثمرة: تحقيق الإيمان بالله يقينًا لا تقليدًا، ثمرة تعلم التوحيد والإيمان هو تحقيق معرفة الله جل وعلا والإيمان به بالدليل، لأن النفس إذا عرفت الدليل، وعرفت الحجة كانت أقوى وأسلم مما لو أخذ دينه بالتقليد، ولذلك إذا وردت الشُّبَه عند من أخذ عقيدته بالدليل يستطيع أن يقاوم أو يستسلم؟ يقاوم، عنده من القوة وعنده من الحصانة وعنده من المناعة ما يستطيع أن يقاوم أيَّ شبهة ترد عليه، هذا إذا أخذ عقيدته بالدليل، وأما إن كان مقلدًا مع القوم، فحينئذٍ يكون مرتعًا للشبه والشبهة تفضي إليه دون غيره، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما ذكر إيمان العامة قال: هو ضابطه يعني في ما لو شُكِّكُوا لَشَكُّوا، يعني العامة لو جاءتهم فتنة يستسلمون مباشرة، لو قيل: في هذا الحجر اعتقاد، يوم ويومين وأسبوع تجد بعض الناس يسير مع اعتقاد هذا أنَّ الحجر مبارك ونحو ذلك، وأما إن بدليل حينئذٍ لا يمكن أن يكون واقعًا فيه.

والفوز بسعادة الدارين، لأنَّ علم التوحيد يُنَجِّي من الشرك والبدع والخرافات.

إنَّ مَبادِئَ كُلِّ ... فَنٍّ عَشَرَه ... الحَدُّ ... وَالموضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَه

وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالوَاضِعْ ... وَالِاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ

مَسَائِلٌ والبَعْضُ بِالبَعْضِ اكْتَفَى ... وَمَنْ دَرَى الجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا

فلا بد أن يعرف طالب العلم الذي يطلبه؟ حتى يكون طلبه على بصيرة وجادة لا

يتخبط في كتب التوحيد، وكتب المعتقد، إذا عرف أن هذه الرسالة تتعلق بتوحيد العبادة، وما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر، لا ينتظر أنَّه سيأتي المصنف يتكلم عن الصحابة وأمهات المؤمنين. وإذا عرف أن هذا الكتاب جامع لمعتقد أهل السنة والجماعة لا ينتظر أنه يفصل في مسائل التوحيد كتفصيله في أبوابه المستقلة فيُعرف أو يُؤخذ كُلاًّ من مظانه.

والتوحيد هو الأصل لسائر العلوم، فكل علم هو فرعٌ عن التوحيد سواءً كان حسًّا أو تقديرًا. لذلك قال السفاريني:

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ العِلْمِ ... كَالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ فَاسْمَعْ نَظْمِي

لأن التوحيد هو الإخلاص أن يعبد الله عز وجل ويفرده بعبادته وحده دون ما سواه، أليس كذلك؟ فكيف يتحقق هذا المعنى ولو كان عالمِا بالتفسير، ولو كان عالمِا بالحديث، ولو كان عالمِا بالفقه، ولو كان عالمِا بالنحو، وعالم بعلوم الآلة على جهة العموم، ثم هو من الطَّوافين حول القبور، ماذا أفاده؟ [يا مدد، ويستغيث بالنبي – ﷺ –] ويعتقد اعتقادات باطلة وشركية ونحو ذلك. نقول: وصار

وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ العِلْمِ ... كَالْفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ فَاسْمَعْ نَظْمِي

لأن التوحيد هو الأصل، وسائر الفنون الأخرى ولو كانت شرعية كالتفسير فهي فرع، لأن الأصل تحقيق العبادة لله جل وعلا، وما خُلق الخلق في هذه الحياة إلا من أجل تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].(الحازمى)

فوائد مما سبق

(لمذا اخترنا الأصول الثلاثة)

-1لأننا طلاب و الطالب يتبع ما سطره له العلماء و أول ما سطر العلماء لدراسته متن الأصول الثلاثة.

-2لأن الله و ضع لهذا المتن القبول في الأرض و ذلك و الله أعلم راجع لكبير إخلاص الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب و لكبير النفع به.

-3لأنه متن مختصر الحجم ، ألفاظه سهلة واضحة المعاني.

-4لأن الشيخ إتبع طريق السلف في تقرير المسائل و ذلك بربط المسائل بأدلتها وذلك لفائدتين :

*حتى يربي طالب العلم على عدم التقليد خاصة في مسائل الإعتقاد.

*و حتى إذا واجهت الطالب شبهة ردها بالدليل.

-5و لأنها مشتملت على أسئلة القبر الثلاثة فأنت أيها الطالب إذا درست هذا متن و فهمته جيدا أجبت على تلك الأسئلة بإذن الله يوم " يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ."

-6و لأن الكثير منا درس الأصول الثلاثة على عدة شروح و لا يعلم النتيجة و الحصيلة التي حصلها منها فنحن بهذه المبادرة التي نسأل الله تعالى من خلالها الإخلاص في القول و العمل.

-7و حتى يتم تثبيت العلم الذي حصلناه من خلال دراسة هذا المتن المبارك فإن بمذاكرة العلم يحي وبنسيانه و عدم تعاهده يموت.

-8تحصيل المزيد من الفوائد و الدرر فقد تجد في النهر ما لا تجده في البحر (مع الإشارة إلى أن قد تفيد التكثير لا التقليل.(

-9تحصيل فضل مجلس الذكر و يكفي في هذا أية و حديث

فاما الأية قول الله جل و على " : يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "

وأما الحديث : فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم

السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .

أداب الداعية :

٠١ — الحرص على هداية الناس

٠٢ — الر فق

٠٣ — الحكمة

٠٤ — الموعضة الحسنة

٠٥ — المجادلة بالتي هي أحسن

٠٦ — الفقه في الدين

٠٧ — بيان الحق للناس

٠٨ — لا يذهب نفسه حسرات

٠٩— التصدي لشبه المبطلين

١٠– الله تعالى له أن يقسم بماشاء من مخلوقاته

– و القسم يكون على ضربين

٠١ — إما لشرف المقسم به

٠٢ — أو لعظم شأنه

و القسم لا بد له من جواب إما ظاهر و إما مقدر

المتن

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اعلمْ –رحمكَ اللهُ– أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛

الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ.

الثانيةُ: العملُ بهِ.

الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ.

الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

والدليلُ قولُه تعالَى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾[العصر]،

قالَ الشافعيُّ رحِمَهُ اللهُ تعالَى: لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وقال البخاريُّ رحِمَهُ اللهُ تعالى: بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[محمد:١٩].

فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ.

الشرح

(بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)

كعادة المؤلف ابتدأ بالبسملة وهذا الفعل مستحب أن تُبدأ به المكاتبات :

- اقتداء بكتاب الله عز وجل حيث بُدئت كل سورة بها إلا سورة التوبة؛ لأنها براءة من أهل الزيغ والضلال.
- واتباع لهدي الرسول عليه الصلاة والسلام وتأسياً بالنبي ﷺ ومراسلاته مثل : (كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وفيه : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ من مُحَمَّد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم) .

❖ وأما حديث:"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع"، وفي رواية) أقطع) ، والمعنى : أنه ناقص البركة .فقد رواه ابن حبان وهو ضعيف لا تقوم به حجة، وقد ضعفه ابن حجر والسيوطي

(الله) هو علم على الباري جل وعلا ولا يسمى به غيره ومعناه : المألوه : أي المعبود محبة وتعظيماً .

(الرحمن) اسم من أسماء الله المختصة به ، لا يطلق على غيره .

والرحمن معناه : المتصف بالرحمة الواسعة ، لأن (فعلان) في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء ، كما يقال : رجل غضبان إذا امتلأ غضباً .

(الرحيم) المراد به ذو الرحمة الواصلة .

وإذا جمعا ـ الرحمن الرحيم ـ صار المراد بالرحمن : الموصوف بالرحمة الواسعة ، والمراد بالرحيم : الموصل رحمته من يشاء من عباده .

واقتصر المؤلف على البسملة لأنها أبلغ الثناء والذكر .

ويستحب في بداية الخطب والمقالات والرسائل أن يبدأ بذكر الله وهي ثلاثة أنواع :

أ ـ البسملة كما فعل المصنف والدليل إقتداء بالقرآن وعند البخاري إن النبي صلي الله عليه وسلم كتب إلى هرقل كتاباً ابتداه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، أما حديث كل أمر ذي بال .. ، فهو ضعيف .

ب ـ أن يبدأ بالحمد لله كما جاء في حديث جابر عند مسلم أن النبي إذا خطب حمد الله وأثنى عليه .

ج . أن يبدأ بالآيات كما جاء في قصة الجماعة الذين جاءوا من مضر وهم فقراء .. ثم خطب عليه الصلاة والسلام فتلا آيات { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم .. } وآية الحشر { ولتنظر نفس ما قدمت لغد .. } ثم قال تصدق رجل من ديناره ومن درهمه ..] من حديث جرير عند مسلم . الشاهد أنه تلا بعض الآيات لما خطب .

في بعض النسخ في غير الدرر بدأت الرسالة بكلمة (اعلم رحمك الله)

فقوله : " اعلم رحمك الله " يأتي بعد قليل تعريف العلم إلا أن هذه الكلمة يؤتى بها للاهتمام والحث على تدبر ما بعدها كما قال الحكمي رحمه الله ، وهذا من شفقة المؤلف ومحبته أن يدعو للسامع بهذه الدعوة ، ومعنى الدعاء بالرحمة أي غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل .. وعلى هذا فالرحمة هنا تشمل معنى المغفرة .

" الله " المعبود الخالق ويأتي مزيد إيضاح من كلام المصنف عندما يتكلم على الأصل الأول في معنى لفظ الجلالة ، هذه قاعدة في تفسير اسم الله أما إذا جاء اسم " الله " مع اسم " الرب " فإن " الرب " الخالق و" الله " المعبود .

فهذه عادة أهل العلم يستفتحون رسائلهم بالبسملة، وذلك لثلاثة أمور:

أولاً: اقتداءً بالكتاب العزيز، حيث افتُتح فيه الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم اتفاقًا،أول ما تفتح القرآن تجد: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

إذًا افتُتِحَ الكتاب بالبسملة، فاقتداءً بالكتاب الكريم الكتاب العزيز افتتح المصنف كغيره من أهل العلم.

ثانيًا: تأسيًا بالنبي – ﷺ – حيث كان يفتتح رسائله، وكتاباته إلى الملوك بالبسملة، جاء في صحيح البخاري ومسلم من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – ﷺ – كتب إلى هرقل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من مُحَمَّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم). فبدأ بالبسملة.

ثالثًا: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالتسمية وكذا معظم الكتب والرسائل.

لهذه الأمور الثلاثة افتتح المصنف هذه الرسالة المباركة بهذه التسمية وهذه الجملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ).

يشتهر حديث «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر». وفي رواية

«فهو أقطع». وفي رواية «فهو أجزم». ومجموع هذه الروايات أنه ناقص البركة، لكن هذا الحديث ضعفه أهل العلم فلا يُعوَّل عليه، إذًا ليس إلا السنة الفعلية وليس ثمة سنة قولية.
قوله: (بِسْمِ اللَّهِ الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ) هذه الجملة مؤلفة من أربع كلمات أو خمس في النطق الباء، وكلمة اسم، ولفظ الجلالة، والرحمن، والرحيم، هذه خمسة، وثَمَّ كلمة سادسة وهي مقدرة.
(بِسْمِ اللَّهِ) حينئذٍ بسم الله أألف أي بسم الله لا بسم غيره.
ومناسبًا للمقام لأن كلَّ مَن أراد أن يبسمل أو أراد أن يفعل فإنما يضمر في نفسه ما جعل البسملة مبدءًا له، فالذي يُريد أن يأكل يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، ماذا ينوي؟ أنام؟ آكل، الأكل قطعًا. لو قلتَ له: لماذا بسملت؟ لقال: أريد أن آكل. وبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ووضعت جنبه هكذا يعني بسم الله أشرب؟ لا، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أشرب. إذًا كل من بسمل فقد نوى في نفسه في قلبه الفعل والحدث الذي جعل البسملة مبدئاً له.
(بِسْمِ اللَّهِ) لفظ الجلالة (الله) الأصح أنه مشتق من الإله، والمراد به المعبود، فالله – وهذا سيأتي شرحه مفصلاً – الله أي المألوه محبة وتعظيمًا، لأن الإلوهية هي العبودية، ولذلك يقال: توحيد العبادة، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الإلهية والمعنى واحد، لأن الإلوهية معناها العبادة – وسيأتي هذا في موضوعه –. إذًا لفظ الجلالة المراد به المألوه حبًّا وتعظيمًا.
و (الْرَّحمَنِ الْرَّحَيمِ) هذان اسمان مُشتقان من الرحمة؛ إلا أن الرحمن أبلغ من الرحيم، لأنه مشتمل على خمسة أحرف، والرحيم أقل منه معنى لأنه يشتمل على أربعة أحرف.
قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، كأنه قال: الأول دال على الوصف وهو الرحمن، والثاني دال على الفعل، يعني أنه يرحم خلقه برحمته.
قال رحمه الله: وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} [الأحزاب: ٤٣]، {إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١١٧]– رحيم بهم، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً} جاء التعدي رحيمًا بالمؤمنين، رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، رحيم بِهِمْ – جاء التعدي بالباء ولم يأت قطُّ رحمان بهم، فلمَّا جاء رحيم بهم ولم يأت رحمن بهم دل على أن رحمان دال على الوصف القائم به سبحانه جل وعلا، وأن الرحيم دال على إيصال تلك الرحمة للمخلوق، فهي أشبه ما تكون صفة فعل، فالأول: دال على الوصف، والثاني: دال على الفعل.

الرحمن المراد به عند بعضهم الرحمة الواسعة الشاملة للكافر والمسلم بل والبهائم. والرحيم دال على الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

الرحمن لا يجوز إطلاقه على غير الله جل وعلا. الرحيم يجوز إطلاقه على غير الله جل وعلا.

إذًا الأول من جهة المعنى عام لأنه رحمة واسعة تشمل الكافر والمؤمن من جعة المعنى، ومن جهة اللفظ لا يجوز إطلاقه على غير الله جل وعلا. ورحيم من جهة المعنى خاص بالمؤمنين، ومن جهة اللفظ عام لأنك تقول: زيدٌ رحيمٌ، هذا رجل رحيم، يجوز هذا، لكن لا يجوز أن تقول: هذا رجل رحمان؛ لأنه خاص بالله، كلفظ الجلالة الله لا يجوز أن يطلق على غير الله جل وعلا بالإجماع، كذلك رحمان أو الرحمان لا يجوز إطلاقه على غير الله بالإجماع، هذا ما يتعلق بالبسملة. وشرحتها كثيرًا بالدروس السابقة، الباء في قوله: بسم الله للاستعانة، فيكون تقدير باسم الله الرحمن الرحيم يعني بسم الله أُألِّف، نقدر الفعل هنا أألف حال كوني مستعينًا بذكره متبركًا به.

المصنف هنا اقتصر على البسملة ولم يذكر الحمدلة، والصلاة والسلام على النبي – ﷺ –، اقتصر على ماذا؟ على البسملة لماذا؟

قالوا: لأنها من أبلغ الثناء والذكر، ولذلك جاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بذكر الله». وهي من الذكر وأفضل الذكر (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ).

وللخبر إن صح وقد حسنه بعض أهل العلم: «كل أمر ذي بال لا يبدئ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر». لهذين الأمرين اقتصر المصنف على البسملة.

الفرق بين الرحمن والرحيم

1/الرحمن اسم من الأسماء المختصة بالله عز وجل لا يطلق على غيره والرحمن معناه المتصف بالرحمة الواسعة .

2/الرحيم يطلق على الله عز وجل وعلى غيره ، ومعناه ذو الرحمة الواصلة .

فالرحمن ذو الرحمة الواسعة، والرحيم ذو الرحمة الواصلة فإذا جمعا صار المراد بالرحيم الموصل رحمته إلى من يشاء من عباده كما قال الله تعالى)) :يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون))

{سورة العنكبوت، الآية: ٢١}

شرح قول المصنف (اعلمْ –رحمكَ اللهُ–)، أو (اعلم رحمني الله وإياك)

وهذا فيه التلطف، وفيه تنبيه إلى أن مبنى هذا العلم على التلطف، وعلى الرحمة بالمتعلمين، لأنه دعا له بالرحمة، وكان العلماء يَروُون ويُروُّون لمن بعدهم فيمن طلب الإجازة في الحديث، رواية حديث «الراحمون يرحمهم الرحمان»، وهذا الحديث هو المعروف عند أهل العلم بالحديث بالمسلسل بالأولية لما؟

لأن كل راو يقول لمن بعده "وهو أول حديث سمعته منه"؟فعلماء الحديث يروون هذا الحديث لتلامذتهم ويكون أول حديث فيما يروون ألا وهو حديث «الراحمون يرحمهم الرحمان» ففي الإجازات ترى أن كل شيخ يقول عن شيخه حدثني فلان وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثني شيخي فلان وهو أول حديث سمعته منه، إلى أن يصل إلى منتهاه قال الرسول صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمان، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، قال العلماء سبب ذلك أن مبنى هذا العلم الرحمة، ونتيجته الرحمة في الدنيا، وغايته الرحمة في الآخرة، لهذا الشيخ رحمه الله نبه على ذلك تنبيها لطيفا دقيقا حيث قال (اعلمْ –رحمكَ اللهُ–)؛ دعاء للمتعلم بالرحمة، ذلك لأن مبنى التعلم بين المعلم والمتعلم هو التراحم كلٌّ بما يناسبه.

(**اعلم رحمك الله**) .

(اعلم) فعل أمر مبني على السكون ، من العلم ، وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع : أي كن متهيئاً لما يلقى إليك من العلوم .

(اعلم) كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها .

وما قرره المؤلف هنا من أصول الدين حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام ويعتنى به أشد الاعتناء ويصغى إليه حقيقة الإصغاء .

(رحمك الله) دعاء لك بالرحمة ، أي : غفر الله لك ما مضى ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة ، فالمغفرة لما مضى ، والرحمة سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل .

وكثيراً ما يجمع رحمة الله عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول المهمة بينها وبين الدعاء له ، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين .

المسائل الأربع

(اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل)

المؤلف افتتح كتابه بوصية عظيمة مدارها على أصول الدين الثلاثة، وهي معرفة الرب والنبي والدين، معرفة هذه الأصول الثلاثة، والعمل بما تقتضيه هذه المعرفة من العبادة والاتباع وغيرها، ودعوة الخلق إلى تحقيق هذه الأصول الثلاثة، والصبر على ما يلاقيه العبد في سبيل العمل بها ودعوة الخلق إلى تحقيقها.

* المؤلف غالباً ما يبدأ كلامه بالدعاء بالرحمة لطالب العلم وهذا من حسن عنايته ومحبته الخير للغير ، وهكذا ينبغي أن يكون المعلم والداعية كما قال الله عن رسوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١٢٨) التوبة.

فمعنى رحمك الله أفاض عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك ، فالمعنى غفر الله لك ما مضى من ذنوبك ، ووفقك بالمغفرة فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل .

وصنيع المؤلف رحمه الله تعالى يدل على عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير له.

وقد بنى المؤلف هذه الرسالة على أمور ثلاثة :

- **أولاً** : ذكر أربعة مسائل من مهمات العلم .
- **ثانياً** : ذكر بعدها ثلاث مسائل عظيمة يجب على كل مسلم معرفتها.
- **ثالثاً** : ثم ذكر بعدها الأصول الثلاثة التي لأجلها وضع هذه الرسالة.

والمسائل الأربع التي قدم المؤلف بها والتي مدارها على الاهتمام بالأصول الثلاثة والعناية بها وكيفية التعامل معها

العلم وهو حكم الذهن الجزم المطابق للواقع، أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يلقى إليك من المعلوم. وكلمة (اعلم) يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة الذي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها، وما أقره المصنف هنا من أصول الدين حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام، ويعتني به أشد الاعتناء، ويصغى إليه حقيقة الإصغاء.

و(**رحمك الله**): دعاء لك بالرحمة، أي: غفر الله لك ما مضى ووفقك وعصمك فيما يستقبل، وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة فالمغفرة لما مضى، والرحمة: سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل، وكثيراً ما يجمع رحمه الله –عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول

المهمة- بينها وبين الدعاء له، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين.
نقول: هذا دعاء للمتعلم بالرحمة، وهذا فيه تلطف وتنبيه على أن مبنى هذا العلم التلطف والرحمة بالمتعلمين {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩]، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، إذًا لا بد من الرحمة في مجال العلم والتعلم.
قوله : " **يجب** " أفاد المصنف حكم تعلم الأربع المسائل وأنه واجب ، والواجب في الحد والحقيقة ما أمر به على وجه الإلزام . قال تعالى : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } وأحياناً يعرف الواجب بالحكم ، وهو " ما يثاب فاعله امتثالا ويستحق العقاب تاركة " ، والعادة في التعاريف أن تعرف بالحقيقة ، ولا مانع من تعريفها بالحكم عند الحاجة ، لتسهيل العلم والفهم .
وقولنا : " **امتثالا** " أي لا بد منه في الواجب ، فلو فعله بدون امتثال ما برئت الذمة ولا سقط الطلب لحديث عمر [إنما الأعمال بالنيات] ،
وقولنا يستحق العقاب أحسن من قولنا يعاقب لأن ترك الواجبات كما هو عند أهل السنة والجماعة تحت المشيئة إن شاء عذب وإن شاء عفا الله عنه ، وكلام الخوارج والمعتزلة يقولون : يعاقب ، وأما قول السلف : فيستحق العقاب ، فالاستحقاق والوعيد ثابت ، أما العقاب بالفعل فتحت المشيئة ، لكن هذا في الأشياء التي تدخل تحت المشيئة ، أما غيره كالشرك الأكبر والأصغر فلا بد في الشرك من توبة ، فكل الذنوب تحت المشيئة إلا الشرك فلا يُغفر إلا بالتوبة ، قال تعالى { إن الله لا يغفر أن يشرك به } .
لكن المصنف في هذه الأربع لم يرد الواجب الاصطلاحي بل هذه أركان وأسس فالعلم بالرب والدين والرسول ﷺ هي أصل الأصول وأعظم الواجبات .
قوله : " **علينا** " نا : هنا يقصد بها جميع الخلق حتى الكفار فإن الكفار مخاطبون ومكلفون بفروع الشريعة وأصولها ، فالمسلمون مخاطبون بفروع الشريعة بالقرآن والسنة ، أما توجهه للكفار فنعم فيستحقون العقاب على ترك الأوامر والدليل { ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين } وكذلك { فويل للمشركين اللذين لا يؤتون الزكاة } وقوله { ولم نك نطعم المسكين } وعلى الزنا أيضاً يعاقبون وهكذا كل خطاب موجه للمسلمين مخاطب به

الكافرين ، لكن إذا اسلم وتاب عفى عنه ما سلف والدليل قوله تعالى : { قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف } وقوله ﷺ : [الإسلام يجب ما قبله] ، ولفعل الصحابة ، وكذلك المرتد في هذه المسألة كالكافر فلا يُؤمر بقضاء ما تركه زمن الردة .

وحتى الجن أيضاً مخاطبون بهذه المسائل ، كما قال تعالى : { وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون } ، ولقوله تعالى : { فولوا إلى قومهم منذرين } والضمير يعود إلى الجن .

ترك الواجب محرم

الوجوب ها هنا المقصود به ما يشمل الوجوب العيني والوجوب الكفائي؛ أما بالنسبة للأول ألا وهو العلم، فما ذكره واجب علينا أن نتعلمه وجوبا عينيا، ألا وهو معرفة ثلاثة الأصول؛ معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه، هذا واجب فمثل هذا العلم لا ينفع فيه التقليد، واجب فيه أن يحصله العبدُ بدليله، والعبارة المشهورة عند أهل العلم: أن التقليد لا ينفع في العقائد، بل لابد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها، هذا الدليل أعم من أن يكون نصا من القرآن، أو من سنة، أو من قول صاحب، أو من إجماع، أو قياس، وسيأتي تفصيل الدليل إن شاء الله تعالى في موضعه.

التقليد هذا لا يجوز في العقائد عند أهل السنة والجماعة،-**أى فى التوحيد والرسالة** – وذكرنا فى الدرس الماضى الفرق بين التقليد والإتباع والعقيدة والتوحيد فالتقليد لا يجوز عند المبتدعة من الأشاعرة والماتريدية والمتكلمة، لكن ننتبه إلى أن الوجوب عند أهل السنة يختلف عن الوجوب عند أولئك في هذه المسألة، والتقليد عند أهل السنة يختلف عن التقليد عند أولئك، فأولئك يرون أن أول واجب هو النظر، فلا يصح الإيمان إلا إذا نظر، ويقصدون بالنظر؛ النظر في الآيات المرئية؛ في الآيات الكونية، ينظر إلى السماء، يستدل على وجود الله جل وعلا بنظره، أما أهل السنة فيقولون يجب أن يأخذ الحق بالدليل، وهذا الدليل يكون بالآيات المتلوّة، أولئك يحيلون على الآيات الكونية المرئية بنظرهم، بنظر البالغ، وأما أهل السنة فيقولون لابد من النظر في الدليل، لا لأجل الاستنباط، ولكن لأجل معرفة أن هذا قد جاء عليه دليل، في أي المسائل؟ في المسائل التي لا يصح إسلام المرء إلا به؛ مثل معرفة المسلم أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دون ما سواه، هذا لابد أن يكون عنده برهان عليه، يعلمه في حياته، ولو مرة، يكون قد دخل في هذا الدين بعد معرفةٍ الدليل، ولهذا كان

علماؤنا يعلمون العامة في المساجد، ويحفظونهم هذه الرسالة ثلاثة الأصول لأجل عظم شأن الأمر.

أي يلزم كل فرد من أفراد المكلفين ، ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً ، وهذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها .

والعلم أنواع :

■فمنه ماهوفرض عين على كل مسلم ولا يسع المسلم جهله :

وهو معرفة أصول الدين وأركانه ومالا يقوم الدين إلا به، وهذا داخل فيما رواه ابن ماجة من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال:"طلب العلم فريضة على كل مسلم"، وقد ضعَّف الحديث جماعة لضعف سنده، وبعضهم رأى أنه يتقوى لكثرة طرقه وشواهده كالمزِّي والسيوطي والألباني، قال الإمام أحمد رحمه الله: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. قيل له مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله، صلاته وصيامه ونحو ذلك.

ومن آكد العلوم تعلم الأصول الثلاثة؛ لأنه لا يتم إسلام إنسان إلا بها وهي التي يُسأل عنها في قبره، فالعبد إذا عرف ربه ودينه ونبيه كمُل دينه.

■**ومن العلوم ماهو فرض كفاية :**

وهو ما سوى ما يحتاجه المسلم لقوام دينه من علوم الشريعة، فإنه يجب أن ينبري لتعلمها طائفة وهم في ذلك مأجورون مثابون، لكن لا يجب على كل الأمة تعلمها كوجوب أصول الدين.

* **فائدة: ماهو العلم الذي يعنيه المؤلف هنا؟**

بيَّنه فقال:(وهو معرفة الله)

أي أن يعرف العبد ربه معرفة تجعله يقبل على عبادته وحده دون ما سواه، ويتعلق قلبه بمولاه فلا يدعو إلا هو ولا يعبد إلا هو ولا يتوكل إلا عليه ولا يخاف إلا هو، وهذا العلم هو أشرف العلوم وأهله هم أخشى الناس وأتقاهم، فعلى قدر ما يكون في القلب من معرفة الرب جل وعلا، يمتلئ محبةً وخوفاً وتألهاً ولذا قال تعالى ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..﴾(فاطر: من الآية٢٨)

والعلم بالله نوعان:

●**الأول: العلم بالله نفسِه.**

بأن يتعرف على صفات ربه من قدرة ورحمة وكرم وقوة وغنى، وعلمه بالخلائق وقيامه على الأمور وغيرها، ويتعرف على أسمائه الحسنى ويتأمل فيها ويتدبرها ويستشعر،معانيها، وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب لصاحبه خشية وتعظيماً للرب لا محالة، فعرف العبد ربه ولذا قال الرسول ﷺ:"إني أعلمكم بالله وأشدكم له خشية"رواه مسلم ولما قال رجل للشعبي رحمه الله أيها العالم قال: إنما العالم من يخشى الله.

أي معرفة الله عز وجل بالقلب معرفة تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والأنقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله مُحَمَّد ﷺ ، ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علماً بخالقه ومعبودة قال الله عز وجل: ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ {سورة الذاريات، الآيتين: ٢٠-٢١} .

وهذا العلم خطره عظيم كان السلف يتواصون به؛ لأنه يتعلق بالرب جل وعلا.

قال ابن مسعود ﷺ:"كفى بخشية الله علماً وبالاغترار بالله جهلاً"؛ لأن ثماره على النفس والعمل والقلب ظاهرة، ومع ذلك فكثيرٌ من الخلق عنه غافلون مع أنه من العلوم العظيمة القدر التي يعظم على العبد نفعها في الدارين، وهي حجاب كثيف دون التقصير في جنب الله والوقوع في حدوده؛ ولذا قال السلف رحمهم الله:"ما عصى الله إلا جاهل"أي: جاهل بعظمة الرب وقدره وإن لم يكن جاهلاً بأحكامه وشرعه.

●**الثاني: العلم بشرع الله وأحكامه من حلال وحرام**

فيعرف الأحكام والواجبات والمحرمات،وهذا نوع عظيم حث الشارع عليه.

* **فائدة: الناس أقسام أربعة :**

١. عالم بالله وبأحكام الله فهذا أفضلهم.

٢. عالم بالله وجاهل بأحكام الله.

٣. عالم بأحكام الله وغير عالم بالله.

٤. جاهل بالأمرين جميعاً

فعلى العبد أن ينظر موقعه من هذه الأقسام

ما معنى الوجوب.

فالواجب في اللغة: الساقط واللازم، والثابت، وَجَبَ يَجِبُ وَجْبَةً سقط، وقال في المصباح: وَجَبَ الحَقُّ والبَيْعُ يَجِبُ وُجُوبًا ووَجْبَةً لزم وثبت.

إذ الواجب يأتي بمعنى الثابت، «أسألك موجبات رحمتك». يعني الكلمات المثبتة للرحمة، {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا} [الحج: ٣٦] بمعنى سقطت، هذا معنى الواجب في اللغة.

أما في الاصطلاح: فهو ما طلب الشارع فعله طلبًا جازمًا. وكل ما طلب الشارع – يعني الله عز وجل أو رسوله – ﷺ – فعله على جهة الإيجاب طلبًا جازمًا – احترازًا عن الندب – فحينئذٍ نقول: هذا واجب بحيث لا يُجَوِّز الشرع له الترك. لأن هذا من ضوابط أنه جازم أو ليس بجازم، لأننا نقول: أن ما طلب الشارع فعله طلبًا إما أن يكون جازمًا وهو الواجب، وإما أن يكون غيرَ جازم وهو الندب.

ما الذي يُفَرِّقُ لنا بين هذا وذاك؟ نقول: إن رَتَّبَ الشارع العقوبة على الترك فحينئذٍ يكون هذا الطلب جازمًا، وإن لم يرتب العقوبة على الترك فنقول: هذا الطلب غير جازم وهو الندب، لا بد أن يَعِيِيَ طالب العلم الفرق بين الواجب، والندب، والكراهة، والتحريم، والإباحة. بل نص بعض أهل العلم أن من العلم الواجب العيني تعلم الأحكام الخمسة.

إذًا ما طلب الشارع فعله طلبًا جازمًا نقول: هذا هو الواجب.

ما الذي يجب؟ قال: (تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلِ). تعلُّم يعني تحصيل تفعُّل، التفعُّل قد يأتي لتحصيل الشيء شيئًا فشيئًا، فالذي يجب هنا متعلَّق الوجوب محل الوجوب. كمن نقول: الصلاة واجبة، الزكاة واجبة. هنا ما الذي يجب؟ يجب تعلم يعني تحصيل وطلب العلم.

إذًا العلم واجب، وقد يكون العلم مستحبًا، إذا أُطْلِقَ العلم في مقام الحديث عن الشرع وما يترتب على الشرع فحينئذٍ يراد بالعلم العلم الشرعي، لأن العلم من حيث محله إما أن يكون شرعيًا، وإما أن يكون غيرَ شرعي، يعني إما أن يكون علمًا أُخرويًا، وإما أن يكون علمًا دنيويًا بحتًا، فإذا أطلقت النصوص وما رتب عليه من ثواب ومدح لأهله فالمراد به العلم الشرعي، وهو معرفة الهدى بالدليل كما قال ابن القيم رحمه الله.

هذا العلم قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا. إذًا ما طلب الشارع فعله طلبًا جازمًا من العلم بحيث رتب العقوبة على ترك طلب هذا العلم، هكذا نُنَزِّل الحدّ على هذه المسألة، نقول: العلم منه واجب، وما حقيقة الواجب؟ ما طلب الشارع فعله يعني إيجاده طلبًا جازمًا بحيث رتب العقوبة على ترك هذا الفعل أو القول، فحينئذٍ نقول: بعض العلم واجب لو لم يطلبه المكلف حينئذٍ وقع في الإثم، ولذلك أوضح من الحدّ أو الحقيقة أن نقول:

الواجب: ما يثاب فاعله امتثالاً ويعاقب تاركه أو يستحق العقوبة تاركه.

العلم كذلك قد يكون واجبًا فيثاب فاعله وطالبه ومحصّله إذا نوى به القربة إلى الله عز وجل والامتثال، ويعاقب لو تركه، ومنه ما سيذكره المصنف هنا من العلم بهذه المسائل الأربعة. ومنه ما هو فرض كفاية.

واجبٌ عيني لتعلقه بكل عين، لا يجوز لأحد تركه، لا يعذر أحدٌ بجهله البتة، هذا العلم العيني. الواجب على كل فرد من أفراد المكلفين.

والواجب الكفائي: الذي يكون متعلقه بعض فئات الناس دون الآخرين

إذًا العلم نقول: معرفة الهدى بدليله. وهو قسمان: فرض وسنة.

والفرض نوعان: فرض عين، وفرض كفاية.

والفرض العين كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات،

قال الإمام أحمد: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. يجب على المكلف، كل مكلف ولو كان عاميًّا له أن يسأل أهل العلم، {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧] وليس عندنا إلا عالم وجاهل، {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرعد: ١٩] إذًا ليس ثمة إلا عالم أو جاهل، وليس عندنا واسطة، ما يُسمَّى الآن بالمفكِّر أو المثقف هذا إمّا أن يكون عالمً وإمّا أن يكون جاهلاً. والعلم باتفاق أنه يتبعض ويتجزأ، فإذا عرف المسألة بدليلها من كتاب أو سنة نقول: هو عالم بهذه المسألة، إن لم يعلم فهو جاهل، سمِّه مفكرًا سمّه مثقَّفًا سمّه ما شئت، لكن في الحقيقة إما عالم وإما جاهل ولا واسطة بينهم {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. إن علمتم فلا تحتاجون إلى السؤال، إن لم تعلموا فواجبكم حينئذٍ السؤال.

قال الإمام أحمد: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. لأن الدين قد لا يقوم إلا ببعض

الدين، حينئذٍ نقول: هذا العلم به واجب، وما كان وسيلة فحكمه الوجوب، [الوسائل لها أحكام المقاصد]، [ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]. هذا لا يختص به طلاب العلم، بل هو عام في سائر الأمة، كل مكلف يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه، قيل له: مثل أي شيء؟ مثِّل لنا ما يقوم به دينه؟ قال: ما لا يسعه جهله صلاته وصيامه ونحو ذلك. فكل ما كان الخطاب فيه موجَّهًا إلى المكلَّف ولم يكن ثَمَّ قرينة تدل على أن بعض الأمة إذا قام به سقط عن الآخرين فهو **وجوب عيني** كالتوحيد ونحو ذلك.

هنا قوله: (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا) أي الوجوب؟ الوجوب العيني، ولا شك، بدليل ماذا؟ لا بد من دليل لا نثبت الحكم الشرعي إلا بدليل شرعي، **ما الدليل على أن هذه المسائل واجبة؟**

نقول: السورة {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} ما بعد إلا مناقض لما قبله في الحكم، يعني {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} فليسوا في خسارة، ويجب على المكلَّف أن يبتعد وأن يتجنب طريق الخسران، ولا يمكن ذلك إلا بسلوك طريق الإيمان والعمل الصالح، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، هذا دليل الوجوب هنا.

وكذلك أجمع أهل العلم على هذا.

الأولى قوله تعالى : "﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾" وهذا قسمٌ من الله، والله سبحانه وتعالى يقسم بما شاء من خلقه، والعصر هو: الدهر المكون من الليالي والأيام، والشهور والأعوام، وهو عمر الإنسان، وهو ميدان العمل .

الآية الثانية: قوله تعالى : " ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾" هذا هو المقسم عليه، و "ال" هنا للجنس، والمعنى: أن كل إنسان في خسارة، والخُسر: ضد الربح، إلا من استثنى الله بقوله:﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ فمن حقق هذه الأركان الأربعة فاز بالربح العظيم، ونجا من الخسران؛ فحظ الإنسان من الربح بحسب حظه من هذه الخصال الأربعة. ﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ﴾ والإيمان لا يكون إلا بعلم، ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وهذا ثمرة العلم والإيمان، فمن رزقه الله العلم والإيمان عمِلَ الصالحات.

﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ ﴾ أي: نصح بعضهم بعضاً، وذكَّر بعضهم بعضاً،

﴾ والحق: يشمل العلم والإيمان، والعمل الصالح.﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة العمل الصالح، وهو يدخل في الإيمان، فهذه الأمور الأربعة بعضها يدخل في بعض، فعطف الأعمال الصالحة على الإيمان، وعطف التواصي على عمل الصالحات، كلها من عطف الخاص على العام.

فدلت هذه السورة على المسائل الأربع التي ذكرها الشيخ:

مسألة العلم يدل لها قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ ﴾ .

ومسألة العمل يدل لها قوله تعالى: ﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ .

ومسألة الدعوة يدل لها قوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقّ﴾ .

ومسألة الصبر يدل لها قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾

إذًا الآية أو السورة سورة العصر تدل على وجوب تعلم هذه المسائل، ووجه الاستدلال نقول: أثبتَ الرب جل وعلا أن كل إنسان في خسارة، خسارة في الدنيا وفي الآخرة، والخسارة كما سيأتي قد تكون مُطْلَقَةً، وقد تكون من وجهٍ دون وجهٍ، ولا يمكن تجنب هذا الخسران إلا بالاتصاف بما بعد إلا، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ويأتينا إشارة تقريره أكثر من هذا في شرح السور.

(أَنَّهُ يَجِبُ) إذًا عرفنا معنى الوجوب، الوجوب عند أهل العلم أوسع مما أراده المصنف هنا رحمه الله، لأن الواجب: ما طَلَبَ الشارع فعله طلبًا جازمًا. قد يكون داخل الماهية، ولا تقوم تلك الماهية إلا به، وهو ما يسمى بالركن. وقد يكون خارجًا سابقًا عن الماهية ولا تقوم تلك الماهية إلا به، وهذا يُسَمَّى الشرط.

إذًا الواجب قد يكون ركنًا – تنبه لهذه المسألة، قلَّ من نبه عليها في الشروح – الواجب قد يكون ركنًا وهو جزء الماهية الداخل في حقيقتها.

إذًا الطهارة للصلاة نقول: هذه شرط وهي واجبة.

إذًا الواجب قد يكون ركنًا، وقد يكون شرطًا، وقد يكون غير ذلك،

معنى قوله المصنف رحمه الله (علينا)

إذًا يجب علينا معشر الجن والإنس، مؤمنين وكفارًا لأن الحكم عام، معرفة الله عز وجل ليست خاصة بطلاب العلم، ومعرفة النبي - ﷺ - ليست خاصة بطلاب العلم، وإنما هي عامة تشمل الإنس وتشمل الجنّ والكفار. أما الإنس فواضح {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} عطف الإنس على الجن، إلا ليعبدون إذًا الإنس والجن مكلفون بالتوحيد، ومكلفون بفروع الشريعة، ولذلك جاء {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا} [الجن: ١ - ٢] إذًا آمنوا. وجاء هناك {وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩] يعني ليس إيمانًا فقط، وإنما عملوا ودعوا كذلك إليه، حينئذٍ نقول: (عَلَيْنَا) يشمل الإنس، ويشمل الجن لأنهم مكلفون بالنص.

ويشمل الكفار لأن **الكافر مخاطب بأصول الشريعة** وهذا محل اتفاق، وبفروع الشريعة على الصحيح. مخاطب بأصول الشريعة لعموم الأدلة {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ} [البقرة: ٢١]، {اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ} أي وحِّدوا الله، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} والناس هذا يشمل المؤمنين والكافرين، فالكافرين مخاطبون بأصول الشريعة، عموم قوله جل وعلا {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} يشمل الإنس هذا إنس فحينئذٍ نقول: الكفار مخاطبون بأصول الشريعة بالإيمان، ولا خلاف بين أهل العلم في هذه المسألة، يبقى مسألة الفروع كالصلاة، والزكاة، والصيام، ونحو ذلك، وبر الوالدين، وصلة الرحم، هذا فيها خلاف بين أهل العلم، والصواب أنهم مخاطبون كذلك بفروع الشريعة، ولذلك جاء قوله: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر: ٤٢ - ٤٣] و {وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت: ٦ - ٧] وقوله: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً} [الفرقان: ٦٨ - ٦٩] حينئذٍ رتب العقاب ورتب مضاعفة العذاب على الشرك {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} يعني يدعو غير الله فقد وقع في الشرك، ولذلك جاء {وَيَخْلُدْ فِيهِ} إذًا الخلود هذا مقابل للشرك. {وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ} فقتلوا هذا معصية {وَلا يَزْنُونَ} فزنوا، حينئذٍ فعلوا الشرك وفعلوا كبيرتين لا تخرجهم من الملة إذا فعلهما المسلم، وهما قتل النفس المعصومة بغير حق، وفعل الزنا. قال: {يُضَاعَفْ} [الفرقان: ٦٩] فالمضاعفة هنا في مقابلة فعل الشرك وارتكابهم للكبيرتين.

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ} [النحل: ٨٨] أي عذاب؟ الذي هو مقابل للشرك، {زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ} أي عذاب؟ نقول: العذاب الذي رتبه الربُّ جل وعلا

على وقوعهم في الكفر والشرك، فحينئذٍ زدناهم عذابًا لصدهم عن الحق، وصدهم عن سبيل الحق.
إذًا نقول: (عَلَيْنَا) يشمل الإنس والجن مؤمنهم وكافرهم، فالجن مخاطبون بالشريعة أصلاً وفروعًا، قد يختلفون في بعض المسائل لاختلاف هيئاتهم وحقيقتهم، كذلك الكفار مخاطبون بأصول الشريعة وهو محل اتفاق وبفروع الشريعة.
إذًا (يَجِبُ عَلَيْنَا) كل فرد من أفراد المكلفين مما ذكرنا من الجنّ والإنس والكفار.
ما الذى يجب (تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِل)؟
(أَرْبَعِ مَسَائِل)، **(مَسَائِل)** جمع مسألة مشتقة من السؤال، وهو ما يُبرهن عنه في العلم، يعني ما يُثبت له الدليل، ويُطلب ويُسأل عنه، هذه تسمى مسألة.
ما حكم الصلاة؟ أو ما هي الصلاة، ما دليلها؟ حينئذٍ نقول: الصلاة واجبة لقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} [البقرة:٤٣]، والزكاة واجبة لقوله: {وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة:٤٣]، الربا محرم لقوله: {لا تَأْكُلُوا الرِّبا} [آل عمران:١٣٠] حينئذٍ نقول: هذه مسألة أُثبتت بدليل، يُبرهن عليها في العلم بدليل، فيُذكر الدليل من جهة المتكلم

(وهو معرفة الله) .

فسر العلم بأنه معرفة الله ، أي : أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعرف كل واحد ربه بذاته وصفاته وأفعاله ، ،انه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وأن يعرف العبد بأن الله تبارك وتعالى هو خالقه ورازقه والمتصرف في أمره ، بل وفي الكون كله ، وهو المستحق لأن يعبد وحده دون سواه ، وكل عبادة صرفت لغيره فهي عبادة باطلة ، وأن يؤمن بأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ .
فمن عرف الله عز وجل حق المعرفة ، وقدره حق قدره ، فأقام فرائضه ، وأدى الواجبات ، وامتثل المأمور ، واجتنب المنهي ، وأحل الحلال معتقداً حله ، وحرم الحرام معتقداً تحريمه ، وهو في كل ذلك يرجو رحمته ويخشى عقوبته طيلة حياته ، فهو المؤمن حقاً ، له من ربه مغفرة وأجر عظيم .
(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) أيضًا معرفة بالقلب تستلزم قبول ما جاء به النبي – ﷺ –، فإن لم تكن كذلك فحينئذٍ نقول: لا عبرة بهذه المعرفة، لأنه ليس المراد معرفة فطرية قلبية فحسب بل لا بد أن تكون مثمرة للقبول، والانقياد، والطاعة، ولذلك نُفِيَ الإيمان عن من عرف النبي – ﷺ – ولم يُحَكِّمْ شَرْعَهُ. {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء:٦٥]، {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ}

[النور:٦٣] مخالفة لأنها تنافي مقتضى المعرفة، فإذا عرف النبيَّ – ﷺ – ولم يحكِّم النبي – ﷺ – وخالف أمره، نقول: هنا وجود مثل هذه المخالفة قد اقتضت وجود النافي لهذه المعرفة فكأنها غير موجودة، ولذلك قال: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ} هذا نَفْيٌ لأصل الإيمان يعني بل كفار {حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}، {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور:٥١] فأثبت لهم الفلاح، وضدُّ الفلاح وهو الخسران، {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء:٥٩] هنا قيده بالشرط إن كنتم تؤمنون، فحينئذٍ يكون التحاكم إلى النبي – ﷺ – مفهومه إن لم تكونوا مؤمنين فحينئذٍ لا تردوه إلى الله ورسوله {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ} [النساء:٥٩] أيِّ شيء، شيء نكرة في سياق الشرط فحينئذٍ تعم، لو في عود أراك اختلف المسلمون فحينئذٍ يتحاكمون إلى الشرع ولا يجوز التحاكم إلى غيره، {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩] إلى الله يعني إلى كتابه، وإلى الرسول إذا كان حيًّا هو بذاته عليه الصلاة والسلام أو إلى سنته {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء:٥٩].

إذًا لا بد أن تكون معرفة النبي – ﷺ – مستلزمة لقبول ما جاء به عليه الصلاة والسلام امتثالاً لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، وتصديقًا لأخباره – ﷺ –، وتحكيمًا لشريعته، والرضا بحكمه عليه الصلاة والسلام.

هنا قال: **(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ)** ولم يقل رسوله. أيهما أخص وأيهما أعم؟

كلُّ رسولٍ نبيٌّ ولا عكس، ليس كل نبي يكون رسولاً، إذًا أيهما الأعم؟

النبي أعمّ لأنه أوحي إليه بشرع – على المشهور – فإن أمر بتبليغه فهو رسول وإلا فهو نبي. لذلك القاعدة عند الجمهور: كل رسول نبي ولا عكس، ليس كل نبي يكون رسولاً،

(وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ بِالأَدِلَّةِ) دين الإسلام الدِّين يتضمن الخضوع والذُّل بضم الذال، يقال: دِنْتَهُ فَدَانَ أَي أَذللته فذلَّ. ويقال: يَدِينُ الله، ويَدِينُ لله، يعني يتعدى بنفسه ويتعدى باللام، أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له. إذًا دين الإسلام: هو الخضوع وعبادة الله جَلَّ وعلا بما جاء به مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم – الذي سُمِّيَ بالإسلام.

لأن الإسلام له معنيان: معنى عام، ومعنى خاص، لأنه جاء إطلاق لفظ الإسلام في شرائع من قبلنا، ونعلم أن رسالة مُحَمَّد – ﷺ – ناسخة لجميع الرسائل السابقة، أليس كذلك؟

أنا نقول: إن دين الإسلام الذي جاء به مُحَّد – ﷺ – ناسخ لجميع الأديان السابقة، لكن جاء وصف مَن سبق بالإسلام، جاء على لسان إبراهيم عليه السلام: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} [البقرة: ١٢٨] وصفها بالإسلام، كذلك جاء في وصف التوراة وأنبياء بني إسرائيل {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} [المائدة:٤٤] وصفهم بالإسلام، كذلك قال موسى لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس:٨٤] وصفهم بالإسلام {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الذاريات: ٣٦].

ما المراد بالإسلام هل الإسلام الذي جاء به مُحَّد – ﷺ –.

نقول: هذا إسلام العام، يُفسر بماذا؟ يفسر بالقدر المشترك بين الأنبياء وهو ماذا؟ التوحيد، يُفسر بالتوحيد {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥] إذ دين الأنبياء واحد، وهو الدعوة إلى عبادة الله جل وعلا ونبذ كل ما سواه {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [البقرة:٢٥٦]، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، إذًا فسر لا إله إلا الله التي جاءت في {إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]، هنا قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} هذه الكلمة مدلولها اعبدوا الله، وهي التي جاء فيها {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} [النحل:٣٦] والمعنى واحد، لأن معنى لا إله إلا الله هو الأمر بعبادة الله جل وعلا، وهي التوحيد الذي جاء في السنة كما سيأتي بيانه. إذًا هذا إسلام عام المراد به عبادة الله جل وعلا وحده، ونبذ كل ما سواه سبحانه من الآلهة الباطلة.

وأما الإسلام الخاص فهو ما جاء به مُحَّد – ﷺ – أصلاً وفرعًا، يعني الأصول التي شارك فيها غيره من الأنبياء كأصول التوحيد والإيمان، وكذلك الفروع التي هي كالصلاة والزكاة ونحو ذلك، فصار عَلَمًا بالغلبة في أمة مُحَّد – ﷺ – إذا أُطلق انصرف إلى ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وإلا فالأصل هو وصفٌ عامٌّ لكل ما جاء به الأنبياء ثم صار علمًا بالغلبة لما جاء به مُحَّد – ﷺ –.

إذًا (مَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ) أي ما جاء به مُحَّد – ﷺ –، فهنا المراد به الإسلام الخاص، بعد بعثة النبي – ﷺ – فيختص بما بعث به مُحَّد – ﷺ –، لأن ما بعث به النبي عليه الصلاة والسلام نسخ جميع الأديان السابقة، فصار من اتبعه مسلمًا، ومن خالفه ليس بمسلم، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، أتباع موسى عليه السلام مسلمون في زمن موسى عليه السلام، ثم بعد بعثة النبي – صلى الله

عليه وسلم – ليسوا بمسلمين بل هم كفار، واليهود مسلمون في زمن موسى عليه الصلاة والسلام، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، وأما حين بعث النبي – ﷺ – كفروا به فليسوا بمسلمين.

وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه، قال الله عز وجل: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ} [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥] وهذا الإسلام هو الإسلام الذى امتن الله به على مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم – وأمته، قال الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً} [المائدة:٣] أي الإسلام الخاص دينًا تدينون به ربَّكم جل وعلا.

(وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ) هذا هو الأصل الثالث في مفهوم العلم الشرعي الذي يجب على كل فرد فردٍ من المكلفين علمه به، ولا يُعذر أحد بجهله البتة.

قال: (**بِالأَدِلَّةِ**) والأدلة جمع دليل، ، والمراد به بالدليل هنا في الاصطلاح عندهم: ما يُرشد إلى المطلوب فكل ما أرشد غيره إلى مطلوب له فحينئذٍ يُسمى دليلاً، فإذا قلت: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} [البقرة:٤٣]، نقول: هذا دل على ماذا؟ على وجوب الصلاة، إذًا وجوب الصلاة لا بد له من شيء أرشد إليه، ما الذي أرشد إليه؟ قوله جل وعلا: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} [البقرة:٤٣] لأنه أمر والأمر يقتضي الوجوب، حينئذٍ فالصلاة واجبة، فنقول: قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ} [البقرة:٤٣] أرشد إلى المطلوب وهو وجوب الصلاة. {لا تَأْكُلُوا الرِّبا} [آل عمران:١٣٠] هذا نهي، والنهي الأصل فيه أنه للتحريم، حينئذٍ نقول: الربا محرم، ما الذي أرشد إلى هذا المطلوب أن الربا محرم؟ قوله تعالى: {لا تَأْكُلُوا الرِّبا} [آل عمران:١٣٠]. وكل ما أرشد إلى المطلوب فهو دليل.

المسألة الأولى

(**الأُوْلَى العِلْمُ**) أولى هذه المسائل التي يجب علينا معاشر المسلمين من الإنس والجن تعلمها العِلْمُ، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] أي هذا اليوم، (العِلْمُ) أي هذا العلم، أيُّ علمٍ؟ فَسَّرَهُ بما بعده وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه – ﷺ –، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

إذًا العلم المخصوص في المسألة الأولى معيَّن، وليس على إطلاقه، ليس كلَّ علمٍ، لأن العلم الشرعي أو العلم إذا أطلق انصرف إلى العلم الشرعي،

والعلم نوعان: علم دنيوي محض كالهندسة والطب ونحو ذلك، وعلم شرعي مصدره الوحيان من الكتاب والسنة، فكلُّ ما كان من الكتاب والسنة فهو من الدين وهو من العلم الشرعي، وكلُّ ما لم يكن من الكتاب والسنة فحينئذٍ ليس من الدين {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم:٣ – ٤] ليس عندنا إلا الوحيان: قال الله تعالى، وقال رسوله – ﷺ –، وإذا أجمعت الأمة على أمرٍ فحينئذٍ يكون مدلوله في الكتاب والسنة، إذًا كل ما كان من الوحي فهو علم شرعي وهو من الدين، وكل ما لم يكن كذلك فليس من الدين، وليس من العلم الشرعي، فاعرف ما تطلبه.

العلم ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في العلم الشرعي هو معرفة الهدى بدليله

الْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الهُدَى بِدَلِيْلِهِ ... مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيْدُ يَسْتَوِيَانِ

العلم: معرفة الهدى يعني الوحيّ قرآنًا وسنةً، بدليله، أو مدلول القرآن والسنة مقرونًا بدليله، ما ذاك والتقليد يستويان، نعم لا يستوي المقلد مع العالم.

ثم هذا العلم قد يكون واجبًا، وقد يكون مُستحبًا، هل يكون مباحًا؟ العلم صلاة السر وعبادة القلب، كل عبادة، كل ما أمر الله به فهو أمران: إما أمر إيجاب، وإما أمر استحباب. ولذلك نقول: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا يشمل الواجب والمستحب، وليس عندنا عبادة مباحة، لأن المباح ليس من الحكم الشرعي التكليفي، ليس من الأحكام التكليفية، لم يكلف العباد بالمباح، حينئذٍ نقول: العلم إما واجب وإما مستحب فقط، والواجب إما أن يكون واجبًا عينيًّا، سُمِّيَ عينيًّا لتعلقه بكل عين، يعني يجب على فرد فردٍ من المكلفين، لا يقوم أحد مقام الآخر، ولا ينوب أحد مناب الآخر، ولا يُعذر أحد بجهله البتة، هذا عُلْمٌ عَيْنِيّ تاركه آثم، لأنه وجب عليه مثل الصلاة، نقول: صلاة الفجر على المكلف الذي ليس معه عذره واجبة عليه بنفسه لا يصلي ولده عنه ولا أبوه عنه، ولا تسقط عنه بجهل ولا بنحو ذلك، فلا بد أن يصلي.

كذلك لا بد أن يتعلم هذا العلم، مثل ماذا؟ مثَّلوا له بأصول الإيمان، وشرائع الإسلام – شرائع الإسلام المقصود بها أركان الإسلام الخمسة – وما يجب اجتنابه من المحرمات الزنا، الربا، الغيبة، النميمة، عقوق الوالدين، قطيعة الرحم. هذه نقول: محرمات تجب على الجميع.

إذًا ما يجب اجتنابه لا بد أن يعرفه، كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به.

إذًا هو ما يجب أداؤه على كل مكلَّف بعينه. هذا هو حقيقة العلم الذي يكون **فرض عين**.

النوع الثاني: فرضٌ كفائيٌّ، وهو ما كان متعلِّقًا بجملة المسلمين كمعرفة أحكام الشريعة على جهة التفصيل، والخلاف، وذكر الأدلة، والتصريف في العلوم، والجهاد فى سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نقول: هذا فرض كفاية، إذا قام بها بعض المسلمين صار في حق الباقين سُنّة، فمن حيث الأفراد يكون سُنَّةً ومن حيث الجملة يكون فَرْضًا، فإذا حصلت الكفاية بواحد سقط تعلق الوجوب بتلك القرية ونحوها، هذا يسمى فرض كفائي. وما عدا ذلك فهو سُنّة، والاشتغال بالعلم مطلقًا هو من أفضل العبادات كما قال الشافعي رحمه الله تعالى.

هنا قال: (الأُوْلَى العِلْمُ) ثم عرَّفَه، والمراد بالعلم هنا العينيّ لأنه قال: (يَجِبُ عَلَيْنَا) على كل فرد فردٍ من المكلفين. وهذا شأن العلم العينيّ، فدل على أن هذه المسائل الأربعة التي سيذكرها كلها واجبات، لأننا إذا قسمنا التقسيم العام، العلم منه: واجب، ومستحب. والعمل به بالعلم منه: واجب، ومستحب. والدعوة إليه إلى العلم منه: واجب، ومستحب. والصبر على الأذى فيه، الصبر قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا.

إذًا الأربعة عبادات، ومن جُلِّ العبادات، وأهم العبادات، لكنها تنقسم إلى قسمين:

– منها ما هو واجب.

– ومنها ما هو مستحب.

بقوله: **(يَجِبُ عَلَيْنَا)** أخرج المستحبات من الأربعة المسائل، لَمَّا قال: (يَجِبُ عَلَيْنَا) يعني على كل فردٍ فرد، دَلَّ على أن مراده بهذه المسائل الأربع الواجبات، فيتعين أن يكون المسألة الأولى العلم الواجب العينيّ، والعمل به أي العمل الواجب لا المستحب، لأن العمل بالمستحب بالعلم الذي هو مستحب ليس بواجب، إذا علمتَ أنَّ السنة بعد المغرب ركعتان، فحينئذٍ يجب عليك أن تصلي ركعتين؟ أنت تعلم أنها مستحبة، يجب عليك العمل بهذا العلم؟ لا يجب، إذًا العمل بالمستحب مستحب، والعمل بالواجب واجب، كذلك الدعوة إلى العلم الشرعي الواجب واجبة، لا، لا تسقط عن أحد، والدعوة

إلى العلم المستحب تكون مستحبة. كذلك الصبر ينقسم إلى قسمين: واجب، ومستحب.

إذًا مراده رحمه الله تعالى بهذه المسائل الأربعة أنواع الواجب منها فحسب، وإن كان كثير من الشراح يعممون المسائل، لا، لذلك قال: (يَجِبُ عَلَيْنَا)، إذًا العلم المراد به هو العلم العينيّ الذي هو فرض على كل أحد وكل فرد من أفراد المكلفين، ما هو؟

قال: (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ – ﷺ – وَمَعْرِفَةُ دِيْنِ الإِسْلاَمِ بِالأَدِلَّةِ) هذه ثلاثة أركان هي أركان العلم العيني الذي قصده المصنف رحمه الله تعالى.

معرفة الله

ولهذه المعرفة بابان واسعان :

أحدهما : النظر في مفعولاته .

الثاني : التفكر في آياته وتدبرها .

فالنوع الأول كقوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس .... ﴾ .

وقوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ .

قال المصنف : " وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة " .

(**مسألة**) ذكر معرفة النبي ﷺ بعد معرفة الله عز وجل وقدم معرفة النبي ﷺ على معرفة الدين وفي الدرر ١ / ١٤٧ قال أن من الواجب على كل مسلم ومسلمة : معرفة ثلاثة أصول ، والعمل بهن . ثم ذكرها وهي : الأصل الأول : في معرفة العبد ربه، ثم ذكر ذلك ، الأصل الثاني : في معرفة دين الإسلام ، الأصل الثالث : في معرفة نبينا مُحَمَّد ﷺ .

فقدم معرفة الدين على معرفة النبي ﷺ وهذا ليس فيه شيء لأنهما متلازمان ، والواو لا تقتضي الترتيب وإن كان عادة معرفة النبي ﷺ تسبق معرفة الدين فلا بد أن تعرف هذا النبي ثم تأخذ منه الدين

(**مسألة**) قوله بالأدلة أي أن الثلاثة تكون مقرونة بالأدلة .. فالباء هنا للمصاحبة .

فيجوز التقليد في علم العقائد ولكن بشرط أن تجزم بما قلدت به ولا يشترط أن تعرف الدليل

والتقليد هو : **اتباع من ليس قوله حجة . ليخرج بذلك اتباع الرسول ﷺ فليس تقليداً أنه اتباع للحجة وكذا اتباع أهل الإجماع لأن الإجماع حجه .**

قال أبو عمر بن عبد البر وغيره : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن معرفة الحق بدليله.

قال ابن القيم : وهذا كما قال أبو عمر فإن الناس لا يختلفون في أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .

قال المصنف " معرفة نبيه " ولم يقل رسوله وهما مترادفان هنا . ثم قال : معرفة دين الإسلام بالأدلة .

" أن العلم بمعنى المعرفة " فقال المصنف (الأولى : العلم ؛ وهو : معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)

مع أن هناك فرق بين العلم والمعرفة والإدراك ، قال ابن القيم في مدارج السالكين ٢ / ٤٧٢

والفرق بين العلم وبين المعرفة من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن المعرفة لب العلم ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان وهي علم خاص متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق ،

والثاني : أن المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه فهي علم تتصل به الرعاية ،

والثالث أن المعرفة شاهد لنفسها وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن صاحبها أن يشك فيها ولا ينتقل عنها وكشف المعرفة أتم من كشف العلم والله سبحانه وتعالى أعلم

قال المصنف " العلم " الآلف واللام للخصوص ، ولا يقصد جميع العلم لأن المصنف عرفه فقال هو معرفة الله ... الخ ، فإذاً المصنف قصد به العلم الشرعي .

ابن القيم رحمه الله يرى الفرق بين العلم والمعرفة، وأن المعرفة أخص من العلم، وأنها بمنزلة الإحسان من الإيمان، وأنها علم ورعاية هذا أهم ما يذكر.

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ): وهو أي العلم معرفة الله جل وعلا، هذه المسائل التي ذكرها قال الشيخ هنا رحمه الله: تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لِعِظَمِ نفعها. (مَعْرِفَةُ اللهِ) ولا يكون العبد على حقيقة من دينه إلا بعد العلم بالله سبحانه وتعالى، ولذلك قدَّم المصنف رحمه الله معرفة الله على معرفةِ الدين ومعرفةِ النبي – ﷺ – لماذا؟ لأنه لا يمكن أن يتلبس بدينه إلا إذا عرف اللهَ عز وجل، عرفه بأسمائه، بإلوهيته، وربوبيته، بأسمائه وصفاته، هذا المقصود بمعرفة الله أن

يعرف بقلبه ربه، من هو هذا الرب؟ من هو هذا المعبود؟ لا بد أن يعرفه بأفعاله التي هي متعلق الربوبية، وأن يفرد هذا الرب بالعبودية وهي أفعال العباد وهو توحيد الإلوهية، وأن يعرف الرب جل وعلا بأسمائه وصفاته.

لكن يُشترط في هذه المعرفة - لأن المعرفة هذه قد تكون معرفة فطرية والمراد هنا في العلم الشرعي - **أن تكون المعرفة شرعية لا فطرية**، لأنه قد يعرف ربه ولكن لا يتحقق الوصف الذي جعله قيدًا في معرفة الربِّ جل وعلا، ضابط المعرفة الشرعية أن تستلزم قبول ما جاء به النبي - ﷺ - من جهة المشرّع وهو الله عز وجل. إذًا هذه المعرفة إن أثمرت قبول الشريعة، والتحاكم والحكم إلى الشريعة، والإيمان بالنبي - ﷺ - وبكلِّ ما جاء من عند الله جل وعلا، حينئذٍ نقول: هذه معرفة شرعية، لماذا؟ لأنه وُجِدَ ثمرتها، وهي قبول الشرع، والحكم بالشرع، والتحاكم إلى الشرع، إن لم تثمر [فهذه] فحينئذٍ نقول: وجودها وعدمها سواء لماذا؟، لأن إبليس يعرف ربه قال: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف:١٢] أثبت أنه خالق، بل وأقسم به: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [صّ:٨٢] فهو يعرف ربه أليس كذلك، بل فرعون يعرف ربه الذي قال: {رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات:٢٤]، {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص:٣٨] يعرف ربه أو لا؟ نقول: يعرف {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} [النمل:١٤] فحينئذٍ نقول: هؤلاء يعرفون ربهم، والكفار يعرفون ربهم أنه الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، المصرف، ولكن هذه المعرفة لم تثمر قبول ما جاء من عند الله جل وعلا، فحينئذٍ نقول: هذه المعرفة وجودها وعدمها سواء.

لذلك قيدها الشيخ رحمه الله قال: أي معرفة الله عز وجل بالقلب - لأنه محل العلم - معرفة تستلزم قبول ما شرعه، والإذعان، والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد - ﷺ -. إن لم تستلزم ذلك فلا عبرة بها، لأنها موجودة عند إبليس، وعند فرعون، وعند الكفار أجمعين.

ويتعرف العبد على ربه بالنظر في الآيات الشرعية في كتاب الله جل وعلا، وسنة رسوله - ﷺ -، والنظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، فإن الإنسان كلما نظر في تلك الآيات ازداد علمًا بخالقه ومعبوده، قال الله عز وجل: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي

أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} [الذاريات: ٢٠ - ٢١] هذا هو الركن الأول من العلم الذي عناه المصنف رحمه الله تعالى

" **مسألة** " **حكم العمل** فيه تفصيل ويختلف باختلاف العلم

فمن العلم ما هو واجب كعلم التوحيد والعقائد ومعرفة الشروط والأركان والواجبات والعبادات الواجبة والمعاملات الواجبة ومعرفة المحرمات ... الخ ، فهذا واجب قال تعالى : { فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك } . ولحديث معاذ في الصحيح مرفوعا (فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوت ... ثم العلم بوجوب الزكاة) الحديث .

القسم الثاني : العلم المستحب كتعلم المستحبات وهذه باعتبار الأفراد أما باعتبار الأمة فلا بد على الكفاية من معرفة المستحبات في الجملة ولأنه من باب حفظ الدين .

القسم الثالث : ما هو فرض كفاية كتعلم الطب والصناعات وهذا فرض كفاية ومثله علم اللغات ... الخ من العلوم المباحة والنافعة للمسلمين .

القسم الرابع : العلم المحرم كتعلم السحر { وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر } وكعلم الكلام ، وعلم الموسيقى وعلم الربا والفن ... الخ ومن ذلك الطريقة العلمانية اليوم في التعليم في المدارس تشبها بالغرب حيث يُفرض على الناس تعليم المحرم او تعليم ما لا يحتاجونه وبشكل عام على كل الطبقات ،

والعلم إذا أطلق فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه .والعلم الشرعي على قسمين : فرض عين . وفرض كفاية .

وما ذكره رحمه الله : فهو فرض العين على الذكر والأنثى والحر والعبد أن يعرفه لا يعذر أحد بجهله .وفي الحديث عن أنس . قال : قال رسول الله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم) . رواه ابن ماجه

قال أحمد : يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ، قيل له : مثل أي شيء : قال : الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامُه

فضل العلم:

١) قال الله تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : (هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء) .

٢) وقال تعالى في شرف العلم لنبيه ﷺ : ﴿ وقل ربي زدني علماً ﴾ .

قال القرطبي رحمه الله : (فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم) .

٣) وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

٤) عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين) رواه البخاري ومسلم

٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) . رواه مسلم

٦) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) . رواه أبو داود والترمذي

المسألة الثانية العمل

الثاني العمل: العمل بالعلم، والعمل بالعلم **منه ما تركه كفر**، ومنه ما تركه معصية، ومنه ما تركه مكروه، ومنه ما تركه مباح، كيف يكون ذلك؟ العلم ينقسم،

فالعلم بالتوحيد؛ بأن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده، إذا علمه العبد ولم يعمل بهذا العلم بأن أشرك بالله جل وعلا لم ينفعه علمه، **فكان ترك العمل في حقه كفرا**، وقد يكون معصية بأن علم مثلا أن الخمر حرام شُرْبُها، حرام بيعها، حرام شراؤها، حرام سقيها، حرام استسقاؤها، ونحو ذلك، وخالف العلم الذي عنده، عَلِمَ أنه حرام فخالف، فتكون مخالفته **معصية**، يعني ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب في هذه المسألة، منه ما هو **مكروه**؛ إذا علم أن النبي عليه الصلاة والسلام، كان يصلي على هيئة، وصِفة معينة، فخالفه في سنة من السنن بعد عِلمه بها، ترك العمل بالعلم الذي عنده هذا مكروه؛ لأنه ترك العمل بسنة ليس بواجب، فيكون تركه مكروه، ويكون العمل بذلك **مستحبا**، وقد يكون العمل بالعلم **مباحا**، وتركه مباح أيضا، بمثل المباحات، والعادات ونحو ذلك، كأن بلغنا من العلم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان من هيئته في لباسه كذا وكذا، كانت مشيته على نحو ما، هذه الأمور الجبلية الطبيعية، فيما نتعلمه، مما لم نخاطب فيها بالإقتداء، إذا ترك العمل بها، كان تركه مباحا له لأنه لم يخاطب المسلم أن يقتدي بمثل هذه الأمور بنحو سير النبي عليه الصلاة والسلام، بصوته، بالأمور الجبلية التي كان عليها عليه الصلاة والسلام، فيكون العمل بذلك مباح، وقد يُؤجر عليه إذا نوى الإقتداء، بنية الإقتداء، فيكون ترك العمل أيضا مباحا. العمل هذا أخذه من قوله جل وعلا؟إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؟(٢) [العصر:٣]

فالعمل بحسبه

إذا كان أصلا فتركه كفر

وإذا كان واجباً فتركه محرم وهو تحت الوعيد

وإذا كان سنة فتركه معصية

وإذا كان مستحبا فتركه مكروه

وإذا كان العمل مباحا فتركه وفعله حسب النية والمآل

قال المصنف " الثانية العمل به " أي من الواجب بعد العلم العمل به ، " به " الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو العلم ، أي يجب العمل بما تعلمت .

" مسألة " العمل ينقسم كما ينقسم العلم :

١- فمنه ما هو واجب كالعمل بالواجبات والشروط والتوحيد ونحو ذلك.

٢- العمل المستحب كالعمل بالمستحبات لكنه في الجملة لا بالجملة .

٣- العمل المحرم كالعمل بالشركيات أوالكبائر.

٤- ما هو مكروه وهو العمل بالمكروهات

" مسألة " هل الترك يسمى عملاً ؟

كمن ترك الزنا فهل يقال عمل صالحا ؟

الجواب فيه تفصيل إن تركه امتثالاً مثل الابتعاد عن وسائل الزنا فهذا عمل صالح .

وإن تركه عجزاً فلا يدخل ، وعلى ذلك فالترك مع النية الصالحة عمل قال تعالى : { وذروا ما بقي من الربا } .

فالعمل هو : ثمرة العلم ، والعلم مقصود لغيره بمنزلة الشجرة ، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به ، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل مخلص متابع الرسول ﷺ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شئون حياته ، وذلك بأن يؤدى حق وحق العبيد .

واعلم أن العلم إن وجد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك ، ودار العلم العمل ، والعلم لا يثبت إلا بالعمل .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : {هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل } . ذكره الخطيب

وقال بعض السلف : { من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم }.

ولذلك كان علماء السلف في الماضي والحاضر هم القمة ، لأنهم عملوا بما علموا في كل وقت ومكان في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك .

كان السلف رضي الله عنهم يتعلمون خمس أو عشر آيات ويعملون بمقتضاها ثم يحفظون غيرها .

وقد ألف الخطيب البغدادي رسالة لطيفة سماها : (العلم يقتضي العمل ، فحذار أن تتشبه باليهود والنصارى ، فاليهود يعلمون ولا يعملون ، والنصارى يعملون بلا علم ، فاليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (من انحرف من العلماء من أمة مُحَّد ﷺ ولم يعمل بعلمه ففيه شبه من اليهود ، ومن انحرف من العباد وعبد الله على جهل ففيه شبه من النصارى) .

والرسول ﷺ يقول : (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، ...) . رواه الترمذي

فاحذر يا أخي أن تكون قدوة سيئة بتركك للعمل ، فهذا ابن القيم يعتصر قلبه حزناً من ظاهرة التناقض فيقول في كتابه الفوائد : (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أفواههم للناس هلموا ، قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق) .

نماذج مشرقة في تطبيق العمل بالعلم :

عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً) . رواه البخاري ومسلم

ولما علم النبي ﷺ علياً وفاطمة : أن يسبحا ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال : (فهو خير لكما من خادم) قال علي رضي الله عنه : ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ ، قيل له : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين . رواه مسلم

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : (ما حق امريء مسلم له شيء يوصي فيه ؛ يبيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي) . رواه مسلم

١. قال البخاري : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام ، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

٢. عن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال : ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه .

٣. قال الإمام أحمد بن حنبل : (ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبي طيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً) .

ولذلك نجد كتب المصطلح إذا ذكرت آداب طالب الحديث تذكر منها (أدب التمسك بالسنن والعمل بها) .

قال العلامة السيوطي في التدريب : (ينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال فذلك زكاة الحديث وسبب حفظه) .

ولهذا كان الحرص عند السلف على التمسك بالسنة والعمل بها شيء كبير ومهم .

وكان وكيع ـ أحد كبار المحدثين ـ يقول :

(إذا أردت أن تحفظ حديثاً فاعمل به) .

وكان الإمام المحدث إبراهيم بن إسماعيل يقول :

(كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به) .

المسألة الثالثة الدعوة بعد العلم والعمل

الثالث الدعوة إليه: إذا علم وعمل فإنه يدعو إلى ذلك والدعوة قد تكون بالمقال، وقد تكون بالفعال؛ لأن الامتثال بالفعل دعوة، فإذا امتثل المسلم لما أُمر به، فإن هذا يجعله يرشد غيره إرشادا صامتا، بالفعل إلى أن هذا مطلوب، والثاني الدعوة بالقول؛ باللسان، والدعوة باللسان قد تكون واجبة، وقد تكون مستحبة، فيتفرع عن الدعوة باللسان أنواع من الدعوة منها الدعوة بالكتابة بالقلم؛ في تأليف، أو في رسائل أو نحو ذلك، منها النصائح المختلفة، والمواعظ، ونحو ذلك.

قال المصنف " الثالثة الدعوة إليه "

هل الضمير هنا يعود على العلم أي الدعوة إلى العلم ، أما يعود إلى أقرب مذكور وهو العمل فيكون المعنى الدعوة إلى العمل بما علم ؟ .

الجواب الضمير يعود إلى العلم الشرعي ومعنى الدعوة أي نشر العلم الذي تعلمه .

وعلى ذلك فالدعوة إلى العلم تنقسم مثل أقسام العلم .

فالعلم الواجب الدعوة إليه واجبه ، والعلم المستحب الدعوة إليه مستحبة وما كان محرماً ، فالدعوة إلى تركه واجبة ... وهكذا ..

" مسألة " على من تكون الدعوة ؟

على من تعلم العلم وقدر ، فمن كان جاهلاً لا يجب عليه الدعوة ولكن يجب أن يتعلم أولاً ثم بعد ذلك يدعو .

الدليل على وجوب الدعوة حديث معاذ " إنك تأتي ... فليكن .. " الشاهد :

" فليكن أول ما تدعوهم " اللام للأمر والأمر يقتضي الوجوب . والدليل الثاني حديث علي " انفذ على رسلك " ثم قال " ثم ادعهم إلى الإسلام " هذا الشاهد وقوله ادعهم أمر والأمر يقتضي الوجوب . والحديثان كلاهما في الصحيحين.

" مسألة " لمن توجه الدعوة ؟

الجواب : تدعو الكافر والمسلم الجاهل والمخطىء والمتأول والمعاند .

" **مسألة** " هناك فرق بين قوله " الدعوة إليه " ووجوب الدعوة ، فإن معنى الدعوة إليه أي إلى العلم وبثه بين الناس أما وجوب الدعوة مطلقاً فهي تشمل أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والنصح .

فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به ، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه كما هي طريقة الرسل وأتباعهم .

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ﴾ .

وأعلى مراتب العلم :

الدعوة إلى الله ونفي الشرك والفساد ، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة ، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه .

قال تعالى :﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

فضل الدعوة إلى الله والدلالة على الخير :

١). عن سهل بن سعد ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر : (لأعطين الراية رجلاً يفتح الله على يديه) فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : (أين علي) فقيل : يشتكي عينيه ، فدعا له فبصق في عينيه فبرأ فكأنه حتى كأنه لم يكن به شيء ، فقال :نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : (على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) متفق عليه .

قال النووي رحمه الله تعالى في معنى قوله{ فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم } : هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه ، وبأن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الإفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها لو تصورت ، وفي هذا الحديث بيان فضل العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة) . أ . هـ

٢) . وعن أبي هريرة ﷺ أ ن رسول الله ﷺ قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً) . رواه مسلم .

٣) . وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) . رواه مسلم .

شروط الدعوة إلى الله :

١. أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه .

قال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ .

لأنه قد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب ، فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم ، وهو في دين الله غير محرم .

مثال :

هناك من يقول : لا تستمع إلى القرآن من المسجل لأن هذا لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وأصحابه ، فيكون بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

نقول : إن قائل هذا الكلام قد دعا إلى الله ، لكن على غير بصيرة ، لأن هذا المسجل وسيلة لحفظ القول المسموع ، والوسائل ليست كالمقاصد .

٢. أن يكون على بصيرة بحال المدعو :

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ...) متفق عليه .

فأخبره النبي ﷺ بذلك لأمرين :

الأول/ أن يكون بصيراً بأحوال من يدعو .

الثاني/ أن يكون مستعداً لهم ، لأنهم أهل كتاب وعندهم علم .

٣. الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والعفو .

إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء ـ عليهم السلام ـ هو الدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة .

يقول الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى عن رسول الله ﷺ : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حينما بعثهما إلى فرعون : ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : (هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين) أ . هـ

وأما في السنة :

١ـ عن أنس بن مالك ﷺ أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ : (دعوه ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه) متفق عليه .

وفي رواية قال : (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين).

٢ـ وعن ابن مسعود ﷺ قال : كأني أنضر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) رواه البخاري .

٣ـ وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه) رواه مسلم .

المسألة الرابعة

الصبر على الأذى بعد العلم والعمل والدعوة

بعد الدعوة الواجب الرابع أن يتعلم الداعية، الذي علم، ثم عمل ثم دعا، أنه يجب عليه أن يصبر: لأن سنة الله جل وعلا في خلقه لم يجعل القبول حاصلا للنبيين والمرسلين الذين هم أفضل الخلق وأعلاهم درجة، لم يجعل القبول لهم، وإنما عورضوا، و أوذوا، وحصل لهم ما حصل، فالداعية يحتاج إلى أن يصبر كما صبر المرسلون، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام، أُمر بأن يحتذي حذو الصابرين بقول الله جل وعلا ؟فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ؟[الأحقاف:٣٥]، فالصبر، الصبر في غاية المهمات لمن علِم، فعمل، فدعا، يحتاج إلى أن يصبر، فإن لم يصبر، كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون، قال جل وعلا؟فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ؟[الروم:٦٠]؛ قد حذر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه من العجلة قال: «ولكنكم قوم تستعجلون».

الصبر نوعان: صبر واجب، وصبر مستحب كما هو الشأن في العلم والعمل والدعوة.

الصبر الواجب هذا يكون فيما أوجب الله الصبر عليه وهو ثلاثة:

[الأول] الصبر على الطاعات، الطاعات يعني الصبر على الواجبات، الطاعات هذا عام يشمل المستحبات ويشمل الواجبات، والمراد الصبر على الواجبات الفرائض.

الثاني: الصبر عن المحرمات.

الثالث: الصبر على الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجعة.

هذه الثلاثة الأمور نقول: الصبر عليها واجب على كل مكلف، وهو الذي عناه المصنف هنا.

(الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيْهِ) يعني الصبر على ما أوجب الله الصبر عليه. وأما المستحب فهو ما زاد على ذلك، الصبر على قيام الليل مستحب، الصبر على صيام النهار في

غير الواجب نقول: مستحب .. وهلم جرا. فكل ما لم يكن بواجب أو محرم فالصبر عليه يكون من قبيل المستحب، الصبر على حفظ القرآن كله نقول: هذا مستحب، وأما ما وجب كالفاتحة هذا صبر واجب لأن الصلاة لا تقوم إلا بقراءة الفاتحة. إذًا الصبر (عَلَى الأَذَى) (أل) هذه للعموم، فتشمل الأذى سواء كان الأذى في البدن، أو الأذى في المال، أو الأذى في النفس.

أشار بهذه المسألة – رحمه الله– إلى وجوب الصبر على ما أوجب الله جل وعلا الصبر عليه، لأن من قام بدين الإسلام، ودعا الناس إليه، فقد قام مقام الرسل وتحمل عبئًا عظيمًا، لأن الدعوة وظيفة من؟ وظيفة الأنبياء والرسل، ولما أوذوا الرسل كان لزامًا فطرة وطبيعةً أن يؤذى كل من قام مقام الرسل، حينئذٍ يلزمك ما يلزم الرسل – وهم المتبوعون – بالصبر والاحتساب، كذلك أنت يلزمك الصبر والاحتساب، {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا} [الأنعام: ٣٤] إذًا وظيفتك أنت يا من أقمت نفسك مقام الأنبياء يلزمك الصبر كما صبروا، وتحتسب كما احتسبوا، لأن من قام مقام الأنبياء حينئذٍ يكون قد قصد أن يحول بين الناس وبين أهوائهم وشهواتهم ومعتقداتهم الباطلة، والناس حذارِ حذارِ أن تقف بينهم وبين أهوائهم، وإلا آذوك باللسان واليدين فلا بد أن يؤذوه كما آذوا الرسل، فعليه أن يصبر ويحتسب كما صبر الرسل واحتسبوا كما ذكرناه في الآية السابقة: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام:٣٤] وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] وقال تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان:١٧]. أما الذي لا يصبر هذا يكون داخلاً فى قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ} [الروم:٦٠] لا يكون الإنسان خفيفًا لذلك حذر النبي – ﷺ – أصحابه من العجلة وقال: «ولكنكم قوم تستعجلون».

قال الشيخ هنا رحمه الله: الصبر حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله، فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون

دائمًا نشيطًا في الدعوة إلى دين الله، وإن أوذي لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله، قال الله تعالى لنبيه – ﷺ –: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ .. } [الأنعام:٣٤] إلى آخر الآية، وكلما قويت الأذية قرب النصر. وهنا مما ذكره الشيخ في آخر كلامه، قال: (وانظر إلى قول الله عز وجل لرسوله – ﷺ –: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً} [الإنسان:٢٣]– نزول القرآن نعمة – فكان الناظر ينتظر أن يقال: فاشكر نعمة ربك، أليس كذلك، لكنه قال: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ}، لماذا؟ قال هنا رحمه الله: كان من المنتظر أن يقال: فاشكر نعمة ربك، ولكنه عز وجل قال: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ}، وفي هذا إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلا بد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، انظر إلى حال النبي – ﷺ – حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». فعلى الداعية أن يكون صابرًا محتسبًا). ثم ذكر أنواع الصبر الثلاثة.

هذه المسائل الأربعة:

الأولى: العلم، وفسره المصنف.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

هذه لابد من دليل لأنه قال: واجبة. (والدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

والصبر أقسام ثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على قدر الله المؤلم بل صبر على أقدار الله التي تسرّ والتي تؤلم، هذه أنواع الصبر الثلاثة؛ صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على قدر الله، وكلها يحتاج إليها العالمون، العاملون، الدعاة.

الصبر لغة : الحبس والمنع . اصطلاحاً : حبس النفس عن التسخط واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود .. وأمثال ذلك .

" فيه " الضمير يعود إلى العلم أي يصبر على ما يواجهه في طلب العلم وما يصيبه من أذى في نشر العلم والعمل به .

والأذى أنواع :

أذى بدني. ٢- أذى مالي . ٣- أذى كلامي نفسي ، فيصبر على ما يلقاه.

وأفضل الصبر عند الصدمة الأولى ثم الاستمرار في الصبر حتى ينتهي الحدث.

قال المصنف " والدليل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " " والعصر إن الإنسان لفي خسر " .

هذا هو الدليل على المسائل الأربع ، وذكر البسملة لأنه ذكر سورة كاملة وحكم البسملة في أوائل السور سنة ما عدا براءة .... وليست آية من السورة وإنما هي منفصلة عنها إلا في سورة النمل والشاهد من السورة (إلا الذين آمنوا) ، وهو دليل العلم ، لأن الشيء الذي آمنوا به علموه أولا فتكون دلالتها باللازم .

" وعملوا الصالحات " دليل العمل . " وتواصوا بالحق " يدل على الدعوة ." وتواصوا بالصبر " . دليل على الصبر على الأذى فيه .

فسورة العصر تدل على الواجبات الأربع .

الترتيب بين المسائل الأربع ، فالعلم أولا ثم العمل ثم الدعوة ثم الصبر.

لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه ، فقد تحمل أمراً عظيماً ، وقام مقام الرسل في الدعوة إلى الله .

والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر . ذلك أن أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم ومألوفاتهم ، ويثوروا على شهوات أنفسهم ، ومعبودات آبائهم ، وعادات أقوامهم ، وامتيازات طبقاتهم ، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى إخوانهم ، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى ، وأحل وحرم ، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة ، فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويحاربون دعاتها بكل سلاح ، مدلين بأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً ، وأقوى نفوذاً ، وأوسع سلطاناً .

فليس أمام دعاة الحق إلا أن يعتصموا باليقين ، ويتسلحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة ، فالصبر هنا كما قال علي رضي الله عنه : (سيف لا ينبو ، ومطية لا تكبو ، وضياء لا يخبو) .

تعريف الصبر :

قال ابن القيم : (هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يحمل . وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها) .

فضـل الصـبر :

لقد ذكر الله الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة ومناسبات عديدة ، وما ذاك إلا لفضله وعظمته وثمرته .

وقد نقل العلامة ابن القيم في مدارج السالكين عن الإمام أحمد : (الصبر في القرآن في نحو تسعين موضع) .

الأدلـة من القرآن :

قال تعالى :﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ .

قال ابن كثير : (يقول الله تعالى آمراً عبيده فيم يؤملون من خير الدنيا والآخرة بالاستعانة بالصبر والصلاة) .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق ﴾ .

أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصرة إياك عليهم .

وقال تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ .

فالله سبحانه وتعالى يرشدهم إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل .

ويقول تعالى : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ﴾

وقال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ .

قال سفيان : (بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين) .

وأما السـنة :

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من يرد الله به خيراً يصب منه) .

٢ ـ وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :(... والصبر ضياءً) . رواه مسلم

٣ ـ وقال النبي ﷺ : (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر) رواه مسلم ، وأحمد عن ابن عباس .

٤ . وعن صهيب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له) . رواه مسلم .

٥ . وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى الله أحداً عطاءً هو خير وأوسع من الصبر) . متفق عليه .

أن مشاق الدعوة إلى الله التي أمر الله بالصبر عليها تتمثل في :

١. تتمثل في إعراض الخلق عن الداعية .

رأينا ذلك مع نوح عليه السلام حيث قال مناجياً ربه : ﴿ رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾ .

٢. وتتمثل متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول والفعل .

قال تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

٣. وتتمثل مشاق الدعوة كذلك في طول الطريق واستبطاء النصر .

فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين ، ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ولا تشرق شمسه إلا بعد ليل طويل .

يقول تعالى : ﴿ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴾ .

ضرورة المحن لأهل الإيمان :

وإنما كانت المحن ضرورة لأهل الإيمان لجملة معان وحكم نبه عليها القرآن :

١. تطهير الصف المؤمن من أدعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض .

قال تعالى : ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾

٢. تربية المؤمنين وصقل معادنهم وتمحيص ما في قلوبهم .

قال تعالى : ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ .

٣. زيادة رصيدهم ومقامهم عند الله ،فهو يرفع درجاتهم ويضاعف حسناتهم .

قال النبي ﷺ : (ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) . رواه البخاري .

قال ابن القيم : (جهاد النفس أربع مراتب :

أحدها / أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها شقيت في الدارين .

الثانية / أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة / أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

الرابعة / أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق) . أ . هـ

تفسير الآيات على سبيل الإجمال

، قال جل وعلا (وَالْعَصْرِ)، العصر هو الزمان، أقسم الله جل وعلا به لشرفه؛ الزمان المطلق، والعصر يعني والزمن، والعمر، والوقت؛ لأنه أشرف شيء أُعطيه الإنسان، أنْ أعطي عمرا فيه يعبد الله جل وعلا، ويطيعه، فبسبب العمر عبَدَ الله، وبسبب العمر شرُف، إن كتب الله جل وعلا له الجنة أن يكون من أهل الجنة، فهو شريف القدر، عظيم القدر، (وَالْعَصْرِ) جواب القسم، يعني ما معنى جواب القسم؟ يعني لأي شيء جاء القسم؟ لما أقسم الله جل وعلا بالعصر؟ قال جل وعلا ؟إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ؟[العصر:٢]، فجواب القسم هو (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)، وأكد ذلك، بـ(إِنَّ) وباللام في قوله (لَفِي خُسْرٍ)، ومن المتقرر في علم المعاني من علوم البلاغة، أن(إنّ واللام من أنواع المؤكدات)، اجتمع هاهنا أنواع من المؤكدات، أولا القسم، الثاني مجيء إنّ، الثالث مجيء اللام التي تسمى المزحلقة، أو المزحلفة، مجيء اللام في خبر إنّ، قال جل وعلا ؟إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ؟[العصر:٢]، وأهل العلم يقولون يعني أهل العلم بالمعاني يقولون "إن مجيء المؤكدات يصلح إذا كان المخاطَبُ منكِرا لما اشتمل عليه الكلام". فمثلا تقول لمن لم يكن عنده الخبر، فلان قادم، لا يصلح أن تقول "إنّ فلانا لقادم" وذاك لم ينكر الكلام، ويريد أن يستقبل الخبر، تقول "فلان قادم"، فأخبرته بقدوم فلان، لكن إن كان منكرا له، أو منزل منزلة المنكر له، فإنه تؤكد الكلام له، لكي يزيد انتباهه، ويعظم إقراره لما اشتمل عليه.

المشركون لأجل ما هم فيه من شرك، وما عاندوا فيه الرسالة، حالهم بل ومقالهم أنهم هم أصحاب النجاة ؟وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى؟[فصلت:٥٠]، فهم ينكرون أنهم سيكونون في خسارة، و ينكرون –طائفة أخرى منهم– أن يكون الإنسان سيرجع إلى خسارة، وأنه لن ينجوا إلا أهل الإيمان، فأكد الله جل وعلا ذلك لأجل إنكارهم بالمقال والفعل وبالحال، بقوله ؟إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ؟[العصر:٢]، يعني إن جنس الإنسان، الألف واللام هذه للجنس (ال) الجنسية، (الْإِنسَانَ) يعني جنس الإنسان (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)، جنس الإنسان في خسر، يعني في خسارة عظيمة، إلا ما اُستثني، وهذا نوع آخر من شد الذهن لقبول الكلام، (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ)؛ كل الناس، كل الإنسان في هلاك وخسارة، ثم استثنى فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)، هؤلاء الذين استثناهم الله جل وعلا هم أصحاب هذه

المسائل الأربعة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى، (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)،؛ والإيمان علم وعمل، أليس كذلك؟ الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ هذا الاعتقاد هو العلم، لأن العلم مورده القلب والعقل، هذا العلم، فأهل العلم ناجون من الخسارة ؟إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ؟ [العصر:٣]، ألم نقل: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهنا قال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فعطف بالواو العمل على الإيمان، وأهل اللغة -النحاة- يقولون إن الواو تأتي كثيرا للمغايرة، فهل معنى ذلك أن العمل غير الإيمان؟ وأن مسمى الإيمان لا يدخل فيه العمل؟ الجواب لا، ذلك لأن المغايرة تكون بين حقائق الأشياء، وحقيقة الإيمان أكبر من حقيقة العمل؛ لأن العمل جزء من الإيمان؛ العمل بعض الإيمان، وعطف الخاصّ بعد العام يأتي كثيرا، وكذلك عطف العام بعد الخاص يأتي كثيرا بالواو، من مثل قول الله جل وعلا ؟مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ؟[البقرة:٩٨]، هنا (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) أليسا من الملائكة؟ لما عطفهم على الملائكة؟ عطفٌ للخاص بعد العام، إذن لماذا يعطف الخاص على العام مع دخول الخاص في العام؟ لابد يكون له قصد، لابد يكون ثَم فائدة، الفائدة التنبيه على أنه في الحكم مثل الأول، ولهذا قال جل وعلا هنا (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، والشيخ رحمه الله تعالى فهم ذلك؛ فقال (يجب علينا تعلم أربع هذه المسائل)، فذكر العلم ثم العمل؛ لأنه قال وعملوا الصالحات، فلما عطف الخاص على العام دل على شرفه، وعلى أنه يهتم به، وعلى مزيد مكانته، ثم لأنه في الحكم مثل الأول، قال جل وعلا بعد ذلك، (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) يعني دعا بعضهم بعضا إلى الحق، ودعا بعضهم بعضا إلى الصبر، وهذه هي المسائل الأربعة.

الصبر (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)؛ الصبر أقسام ثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على قدر الله المؤلم بل صبر على أقدار الله التي تسرّ والتي تؤلم، هذه أنواع الصبر الثلاثة؛ صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على قدر الله، وكلها يحتاج إليها العالمون، العاملون، الدعاة.

قال الشافعي رحمه الله بما ذكر الشيخ هاهنا (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم) يعني لو ما أنزل الله جل وعلا من القرآن، لو ما أنزل الله حجة على الخلق، مع رسول الله ﷺ إلا هذه السورة، لكفى بها حجة، لما ؟ لأنها اشتملت على أن كل الناس

آيلون إلى خسارة ووبال وهلاك، إلا أهل هذه الأوصاف؛ وهم المؤمنون. معنى ذلك إذا خوطبنا بهذه السورة، لو خوطبنا بها وحدها، مؤمنون بمن؟ لابد هناك شيء يؤمن به، ثم يعملون، يعملون على أي شيء؟ وبأي شيء؟ لابد أن هناك سبيلا؛ وهو سنة النبي عليه الصلاة والسلام، هناك تواصي بالحق، دعوة إلى ذلك، وتواصي بالصبر؛ صبر على هذا، فترى أن هذه السورة اشتملت على كل ما يدل الخلق على ربهم جل وعلا، ويقودهم إلى إتباع رسالة النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر قول البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، كما نقل الشيخ رحمه الله، (باب العلم قبل القول والعمل) وساق قول الله جل وعلا ؟فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ؟[مُحَمَّد:١٩]، فبدأ بالعلم قبل العمل والقول؛ الذي هو الاستغفار، لما ذكر الشيخ هذا؟ لأي شيء؟ لأجل أن هذه الرسالة؛ رسالة علم، كلها شرح وبيان للمسألة الأولى، للواجب الأول، ألا وهو العلم، فينبه طالب العلم أن العلم مهم، مهم للغاية، حتى إنه قبل القول والعمل، فقبل أن يستغفر العبد، لابد أن يعلم العلم الواجب عليه، وهذا العلم هو الذي ينجيه بنفسه، هو الذي ينجي به نفسَه -بفضل الله جل وعلا- إذا سئل عن هذه المسائل الثلاثة. الشيخ رحمه الله تعالى يريد أن يبين لك، ثلاثة الأصول هذه، والمسائل المتعلقة بها، فأكد لك أهمية العلم بقوله، فيما ساق عن البخاري (باب العلم قبل القول والعمل)، العلم قبل ولاشك؛ ولهذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى، وما أحسن ما قال، يقول:والجهلُ داءٌ قاتل. صدق؛ الجهل داء قاتل، قال:

والجهلُ داء قاتلٌ وشفـاؤه أمران في التركيب متفقـانِ [نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني والعلم أقسام ثلاث](٣) مالـها من رابع والحق ذو تبيانِ علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للديـانِ والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني والكلُّ في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان بين أن الجهل داء قاتل، بما يُزال الجهل؟ قال (بنص من القرآن أو من السنة)، من طبيب ذاك الذي يرشدك ويبين لك؟ قال(وطبيب ذاك العالم الرباني)، ليس كل منتسب للعلم ولكن هو العالم الرباني، الذين وصفهم الله جل وعلا في سورة آل عمران، بقوله ؟وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ؟[آل عمران:٧٩]، ثم بين العلم هذا

ما هو -الذي تسعى إليه-؟، فقال (علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للديان)، هذه شملت التوحيد؛ توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ثم قال العلم الثاني ما هو؟
قال(والأمر والنهي الذي هو دينه) يعني الفقه؛ الأمر والنهي، الأحكام؛ الحلال والحرام، هذا مأمور به، وهذا منهي عنه، هذا افعله، وذاك لا تفعله، هذا النوع الثاني من العلم النافع.
والثالث (وجزاءه يوم المعاد الثاني)؟الذي هو العلم بما يكون يوم القيامة، ووسائل ذلك.
الشيخ رحمه الله تعالى يقول (العلم قبل القول والعمل)، نعم، وصدق رحمه الله، فالعلم إذا كان قبل القول والعمل بورك لصاحبه في القليل، وإن كان العملُ و القول قبل العلم ربما كانت الأعمال و الأقوال جبالا، ولكنها ليست على سبيل نجاة، ولهذا روى الإمام أحمد في الزهد وأبو نعيم وجماعة عن أبي الدّرداء أنه قال: «يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبِطُنا سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة مع بِرٍّ ويقين أعظم عند الله من أمثال الجبال عبادةً من المغترين» يقول يا حبذا، يعني يتمنى نوم الأكياس، الأكياس من؟ (إن لله عبادا فطنا) هؤلاء هم الأكياس الذين حيوا؛ قلوبهم صحيحة، عقولهم صحيحة، يقول يا حبذا نوم الأكياس؛ أهل العلم، وإفطارهم، ناموا، والحمقى على كلام أبي الدرداء سهروا ليلهم في صلاة، لكن هؤلاء لا يستوون عند أبي الدرداء مع أولئك؛ لأن أولئك عبدوا الله جل وعلا على جهل، وهؤلاء عبدوا الله بعبادات قليلة، ولكنها مع علم وبصيرة فكانوا أعظم أجرا، بحيث قال أبو الدرداء ﷺ: «ولمثقال ذرة مع بر ويقين أعظم من أمثال الجبال عبادة من المغترين»، لهذا نقول العلم في غاية الأهمية، العلم في غاية الأهمية، ويُبدأ به قبل أي شيء، خاصة العلم الذي يصحح العبادة، يصحح العقيدة، يصحح القلب، ويجعل المرء في حياته يسير على بيِّنة وفق سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ليس على جهالة.

تفسير الآيات من أقوال المفسرين

سورة العصر وآية سورة مُحَمَّد ﷺ

قال الطبرى رحمه الله

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (وَالْعَصْرِ) فقال بعضهم: هو قسم أقسم ربنا تعالى ذكره بالدهر، فقال: العصر: هو الدهر.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (وَالْعَصْرِ) قال: العصر: ساعة من ساعات النهار.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَالْعَصْرِ) قال: هو العشيّ.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر (وَالْعَصْرِ) اسم للدهر، وهو العشيّ والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكلّ ما لزِمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم به جلّ ثناؤه.

وقوله: (إِنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) يقول: إن ابن آدم لفي هلَكة ونقصان.

وكان عليّ رضى الله عنه يقرأ ذلك: (إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْر وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مرّ، قال: سمعت عليا رضى الله عنه يقرأ هذا الحرف (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِب الدَّهْرِ، إنَ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ، وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إِنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْر) ففي بعض القراءات (وإنه فيه إلى آخر الدهر) .

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو ذي مرّ، أن عليا رضى الله عنه قرأها (وَالْعَصْرِ وَنَوَائِب الدَّهْرِ، إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْر) .

حدثني مُحَمَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (إِنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) إلا من آمن (إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: إلا الذين صدّقوا الله ووحّدوه، وأقرّوا له

بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد.

وقوله: (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) يقول: وأوصى بعضهم بعضا بلزوم العمل بما أنزل الله في كتابه، من أمره، واجتناب ما نهى عنه فيه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) والحق: كتاب الله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) قال: الحقّ كتاب الله.

حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا خطاب بن عثمان، قال: ثنا عبد الرحمن بن سنان أبو روح السكوني، حمصيّ لقيته بإرمينية، قال: سمعت الحسن يقول في (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ) قال: الحقّ: كتاب الله.

وقوله: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) يقول: وأوصى بعضهم بعضا بالصبر على العمل بطاعة الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) قال: الصبر: طاعة الله.

وقال الإمام البغوى رحمه الله

{وَالْعَصْرِ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالدَّهْرِ. قِيلَ: أَقْسَمَ بِهِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَرَبِّ الْعَصْرِ، وَكَذَلِكَ في أمثاله. واقل ابْنُ كَيْسَانَ: أَرَادَ بِالْعَصْرِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، يُقَالُ لَهُمَا الْعَصْرَانِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا (٢) . وَقَالَ قَتَادَةُ: آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ (٣) . وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ وَهِيَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى. {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} أَيْ خُسْرَانٍ وَنُقْصَانٍ، قِيلَ: أَرَادَ بِهِ [الْكَافِرَ] (٤) بِدَلِيلِ أَنَّهُ اسْتَثْنَى الْمُؤْمِنِينَ، وَ"الْخُسْرَانُ": ذَهَابُ رَأْسِ مَالِ الْإِنْسَانِ فِي هَلَاكِ نَفْسِهِ وَعُمُرِهِ [بِالْمَعَاصِي] (٥) ، وَهُمَا أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ. {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا فِي خُسْرٍ، {وَتَوَاصَوْا} أَوْصَى

بَعْضُهُمْ بَعْضًا، {بِالْحَقِّ} بِالْقُرْآنِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ. {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ. وَرَوَى ابْنُ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَرَادَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا وَهَرِمَ، لَفِي نَقْصٍ وَتَرَاجُعٍ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ أُجُورُهُمْ وَمَحَاسِنُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي شَبَابِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ".

قال الإمام بن كثير رحمه الله

الْعَصْرُ: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ.

فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، أَيْ: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ، {إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وقال القرطبي رحمه الله

يَعْنِي بِالْإِنْسَانِ جِنْسَ النَّاسِ. لَفِي خُسْرٍ: لَفِي غَبْنٍ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: هَلَكَةٍ. الْفَرَّاءُ: عُقُوبَةٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها «١» خُسْراً [الطلاق: ٩]. ابْنُ زَيْدٍ: لَفِي شَرٍّ. وَقِيلَ: لَفِي نَقْصٍ، الْمَعْنَى مُتَقَارِبٌ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا وَهَرِمَ، لَفِي نَقْصٍ وَضَعْفٍ وَتَرَاجُعٍ، إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُمْ تُكْتَبُ لَهُمْ أُجُورُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي حَالِ شَبَابِهِمْ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ. [التين: ٥ - ٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) استثناء مِنَ الْإِنْسَانِ، إِذْ هُوَ بِمَعْنَى النَّاسِ عَلَى الصَّحِيحِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) أَيْ أَدَّوُا الْفَرَائِضَ الْمُفْتَرَضَةَ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَصْرِ ثُمَّ قُلْتُ: مَا تَفْسِيرُهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: وَالْعَصْرِ قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ، أَقْسَمَ رَبُّكُمْ بِآخِرِ النَّهَارِ: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ: أَبُو جَهْلٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا: أَبُو بَكْرٍ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ عُمَرُ. وَتَواصَوْا

بِالْحَقِّ عُثْمَانُ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ" عَلِيٌّ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. وهكذا خطب أبن عباس على المنبر موقوفا عليه. ومعنى (وَتَواصَوْا) أَيْ تَحَابَّوْا، أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَحَثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. (بِالْحَقِّ) أَيْ بِالتَّوْحِيدِ، كَذَا رَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ قَتَادَةُ: بِالْحَقِّ أَيِ الْقُرْآنِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْحَقُّ هُنَا هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. (وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ) عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّبْرِ عَنْ مَعَاصِيهِ.

الْعَصْرُ: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدم من خير وشر، وقال زيد بن أسلم: هو العصر، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ أَيْ فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ، الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ {وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ} وَهُوَ أَدَاءُ الطاعات، وترك المحرمات، {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} أي عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي، مِمَّنْ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

{والعصر إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ}

أي أُقسمُ بالدهر والزمان لما فيه من أصناف الغرائب والعجائب، والعبر والعظات، على أن الإِنسان في خسران، لأنه يفضِّل العاجلة على الآجلة وتغلب عليه الأهواء والشهوات قال ابن عباس: العصر هو الدهر أقسم تعالى به لاشتماله على أصناف العجائب وقال قتادة: العصرُ هو آخر ساعات النهار، أقسم به كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة الباهرة، والعظة البالغة. . وإِنما أقسم تعالى بالزمان لأنه رأس عمر الإِنسان، فكل لحظةٍ تمضي فإِنها من عمرك ونقص من أجلك، كما قال القائل:

إنا لنفرحُ بالأيام نقطعها ... وكلُّ يومٍ مضى نقصٌ من الأجل

{إِلاَّ الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات}

أي جمعوا بين الإِيمان وصالح الأعمال، فهؤلاء هم الفائزون لأنهم باعوا الخسيس بالنفيس، واستبدلوا الباقيات الصالحات عوضاً عن الشهوات العاجلات {وَتَوَاصَوْاْ بالحق} أي أوصى بعضهم بعضاً بالحق، وهو الخير كله، من الإِيمان، والتصديق، وعبادة الرحمن {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} أي وتواصوا بالصبر على الشدائد والمصائب، وعلى فعل الطاعات، وترك المحرمات. . حكم تعالى بالخسار على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة وهي: الإِيمان،

والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فإن نجاة الإنسان لا تكون إلا إذا كمَّل الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكمَّل غيره بالنصح والإرشاد، فيكون قد جمع بين حق الله، وحق العباد، وهذا هو السرُّ في تخصيص هذه الأمور الأربعة.

البَلاَغَة: تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١ - إطلاق البعض وإرادة الكل {إِنَّ الإنسان} أي الناس بدليل الاستثناء.

٢ - التنكير للتعظيم {لَفِى خُسْرٍ} أي في خسرٍ عظيم ودمار شديد.

٣ - الإطناب بتكرار الفعل {وَتَوَاصَوْاْ بالحق وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} لإبراز كمال العناية به.

٤ - ذكر الخاص بعد العام {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} بعد قوله {بالحق} فإن الصبر داخل في عموم الحق، إلا أنه أفرده بالذكر إشادة بفضيلة الصبر.

٥ - السجع غير المتكلف مثل {العصر، الصبر، خُسْرٍ} وهو من المحسنات البديعية.

قال الشافعي : (لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم) . أ . هـ

ومراده رحمه الله : أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك ، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة .

وقول الشافعي : (لو ما أنزل الله على خلقه ...) **لماذا ؟**

لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران ، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان . العمل الصالح . التواصي بالحق . التواصي بالصبر .

قال شيخ الإسلام : (وهو كما قال . أي الشافعي . فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر) . أ . هـ

تفسير قوله تعالى ({فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) }

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} قِيلَ: الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ فَاثْبُتْ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: فَازْدَدْ عِلْمًا عَلَى عِلْمِكَ. وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَابْنُ عُيَيْنَةَ: هُوَ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ مَعْنَاهُ: إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَفْزَعَ عِنْدَ قِيَامِهَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ. وَقِيلَ: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنَّ الْمَمَالِكَ تَبْطُلُ عِنْدَ قِيَامِهَا، فَلَا مُلْكَ وَلَا حُكْمَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ، {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} أَمْرٌ بِالِاسْتِغْفَارِ مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ لِتَسْتَنَّ بِهِ أُمَّتُهُ.

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَفِيهِ- وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ عَالِمًا بِاللَّهِ- ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ: يَعْنِي اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَكَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. الثَّانِي- مَا عَلِمْتَهُ اسْتِدْلَالًا فَاعْلَمْهُ خَبَرًا يَقِينًا. الثَّالِثُ- يَعْنِي فَاذْكُرْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فعبر عن الذكر بالعلم لِحُدُوثِهِ عَنْهُ. وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ فَضْلِ الْعِلْمِ فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ حِينَ بَدَأَ بِهِ" فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" فَأُمِرَ بِالْعَمَلِ بَعْدَ الْعِلْمِ وَقَالَ:" اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ- إِلَى قَوْلِهِ- سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ" «١» [الحديد: ٢١ - ٢٠] وقال:" وَاعْلَمُوا أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ" «٢» [الأنفال: ٢٨]. ثم قال بعد:" فَاحْذَرُوهُمْ" «٣» [التغابن: ١٤]. وَقَالَ تَعَالَى:" وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ" «٤» [الأنفال: ٤١]. ثُمَّ أَمَرَ بِالْعَمَلِ بَعْدُ. قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ" يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا- يَعْنِي اسْتَغْفِرِ اللَّهَ أَنْ يَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ. الثَّانِي- اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِيَعْصِمَكَ مِنَ الذُّنُوبِ. وَقِيلَ: لَمَّا ذَكَرَ لَهُ حَالَ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ أَمَرَهُ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ، أَيِ اثْبُتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْحَذَرِ عَمَّا تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى اسْتِغْفَارٍ. وَقِيلَ: الْخِطَابُ لَهُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْأُمَّةُ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ تُوجِبُ الْآيَةُ اسْتِغْفَارَ الْإِنْسَانِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ. وَقِيلَ: كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَضِيقُ صَدْرُهُ مِنْ كُفْرِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. أَيْ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا كَاشِفَ يَكْشِفُ مَا بِكَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ بِأَحَدٍ سِوَاهُ. وَقِيلَ: أُمِرَ بِالِاسْتِغْفَارِ لِتَقْتَدِيَ بِهِ الْأُمَّةُ." وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" أَيْ وَلِذُنُوبِهِمْ. وَهَذَا أَمْرٌ بِالشَّفَاعَةِ.

إشارة إلى أن العمل يكون بعد العلم؛ كما في قوله جل شأنه: {اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} وقال بعد ذلك {سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ}.

ويقول السعدى رحمه الله

العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه. وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا ورأيا وصوابا، وعلما -وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون- قد شهدوا لله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه.

فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك في

قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد -على تكرر الباطل والشبه- إلا نموا وكمالا.

هذا، وإن نظرت إلى الدليل العظيم، والأمر الكبير -وهو تدبر هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته- فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل في غيره.

وقوله: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}

أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب والعفو عن الجرائم.

{و} استغفر أيضا {للمؤمنين وَالْمُؤْمِنَات} فإنهم -بسبب إيمانهم- كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة.

ومن جملة حقوقهم أن يدعو لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساويهم ومعايبهم، ويحرص على اجتماعهم اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم.

{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ} أي: تصرفاتكم وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، {وَمَثْوَاكُمْ} الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

قال البخارى باب العلم قبل القول والعمل

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [مُحَمَّد: ١٩] فَبَدَأَ بِالعِلْمِ «وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ» وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨] وَقَالَ: {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا العَالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٣] {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١٠] وَقَالَ: {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩] وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»
[ص:٢٥] وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ " وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: «لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ - ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ لَأَنْفَذْتُهَا» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} [آل عمران: ٧٩] " حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ "

نسب الإمام البخاري:

هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي. فجده بردزبه ضبط اسمه بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها هاء. قال الحافظ ابن حجر: "هذا هو المشهور في ضبطه، وبردزبه في الفارسية الزراع كذا يقول أهل بخارى، وكان بردزبة فارسيا على دين قومه" انتهى.

وجده المغيرة ابن بردزبه أسلم على يدي يمان البخاري والي بخارى ويمان جعفي فنسب إليه لأنه مولاه من فوق، عملا بمذهب من يرى أن من أسلم على يد شخص كان ولاؤه له.

وجده إبراهيم قال الحافظ ابن حجر إنه لم يقف على شيء من أخباره.

وأبوه إسماعيل ترجم له ابن حبان في الثقات وقال: "إسماعيل بن إبراهيم والد البخاري يروي عن حماد بن زيد ومالك وروى عنه العراقيون"، وترجم له الحافظ في تهذيب التهذيب.

متى وأين ولد:-

ولد رحمه الله في بخارى (وهي من أعظم مدن ما وراء النهر بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام) في يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة.

نشأته وبدؤه طلب العلم: -

توفي والده وهو صغير فنشأ في حجر أمه وأقبل على طلب العلم منذ الصغر وقد تحدث عن نفسه فيما ذكره الفِرَبْري عن مُحَّد بن أبي حاتم ورّاق البخاري قال: سمعت البخاري يقول: "ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب"، قلت: وكم أتى عليك إذ ذاك؟، قال: "عشر سنين أو أقل"، إلى أن قال: "فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء - يعني أصحاب الرأي-"، قال: "ثم خرجت مع أمي وأخي إلى الحج، فلما طعنت في ثمان عشرة سنة صنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ بالمدينة عند قبر النبي ﷺ وكنت أكتبه في الليالي المقمرة"، قال: "وقلَّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت أن يطول الكتاب".

رحلته في طلب العلم وسماعه الحديث: -

اشتغل وهو صغير في طلب العلم وسماع الحديث فسمع من أهل بلده من مثل مُحَّد بن سلام ومُحَّد بن يوسف البيكنديين وعبد الله بن مُحَّد المسندي وابن الأشعث وغيرهم ثم حج هو وأمه وأخوه أحمد وهو أسن منه سنة عشر ومائتين فرجع أخوه بأمه وبقي في طلب العلم فسمع بمكة من الحميدي وغيره وبالمدينة من عبد العزيز الأويسي ومطرف ابن عبد الله وغيرهم ثم رحل إلى أكثر محدثي الأمصار في خراسان والشام ومصر ومدن العراق وقدم بغداد مرارا واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علمي الرواية والدراية وسمع ببلخ من مكي بن إبراهيم وغيره وبمرو من علي بن الحسن وعبد الله بن عثمان وغيرهما وبنيسابور من يحيى بن يحيى وغيره وبالري من إبراهيم بن موسى وغيره وببغداد من شريح بن النعمان وأحمد بن حنبل وغيرهما وبالبصرة من أبي عاصم النبيل ومُحَّد بن عبد الله الأنصاري وغيرهما وبالكوفة من طلق بن غنام وخلاد بن يحيى وغيرهما وبمصر من سعيد بن كثير بن عفير وغيره وسمع من أناس كثيرين غير هؤلاء ونقل عنه أنه قال: "كتبت عن ألف وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث"، وقال أيضا: "لم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل".

ذكاؤه وقوة حفظه: -

وكان رحمه الله قوي الذاكرة سريع الحفظ ذكر عنه المطلعون على حاله ما يتعجب منه الأذكياء ذوو الحفظ والإتقان فضلا عمن سواهم فقد قال أبو بكر الكلذواني: "ما رأيت مثل

مُحَّد بن إسماعيل كان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة".

وقال مُحَّد بن أبي حاتم وراق البخاري: قلت لأبي عبد الله مُحَّد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلته في المصنف، قال: "لا يخفى علي جميع ما فيه"، وقال مُحَّد بن حمدوية: سمعت البخاري يقول: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح". وقال مُحَّد بن الأزهر السجستاني: كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب فقيل لبعضهم: ماله لا يكتب فقال: يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه، ولعل من أعجب ما نقل عنه في ذلك ما قاله الحافظ أبو أحمد ابن عدي كما في تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وغيرهما سمعت عدة مشائخ يحكون أن مُحَّد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: "لا أعرفه"، فسأله عن آخر فقال: "لا أعرفه"، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: "لا أعرفه"، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الرجل فهم، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة وسأله كما سأله الأول والبخاري رحمه الله يجيب بما أجاب به الأول ثم الثالث والرابع حتى فرغ العشرة مما هيأوه من الأحاديث فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني قلت كذا وصوابه كذاوالثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل، وعند ذكر هذه القصة يقول الحافظ ابن

حجر رحمه الله: "هنا يخضع للبخاري فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة".

نماذج من ثناء الناس عليه رحمه الله: -

وقد كان البخاري رحمه الله موضع التقدير من شيوخه وأقرانه تحدثوا عنه بما هو أهله وأنزلوه المنزلة التي تليق به وكذلك غيرهم ممن عاصره أو جاء بعده وقد جمع مناقبه الحافظان الكبيران الذهبي وابن حجر العسقلاني في مؤلفين خاصين كما ذكر ذلك الذهبي في تذكرة الحفاظ وابن حجر في تهذيب التهذيب. ولعل من المناسب هنا ذكر بعض النماذج من ذلك:

قال أبو عيسى الترمذي: "كان مُحَّد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير فقال له لما قام: يا أبا عبد الله جعلك الله زين هذه الأمة فاستجاب الله تعالى له فيه"..ويقول الإمام البخاري: "كنت إذا دخلت على سليمان بن حرب يقول: "بيّن لنا غلط شعبة"، وقال مُحَّد بن أبي حاتم وراق البخاري: سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: "لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر مُحَّد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت مُحَّد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم".. وقال أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثل مُحَّد بن إسماعيل"، ولما بلغ علي بن المديني قول البخاري: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني" قال لمن أخبره: "دع قوله؛

ما رأى مثل نفسه".. وقال رجاء بن رجاء: "هو – يعني البخاري – آية من آيات الله تمشي على ظهر الأرض". وقال أبو عبد الله الحاكم في تاريخ نيسابور: "هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل".. وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من مُحَّد بن إسماعيل البخاري".. ويقول الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ: "وكان رأسا في الذكاء رأسا في العلم رأسا في الورع والعبادة"، ويقول في كتابه العبر: "وكان من أوعية العلم يتوقد ذكاء ولم يخلف بعده مثله رحمة الله عليه"، وقال الحافظ ابن حجر في كتابه تقريب التهذيب: "أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا ثقة الحديث".

وقال الحافظ ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: "هو إمام أهل الحديث في زمانه والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه"، وقال: "وقد كان البخاري رحمه الله في غاية الحياء

والشجاعة والسخاء والورع والزهد في الدنيا دار الفناء والرغبة في الآخرة دار البقاء"، وقال ابن السبكي في طبقات الشافعية: "هو إمام المسلمين وقدوة الموحدين وشيخ المؤمنين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين وحافظ نظام الدين"، وقال مُحَمَّد بن يعقوب الأخرم سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجالة". هذا غيض من فيض مما قيل في الإمام أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى برحمته الواسعة.

مصنفاته: -

وقد أتحف الإمام البخاري رحمه الله المكتبة الإسلامية بمصنفات قيّمة نافعة أجلّها وعلى رأسها كتابه الجامع الصحيح الذي هو أصح الكتب المصنفة في الحديث النبوي.

ومن مؤلفاته: الأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الإمام، وبر الوالدين، والتأريخ الكبير، والأوسط، والصغير، وخلق أفعال العباد، والضعفاء، والجامع الكبير، والمسند الكبير، والتفسير الكبير، وكتاب الأشربة، وكتاب الهبة، وأسامي الصحابة، إلى غير ذلك من مؤلفاته الكثيرة التي أورد كثير منها الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة فتح الباري...

عناية العلماء بترجمته ونقل أخباره رحمه الله: -

لما قام الإمام البخاري رحمه الله بالعناية التامة في تدوين سنة النبي ﷺ وتنقيتها من الشوائب وتجريد الأحاديث الصحيحة جعل الله له لسان صدق في الآخرين فما زال الناس منذ عصره ولا يزالون يثنون عليه ويترحمون عليه ويولون كتابه الجامع الصحيح العناية التامة وما من مؤلف في التاريخ وتراجم الرجال إلا ويزين مؤلفه بذكر ترجمته والتنويه بشأنه ونقل أخباره رحمه الله.

فهذا الحافظ الذهبي رحمه الله يترجم له في تذكرة الحفاظ ويقول بعد نقل شيء من مناقبه: "قلت: قد أفردت مناقب هذا الإمام في جزء ضخم فيه العجب".

وهذا الحافظ ابن حجر يترجم له في تهذيب التهذيب ويقول في ترجمته: "قلت: مناقبه كثيرة جدا قد جمعتها في كتاب مفرد ولخصت مقاصده في آخر الكتاب الذي تكلمت فيه على تعاليق الجامع الصحيح".

وقد ترجم له أيضا في آخر كتاب هدي الساري مقدمة فتح الباري ونقل شيئا من ثناء مشائخه وأقرانه عليه ثم قال: "ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفني القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له".

وذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية في أعيان سنة ست وخمسين ومائتين وقال: "وقد ذكرنا له ترجمة حافلة في أول شرحنا لصحيحه ولنذكر هنا نبذة يسيرة من ذلك"، فذكرها في ثلاث صفحات.

وترجم له ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وعّدد شيئا من مناقبه ثم قال: "واعلم أن مناقب أبي عبد الله كثيرة فلا مطمع في استيعاب غالبها والكتب مشحونة به وفيما وردناه مقنع وبلاغ".

وفاته ومدة عمره: .

توفي رحمه الله في خرتنك قرية من قرى سمرقند ليلة السبت بعد صلاة العشاء، وكانت ليلة عيد الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين. ومدة عمره اثنتان وستون سنة إلا ثلاثة عشر يوما رحمه الله تعالى، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية: "وقد ترك رحمه الله بعده علماً نافعاً لجميع المسلمين فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات في الحياة".

وقد قال رسول الله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به" الحديث، رواه مسلم.

صحيح البخاري

اسمه: –

اشتهر بين الناس قديماً وحديثا تسمية الكتاب الذي ألفه الإمام البخاري رحمه الله في الحديث النبوي بصحيح البخاري...

أما اسمه عند البخاري رحمه الله فالجامع الصحيح كما ذكر ذلك في الباعث له على تأليفه وقد سماه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه فتح الباري وذكر ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث أنه سماه: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه.

السبب الباعث للإمام البخاري على تأليفه: –

ذكر الحافظ ابن حجر في مقدمة كتابه فتح الباري أسبابا ثلاثة دعت الإمام البخاري رحمه إلى تأليف كتابه الجامع الصحيح:

أحدها: أنه وجد الكتب التي ألفت قبله بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف فلا يقال لغثه سمين، قال فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب في صحته أمين.

الثاني: قال وقوّى عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهوية وساق بسنده إليه أنه قال: "كنا عند إسحاق بن راهوية فقال: "لو جمعتم كتاباً مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم"، قال: "فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح".

الثالث: قال: وروينا بالإسناد الثابت عن مُحَمَّد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول: "رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي: "أنت تذب عنه الكذب فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح".

مدى عنايته في تأليفه: -

ولم يأل البخاري رحمه الله جهدا في العناية في هذا المؤلف العظيم يتضح مدى هذه العناية مما نقله العلماء عنه فنقل الفربري عنه أنه قال: "ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين"، ونقل عمر بن مُحَّد البحيري عنه أنه قال: "ما أدخلت فيه (يعني الجامع الصحيح) حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته". ونقل عنه عبد الرحمن بن رساين البخاري أنه قال: "صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى".

عدد أحاديث صحيح البخاري: -

قد حرّر الحافظ ابن حجر عدد الأحاديث المرفوعة في صحيح البخاري والمعلقة وأوضح ذلك في مقدمة الفتح إجمالا وتفصيلا وإليك خلاصة ما انتهى إليه في ذلك على سبيل الإجمال:

١ - عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بما فيها المكررة ٧٣٩٧ حديثا

٢ - عدد الأحاديث المرفوعة المعلقة بما فيها المكررة ١٣٤١ حديثا

٣ - عدد ما فيه من المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثا

٤ - عدد ما فيه من الموصول والمعلق والمتابعات المرفوعة بالمكررة ٩٠٨٢ حديثا

٥ - عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بدون تكرار ٢٦٠٢ حديثا

٦ - عدد الأحاديث المعلقة بدون تكرار ١٥٩ حديثا

٧ - عدد الأحاديث المرفوعة موصولة أو معلقة بدون تكرار ٢٧٦١ حديثا

وهذه الأعداد إنما هي في المرفوع خاصة دون ما في الكتاب من الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التابعين ومن بعدهم، وبعد ذكر الحافظ ابن حجر لجملة الأحاديث بدون تكرار قال: "وبين هذا العدد الذي حررته والعدد الذي ذكره ابن الصلاح وغيره تفاوت كثير"، ويعني بذلك ما جاء عن ابن الصلاح حيث قال في علوم الحديث: "وقد قيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث" ثم إنه علل ذلك بقوله: "يحتمل أن يكون العدد الأول الذي قلدوه في ذلك كان إذا رأى الحديث مطولا في موضع آخر يظن أن المختصر غير المطول إما لبعد العهد به أو لقلة المعرفة بالصناعة ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير

وحينئذ يتبين السبب في تفاوت ما بين العددين والله الموفق" انتهى كلامه رحمه الله وغفر له وجزاه عن خدمته التامة للسنة وبخاصة أصح الكتب الحديثية خير جزاء.

استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل . فترجم لذلك . وذلك أن الله أمر نبيه ﷺ بأمرين : **بالعلم ثم العمل** .

والمبدوء به العلم في قوله : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل ، وهذا دليل أثري وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل ، وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة ، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعلم .

قال الشاعر :

وكل من بغير علم يعمل　　　أعماله مردودة لا تقبل

وقال ابن حجر . رحمه الله . في قوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾ : (قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : (وإن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه) . الفتح ج١ ص١٦٠.

وسئل سفيان عن فضل العلم فقال : (ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ ، وفي شهادة أن لا إله إلا الله لا يغفر إلا بها من قالها غفر له) .

قال ابن القيم رحمه الله : (فالسلف مُجْمعون على أن العالِم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويُعَلمه، فمن علِم وعمل وعلَّم يُدعى عظيماً في ملكوت السماء) كما رواه أبو داود عن الفضيل بن عياض.

الفوائد المختصرة مما سبق

الصبر اصطلاحا : هو حبس اللسان عن التشكي و التسخط ، و النفس عن الجزع ، و الجوارح عن لطم الخدود و شق الجيوب ٠

– و الصبر ثلاثة أقسام

٠١ – صبر على طاعة الله حتى يؤديها كاملة أو قريبة من الكمال

٠٢ – صبر عن معصية الله حتى يتجنبها

٠٣ – الصبر على أقدار الله

– وقد ذكر الصبر في القرآن أكثر من ثمانين مرة

و خلاصة المسائل الأربعة التي ذكرها الشيخ وهي : العلم و العمل و الدعوة والصبر على الأذى

٠١ – أن يجاهد الإنسان نفسه على تعلم العلم

٠٢ – العمل بما علمه العبد

٠٣ – دعوة الناس

٠٤ – الصبر على آذاهم

– الدعاة ثلاثة أقسام :

٠١ – دعاة على علم و بصير و هدى

٠٢ – دعاة على جهل و قلة فقه في الدين أو عدمه

٠٣ – دعاة منحرفين ضالين مضلين

– اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم هذه المسائل الثلاتة و العمل بهن

– هذه مسائل اعتقادية أما المقدمة فهي في المسائل العملية .

– هناك نعم كثيرة انعمها الله على عباده منها :

٠١ – نعمة الإيجاد : أي خلقنا من عدم

٠٢ – نعمة إمداد : أي أمدنا ربنا بجميع النعم الظاهر و الباطنة

٠٣ – نعمة الإعداد : وهي إرسال الرسل ليبينوا شرع الله لعباده و هي خلق الله الخلق لأجلها

الرسول في اللغة : من بعث برسالة

وفي الاصطلاح : رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع و أمره بتبليغه

– و للرسول صلى الله عليه و سلم عدة مهام :

٠١ – أنه شاهد للخلق و شاهد عليهم ، شاهد لهم بما عملوا من سنته وشرع الله ، و شاهد عليهم بما تركوه و لم يعملوا به .

٠٢ – البشارة و النذارة و هي البشارة بالجنة و هي البشارة بالجنة و النذارة و هي التخويف بالعقاب للعاصين .

٠٣ – الحكم بين الناس و الفصل في خصوماتهم .

٠٤ – تعليم الناس شرع الله .

– توحيد الألوهية : هي توحيد الله بأفعال العباد التي شرعها لهم ٠

– تعريف المَلَك : واحد الملائكة مأخوذ من الألوكة و هي الرسالة .

– و الملائكة عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

تعريف النبي في اللغة : مأخوذ من النباوة بمعنى المرتفع أو من النبأ و هو الخبر العظيم .

و في الاصطلاح : رجل من بني آدم أوحى الله إليه بشرع و امره بتبليغه ، أو جاء بتقرير شريعة سابقة .

– المساجد : مواضع الصلاة سواء كانت مبنية أو أرضا لا بناء فيها و سميت المساجد لأنها مواضع السجود و السجود أشرف أركان الصلاة .

– تعريف الشرك في اللغة : هو التسوية .

و في الصطلاح : هو تسوية غير الله بالله .

الولاء : هو الحب في الله و المناصرة فيه

البراء : البغض في الله و المعاداة فيه

أصل الدين و قاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة الله وحده و التحريض على ذالك و الموالاة فيه و تكفير من تركه .

الثاني : النهي عن الشرك في عبادة الله و التغليظ في ذالك و المعاداة فيه و تكفير من تركه .

البدعة ثلاثة أصناف :

أولا : مكفرة : كبدعة الرفض ، و التجهم ، و الحلول ، ووحدة الوجود

ثانيا : مفسقة كبدعة الاعتزال و التمشعر .

ثالثا : دون ذالك : كالذكر الجماعي

الحنيفية : نسبة إلى الحنيف من الحنف و هو الميل و منه الأحنف مائل القدم

– و سمي إبراهيم ﷺ حنيفا ، لأنه مائل عن الشرك بالله إلى توحيد الله عز و جل .

– ((دين القيمة)) : أي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه .

– العبادة في اللغة : من التعبيد و هو التذلل و التسخير و من ذالك طريق معبد ، أي مذلل .

–هذه هي الحقيقة اللغوية للعبادة يشترك فيها جميع الخلق حتى إبليس لعنه الله .

– العبادة في الشرع : اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأفعال الظاهرة و الباطنة .

– و العبادة لها ثلاثة مقامات :

١– الخوف : يردع عن مغاضب الله .

٢– الرجاء : يطمع في رحمة الله .

٣– المحبة : تجعل الصدور منشرحة لأوامر الله و نواهيه

– معرفة الرب : تقتضي الإيمان به و الإيمان بمايستحقه من العبادة الخالصة و الأسماء الحسنة و الصفات العليا

– الرب يطلق على :

١ – المالك ٢ – السيد ٣ – المعبود ، و لا تجتمع كلها إلا في الله عز و جل .

تفسير ((الله)) قال ابن عباس ﷺ ((ذو الألوهية و العبودية على خلقه أجمعين))

– لفظ الله و الإله من الألوهة بمعنى العبادة فالله مألوه بمعنى معبود .

تربية الله للمكلفين على ضربين :

أولا : تربية بالنعم المادية من التغذية و أمور المعاش

ثانيا : تربية دينية : تربية الله عباده بما أنزل على رسله من و حيه .

– الحمد : هو الثناء على الله عز و جل

الفرق بين الحمد و الشكر

- فالحمد يكون على النعمة و المصيبة
- و الشكر لا يكون إلا على النعمة
- و الحمد يكون بالسان فقط
- و الشكر يكون بالسان و القلب و الجوارح

العالم أو العوالم : هي جميع المخلوقات من السموات و الأرض و ملائكة و إنس و جن و دواب كلها عوالم

الآيات : جمع آية

- و في اللغة : العلامة

- و آيات الله ثلاثة أصناف

أولا : آيات منزلة على الرسل و هي و حيه الذي أوحاه إلى كل رسول و أمره أن يبلغه قومه ، و هي غير مخلوقة .

ثانيا : آيات أفاقية أو أفقية مخلوقة منها السموات و الأرض و الشمس و القمر ، ما يشاهد في الكون منها

ثالثا : آيات نفسية : و هي ما يلحظه الإنسان في نفسه و عجيب صنع الله عز و جل ،

لفظ الناس مأخوذ من النَّوْس أو النَّوَس ، و هو كثرة الحركة ، ومنه قول العامة مكان ينوس أي تكثر فيه الحركة .

- التقوى في اللغة : من الوقاية و هي الحذر من المكروه .

- و اصطلاحا : فعل طاعة الله على نور من الله ، طلبا لثوابه ، و ترك معصية الله على نور من الله ، خوفا من عقابه .

- مراتب التقوى هي

١- فعل المأمورات .

٢- ترك المنهيات .

٣ — اجتناب المنهيات .

- الدعاء نوعان :

١ — دعاء المسألة : هو سؤال العبد ربه جلب الخير و دفع الشر مثال ماروواه البخاري عن ابن عباس قال : -كان رسول الله ﷺ يقول عن الكرب : ((لا إله إلا الله رب العرش ، لا إله إلا الله رب السموات و رب الأرض رب العرش الكريم)) .

- و التوسل و هو في الحقيقة من دعاء المسألة و له ثلاثة أقسام :

أولا : التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته

ثانيا : التوسل إلى الله بصالح الأعمال .

ثالثا : التوسل إلى الله بدعاء الصالحين (شريطة أن يكونوا أحياء قادرين) .

النوع الثاني : دعاء العبادة و يتضمن أمرين .

أحدها : التقرب إلى الله بالمسألة يسأل المسلم ربه ما أحب من خيري الدنيا و الأخرة تقربا بذالك إلى الله

الثاني : التقرب إلى الله بما شرعه من الأذكار من تسبيح و تهليل و تكبير و تحميد مما ليس فيه مسألة

آداب الدعـاء :

١- إخلاص الدعاء لله عز و جل
٢- اليقين بالإجابة
٣- ألا يكون الدعاء إثم أو قطيعة رحم
٤- عدم العجلة عليه أن يدعو و يصبر
٥- عدم الاعتداء في الدعاء
٦- طيب المتاع و المأكل و المشرب و الملبس

- الخوف : هو شدة الخشية و الحذر

الخوف ثلاثة أنواع :

الأول : خوف السر و هو خوف الإنسان من وثن أو جني أن يصيبه بمكروه ، و كذا خوفهم من الأوثان و المعبودات من أصنام و جن أن تصيبه بمكروه ، هذا شرك أكبر لأنه علق قلبه بغير الله و هدم أحد مقامات العبادة .

الثاني : تركه الواجبات خفا من الناس و لا يدخل في هذا درء مفسدة أو فرض كفاية و هذا النوع ينافي كمال التوحيد .

الثالث : الخوف الطبيعي و هو الذي جبل عليه الإنسان مثل أن يخاف من أسد أو ذئب رأه أو طريق مليئ بالصوص .

الرجاء : أحد مقامات العبادة و هو أمل الإنسان في رحمة الله عز وجل و عفوه .

التوكل لغة : هو التفويض و كله فوضه ، وكلت فلان أي فوضته في الأمر .

و الوكالة : هي جعل اللإنسان نائبا مفوضا عته فيما يخصه

و اصطلاحا : اعتماد القلب على الله عز وجل في جلب نفع أو دفع ضر .

- الرغبة و الرهبة متقابلان

فالرغبة : الطمع و الضراعة

و الرهبة : الخوف

و الخشوع : هو الخضوع لله عز وجل

الخشية كما قال أهل العلم : خوف يصحبه تعظيم .

الإنابة : إذا أفردت فهي بمعنى الإسلام و بمعنى الإيمان لكن إذا قرنت بالإسلام كانت الإنابة بالقلب و الإسلام بالجوارح ، بالأعمال الظاهرة مثل الإيمان و الإسلام إذا جمع بينهما .

الاستعانة : هي طلب العون و هي قسمان .

١ – طلب العون فيما لا يقدر عليه إلا الله و هذا خالص حقه سبحانه و تعالى ، و صرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة .

٢ – طلب العون من المخلوق فيما يقدر عليه المخلوق و شروط هذا .

أولا : أن يكون المخلوق قادرا لأنك لو استعنت بغير قادر و أنت تعلم من حاله ذالك ، فإنك أحرجته و كلفته ما لا يطيق و هذا لا يجوز .

الثاني : أن يكون حيا

الثالث : أن يكون حاظرا و قد يستعان بالغائب في أحوا معينة قد يتصل بغائب ، أو يكاتب فيطلب من افعانة بماله أو جاهه

الاستعاذة : هي طلب و الالتجاء إلى الله عز و جل هربا من المكروهات .

سورة الناس تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة .

- من أقدم المتكلمين في تقسيم التوحيد أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحم الله الجميع .

الاستغاثة : طلب الغوث و هو الدعاء حال الشدة و يفرق بين الستعاثة و الدعاء .

- فالدعاء يكون في الشدة و الرخاء .
- أما الاستغاثة فلا تكون إلا في الشدة .

- اللعن من الله : طرد الملعون و إبعاده عن رحمة الله
- ومن المخلوق : طلب الطرد و الإبعاد من رحمة الله .

الذبح قسمان :

١– ذبح عادة : و هذا ليس فيه أجر و لا وزر هذا الأصل ، الأصل فيه عدم الأجر و من ذبح العادة ذبح الذبائح للبيوت أو لاجتماعاتهم الخاصة ، فإن الوزر و الأجر مرتبان على النية .

٢ – ذبح العبادة و هذا ثلاثة أقسام :

١ – شرعي ٢ – بدعي ٣ – شركي

الأول : فالشرعي ما شرعه الله عز و جل إما وجوبا كاهدي الأضحية على قول ، و المندوب كالذي يذبح صدقة عن موتاه أو عن نفسه .

الثاني : من ذبح العبادة و هو البدعي كالذي عند قبر لله معتقدا أن لها مزيد فضل عن هذا القبر .

الثالث : هو شركي و هو الذبح لغير الله كالجن و القبور و الأصنام .

النذر و أحكامه

للنذر عدة مسائل ١ – تعريفه ٢ – حكمه ٣ – شروطه

تعريف النذر لغة : هو الإلزام

و اصطلاحا : هو إلزام المكلف نفسه بعبادة لم تكن واجبة عليه بأصل الشرع

الثاني حكمه : و حكمه ماهو شرعي و منه ماهو شركي

- فالشرعي : هو ماكان لله عزو جل
- و الشركي : ماكان لغير الله هذا تقسيم مبدأي

- ثم الشرعي ينقسم إلى قسمين :

١- منجز ٢ – معلق

- فالمنجز ضد المعلق و يسمى المطلق لأنه لم يقيد بشيئ و لم يعلق على شيئ كقول القائل علي نذر العمرة هذا العام أو لله أن أعتمر هذا العام أو يقول علي أن أتصدق بألف دينار هذا هو المنجز .
- أما المعلق فهو ما علق على أمر يوفي بحصوله ، كقول القائل إن شفى الله لي مريضي فغلي صيام كذا .

مسألة :

- ذهب بعض أهل العلم إلى أن النذر محرم و استدلوا بقوله ﷺ ﴿ إن النذر لا يأتي بخير و إنما يستخرج من بخيل ﴾

قالوا هذا ذم و ذم الفعل من صيغ النهي الفرعية ، و النهي الأصل فيه التحريم .

- **شروط النذر** :

١ - التكليف و يشمل البلوغ و العقل .

٢ - أن يكون النذر أي المنذور به طاعة .

٣ – أن يكون المنذور به ملكا للناذر

٤ – القدرة .

٥ حصول المنذور عليه .

الأسئلة والأجوبة على ماسبق

س١: من هو مؤلف الأصول الثلاثة؟

هو العلامة المجدد الإمام ، شيخ الإسلام ، مُحَّد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهيبي التميمي .

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة (١١١٥هـ) .

حفظ القرآن الكريم دون بلوغ عشر سنين ، وكانت له مشاركة في فنون كثيرة في التفسير والحديث ، والعقيدة والفقه ، والوعظ ،وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً وقدرة على الحفظ وصبراً على القراءة والتحصيل .

له مؤلفات نافعة منها :

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد،وأصول الإيمان،الأصول الثلاثة،ومختصر زاد المعاد،ومختصر الإنصاف،وكشف الشبهات ، وغيرها كثير .

مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة (١٢٠٦هـ) عن إحدى وتسعين سنة قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة فرحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له الأجر والمثوبة .

س٢: أذكر بعضاً من العلماء الذين شرحوا الأصول الثلاثة؟

جل علماء الدعوة شرحوا الأصول الثلاثة المشايخ بن ابراهيم وبن باز وبن عثيمين وبن جبرين والفوزان والخضير والحازمى وصالح آل الشيخ وبن قاسم والبراك والصقعوب والجابرى

س٣: لماذا ابتدأ المؤلف بالبسملة مع ذكر الدليل؟

ج: ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل مبدوء بالبسملة ، واقتداء بالرسول ﷺ ، فإنه بدأ كتبه بالبسملة.

س ٤: الجار والمجرور في بسم متعلق بمحذوف فعل مؤخر ،لماذا قدر فعلاً؟ ولماذا قدر مؤخراً؟

ج: قُدّر فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدر مؤخراً ؛لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

س ٥: اسم من أسماء الله تعالى تتبعه جميع الأسماء اذكره مع الدليل؟

ج: هو لفظ الجلالة(الله) والأدلة كثيرة منها:قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾وقوله تعالى:﴿هو الله الملك القدوس السلام...﴾إلخ الآية.

س٦: ما معنى اسم الرحمن؟ وهل يجوز إطلاقه على غير الله ولماذا؟

ج: الرحمن: معناه المتصف بالرحمة الواسعة، ولا يجوز إطلاقه على غير الله تعالى؛لأنه من الأسماء المختصة بالله.

س٧: ما معنى اسم الرحيم؟ هل يجوز إطلاق اسم الرحيم على غير الله مع الدليل؟

ج: معناه: ذو الرحمة الواصلة،ويطلق على الله وعلى غيره دليل ذلك قوله تعالى في وصف الرسول:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

س٨: عرف العلم؟ واذكر أقسامه مع تعريف كل قسم؟

ج: العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

س ٩: اذكر مراتب الإدراك مع تعريف كل مرتبة؟

ج: مراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

الثانية: الجهل البسيط: وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب :وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة: الشك: وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

السادسة: الظن :وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

س١٠: إذا قرنت الرحمة بالمغفرة فما معنى كلا منهما؟

ج: إذا قرنت الرحمة بالمغفرة: فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل.

س١١: ماذا تستلزم معرفة الله تعالى؟

ج: تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله مُحَّد ﷺ

س١٢: ماذا تستلزم معرفة النبي ﷺ؟مع ذكر الدليل؟

ج: تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[سورة النساء الآية: ٦٥].

س١٣: عرف الإسلام بالمعنى العام؟ والإسلام بالمعنى الخاص؟

ج: الإسلام بالمعنى العام: هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل: قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص: بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به مُحَّد ﷺ؛ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم.

س ١٤: هل يقبل دين غير دين الإسلام؟ ولماذا؟ مع ذكر الدليل؟

ج: الدين الإسلامي: هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله عز وجل: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩}،لأنه نسخ جميع الديانات السابقة قال تعالى:﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[آل عمران، الآية: ٨٥]وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن به على مُحَّد ﷺ وأمته ، قال الله تعالى:﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة، الآية:٣].

س ١٥:عرف الدليل؟ مع ذكر أقسامه؟وتعريف كل قسم؟

ج: هو ما يرشد إلى المطلوب.

وأقسامه : أدلة سمعية: وهي ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة.

وعقلية: وهي ما ثبت بالنظر والتأمل.

١٦: عَرَفْنَا النبيَّ ﷺ بالأدلة السمعية والعقلية اذكر دليلا لكل منهما؟

ج: معرفة النبي ﷺ بالأدلة السمعية مثل قوله تعالى:﴿محمد رسول الله والذين معه﴾[سورة الفتح ، الآية: ٢٩] الآية.

والأدلة العقلية: بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الآخبار الصادقة النافعة، والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات ، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

١٧: ما هو ثمرة العلم؟

ج: العمل في الحقيقة هو ثمرة العلم ، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

١٨-ماهي شروط الدعوة إلى الله تعالى؟ مع الدليل؟

ج: شروط الدعوة إلى الله:

أولا: العلم: ولا بد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة . لقوله تعالى:﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحن الله وما أنا من المشركين﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

ثانيا: أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى:﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥]

وقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

١٩-ما معنى البصيرة في قوله تعالى(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)؟

ج: البصيرة: تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

٢٠-اذكر شيئا من مجالات الدعوة إلى الله تعالى؟

ج: ومجالات الدعوة كثيرة منها:

١-الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة ٢- وإلقاء المحاضرات، ٣- الدعوة إلى الله بالمقالات ، ٤- الدعوة إلى الله بحلقات العلم ٥- الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف.٦- الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال.

٢١-عرف الصبر؟ واذكر أقسامه؟

ج: هو:حبس النفس على طاعة الله ، وحبسها عن معصية الله ، وحبسها عن التسخط من أقدار الله.

أقسامه ثلاثة:١- صبر على الطاعة ٢- صبر عن محارم الله ٣- صبر على أقدار الله.

٢٢-جهاد النفس على مراتب اذكرها؟مع ذكر الدليل على هذه المراتب؟

ج: قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- : جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله الله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين والدليل قوله تعالى:﴿ و العصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾.

٢٣-ماذا تعرف عن الإمام الشافعي؟

ج: الشافعي هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي ، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى .

٢٤-ما مراد الشافعي في قوله في سورة العصر(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)؟

ج:مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان ، والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة؛لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٢٥-ماذا تعرف عن الإمام البخاري رحمه الله؟

ج: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة ونشأ يتيماً في حجر والدته ، وتوفي رحمه الله في خرتنك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

٢٦-من أين استنبط الإمام البخاري رحمه الله قوله: باب العلم قبل القول والعمل؟

ج: من قوله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[سورة مُحَمَّد ، الآية: ١٩] ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

الثلاث مسائل

اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: أنَّ اللهَ خَلَقنا ورزَقَنا ولم يتركْنا هملاً؟بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالى ؟إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا(١٥)فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا؟[المزمل:١٥-١٦].

الثانية: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشْرك معهُ أحدٌ في عبادتِه لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَل والدليلُ قولُهُ تعالى ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨].

الثالثة: أنَّ مَنْ أطاعَ الرسولَ ووحَّدَ اللهَ لا يجوزُ لهُ مُوالاةُ مَنْ حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كان أقْرَبَ قريبٍ. والدليلُ قوله تعالى؟لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ؟[المجادلة:٢٢]

المسألة الأولى

اعلمْ رحِمكَ اللهُ: أنَّهُ يجبُ على كلِّ مسلم ومسلمة تَعَلُّمُ هذه الثلاث مسائل والعملُ بهنَّ:

الأولى: **أنَّ اللهَ خَلَقنا ورزَقَنا ولم يترْكنا هملاً؟بل أرسلَ إلينا رسولاً فمنْ أطاعَهُ دخلَ الجنَّةَ ومنْ عصاهُ دخلَ النّارَ. والدليلُ قولُهُ تعالى ؟إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا(١٥)فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا؟[المزمل:١٥–**قال تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ .

فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم أنتم بشر تنتشرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وخلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

وأما الدليل العقلي على أن الله خلقنا :

فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ .

فإن الإنسان لم يخلق نفسه ، لأنه قبل وجوده عدم ، والعدم ليس بشيء ، وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً ، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق ، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد ، لأن كل حادث لا بد له من محدث ، ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتآلف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره .

وقال تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾.

إذ لو أثبتنا للعالم خالقين لكان كل خالق يريد أن يتفرد بما خلق ويستقل به كعادة الملوك ، إذ لا يرضى أن يشاركه أحد .

وأما ما ورد من إثبات خالق غير الله كقوله تعالى : ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ، وكقوله ﷺ : (يقال لهم ـ أي للمصورين ـ أحيوا ما خلقتم) . متفق عليه

فهذا ليس خلقاً حقيقة ، وليس إيجاداً بعد عدم ، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال ، وأيضاً ليس شاملاً بل محصور بما يتمكن الإنسان منه ، ومحصور بدائرة ضيقة .

ولم ينكره أحد معلوم من بني آدم ، فلم يقل أحد من المخلوقين أن للعالم خالقين متساويين .

فلم يجحد أحد توحيد الربوبية ، لا على سبيل التعطيل ، ولا على سبيل التشريك إلا ما حصل من فرعون فإنه أنكره على سبيل التعطيل مكابرة ، فإنه عطل الله من ربوبيته وأنكر وجوده ، قال تعالى :﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾ وقال : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ وهذا مكابرة منه لأنه يعلم أن الرب غيره كما قال تعالى :﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ .

(**ورزقنا**) .

قال تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ .

وأما السُّـنَّة :

قوله ﷺ في الجنين (يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد) .

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا :

فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب ، والطعام والشراب خلقه الله ، كما قال تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون إنا

لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ .

(ولم يتركنا هملاً) .

قال تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ﴾ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :

(﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ﴾ أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة منا ، وقيل: للعبث ، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت إليها ثم لا ثواب ولا عقاب)

وقال تعالى : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ .

قال السدي : لا يُبَعث .

وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني لا يؤمر ولا يُنهى .

قال ابن كثير : (والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا يُنهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور ومنهي في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة) . أ.هـ

وأما الدليل العقلي :

فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل ، بل هو عبث محض ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم تكون النتيجة لا شيء ، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل .

(بل أرسل إلينا رسولاً) .

هو مُحَمَّد ﷺ أرسله الله بالهدى ودين الحق .

(فمن أطاعه دخل الجنة) .

قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ﴾ .

وقال الرسول ﷺ : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، فقيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار) . رواه البخاري

(ومن عصاه دخل النار) .

قال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ .

وقال ﷺ في الحديث السابق : (ومن عصاني دخل النار) .

قوله " يجب علينا " هنا ذكر حكم المسائل الثلاث ، سبق تعريف الواجب ، لكن كما قلنا هناك أن الوجوب هنا ليس معناه الوجوب الاصطلاحي بل هذه أصول عظيمة بل وأعظم من الواجبات الاصطلاحية . أ : العلم بان الله خلقنا لطاعته . ب : العلم بان الله لا يرضى الشرك . ج : العلم بعدم موادة الكافر .

وهذه التلات جعلها المصنف من باب العلم والعمل فقال يجب تعلم هذه المسائل، والعمل بهن .

وهذه المسائل الثلاث واجبة على كل مسلم ومسلمة .

تعريف المسلم : من أتى بالشهادتين ومقتضاهما وعمل بذلك ولم يأت بناقض وهو قول وعمل واعتقاد . هل يفهم من كلام المصنف أن الكافر لا تجب على هذه الثلاث المسائل ؟

ليس كذلك بل هي واجبة حتى على الكافر ، لكن تخصيص المسلم هنا لأن الخطاب متوجة إليه .

مسألة : هنا في المسائل الثلاث قال على كل مسلم ومسلمة ، فزاد مسلمة ، في حين أنه في المسائل الأربع السابقة لم ينص على كلمة مسلم ومسلمة ، والجواب لأنه قال علينا وهذا يشمل الرجال والنساء .

" تعلم هذه الثلاث المسائل " التعلم هو المعرفة المستلزمة للإنقياد بالعمل والإذعان بالطاعة

" والعمل بهن " الواجب في المسائل الثلاث واجبان : العلم ، والعمل .

المسألة الأولى منها : " إن الله خلقنا لحكمة وهي طاعته وعبادته " ورتب الجزاء على هذه الطاعة وهي الجنة أو النار فمن أطاعه دخل الجنة . والطاعة : الموافقة والتنفيذ للأمر على وجه الاختيار ، وكذلك فعل الأوامر التي يحبها الله على وجه الاختيار .

" **دخل الجنة** " هل هو دخول كامل أم دخول يسبقه عذاب ؟ على حسب الطاعة فإن كانت طاعته كاملة فدخوله دخولاً كاملا ، يدخل الجنة ولا يعذب ، وإن كانت ناقصة فدخوله ناقص وهو تحت المشيئة فإن شاء الله عذبه وأدخله النار ثم يدخله الجنة .

" **من عصاه** " المعصية مخالفة الأمر عمداً . قال ابن تيمية في الفتاوى ١١ / ٦٧٤ فالمعصية مخالفة الأمر ومخالف النهي عاص اهـ .

أما مخالفة الأمر في المسائل الخفية متأولا فهو من باب الخطأ ، والمخالفة جهلا فإن كان مثله يجهله فهو خطأ وإلا كان تفريطا وإعراضاً .

والعلمانيون عندهم الطاعة هي الموافقة في أشياء مخصوصة في المسجد والأحوال الشخصية فقط لا في الحكم والسياسة والاقتصاد وبقية الحياة فلا .

" **دخل النار** " هل هو على وجه الخلود أم على وجه التعذيب ثم يخرج ؟ على حسب المعصية ، فإن كانت المعصية فيها شركاً أكبر وكفراً أكبر فهذا يخلد في النار ولا يخرج . وإن كانت المعصية من الكبائر فهذا يدخل النار إذا لم يعف الله عنه ثم يخرج إلا إذا كان شركا أصغر ففيه خلاف والراجح أنه لا يغفر . ثم ذكر المصنف الدليل على ذلك ، وهو قوله تعالى : { إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً)

الأولى من تلكم المسائل: أن الله ﷻ خلق الخلق لغاية، لم يخلقهم لغير غاية، لم يخلقهم سدا ولا عبثا سبحانه وتعالى عما يصفون، بل إنما خلق الخلق لغاية، قال جل وعلا ؟الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؟[الملك:٢]، وقال جل وعلا؟أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا؟[المؤمنون:١١٥]، يعني لغير غاية ولغير حكمة ؟وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ؟[المؤمنون:١١٥]، وأنه لن يكون بعث بعد خلقكم، وأنه لن يكون إرجاع لكم إلى من خلقكم، هذا فيه قدح، هذا الظن فيه قدح في حكمة الله جل وعلا، لذلك قال جل وعلا بعدها ؟فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ؟(٤) تعالى عما يصفه به المبطلون، تعالى عما يظنه عليه الجاهلون القادحون في حكمته، فإذن الخلق مخلوقون لغاية، ما هذه الغاية؟ هي ما بينها في قوله جل وعلا ؟وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا

أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(٥٧)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ؟[الذاريات:٥٦-٥٨]، الله جل وعلا ما خلق الجن والإنس إلا لغاية واحدة وهي الابتلاء؛ ؟لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا؟(٥) الاختبار اختبار في أي شيء ؟ في عبادته هل يعبد وحده لا شريك له أم يتخذ المخلوق هذا آلهةً أخرى مع الله جل وعلا؟ وهذه مسألة ولا شك عظيمة.

الإنسان خُلق لهذه الغاية، لكن يحتاج إلى من يُبَصِّره بهذه الغاية، ويعلّمه القصد من خلقه، ويعلمه كيف يصل إلى عبادة ربه على الوجه الذي يرضى به اللهُ جل وعلا عنه، فبعث الله جل وعلا رسلا مبشرين ومنذرين يدلون الخلق إلى وعلى خالقهم، يعرفونهم بمن يستحق العبادة وحده، ويعرفونهم بالطريق التي أذن من خلقهم أن يعبدوه بها؛ قال جل وعلا لنبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام ؟وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا؟[سبإ:٢٨]، وقال جل وعلا ؟إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا؟[المزمل:١٥]، وكل أمة قد خلا فيها نذير، كما قال جل وعلا ؟وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ؟[فاطر:٢٤]، نذير ينذرهم ويبشرهم؛ يبَشِّر من أطاع وينذر من النار، ويخوف من النار ؟وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ؟[النحل:٣٦]، فثبت بهذه النصوص أن الله جل وعلا لم يترك الخلق وشأنهم بعد أن خلقهم، بل بعث لهم رسلا يعلمونهم ويهدونهم ويبصّرونهم الطريق التي يرضى الله جل وعلا بها أن يعبدوه بها دون ما سواها من الطرق الموصلة، وتلكم الطريق طريق واحدة، ليست بطرق متعددة كما قال جل وعلا ؟اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؟[الفاتحة:٦] فهو صراط واحد، وهناك صُرط أخرى، هي صُرط أهل الضلال والجهل والغِواية، والهوى أما الطريق الموصلة إلى الله جل وعلا فهو طريق المرسلين الذي جاءوا به من عند الله جل وعلا؛ وهو دين الإسلام العام، كما قال جل وعلا ؟إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ؟[آل عمران:١٩]، الاستسلام لله جل وعلا بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، الرسل بينوا للناس هذه الغاية، ودلُّوهم على عبادة الله جل وعلا وحده دون ما سواه، فقامت العداوةُ بين الرسل وبين أقوامهم في هذا الأصل؛ حيث إن الخلق يريدون أن يعبدوا الله جل وعلا بالطريقة التي يحبون لا بالطريقة التي يحبها الله جل وعلا، ولهذا قال بعض أئمة السلف «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب»؛ ليس الشأن أن تحب الله، فإن محبة الله جل وعلا يدعيها المشركون، يدعيها الضالون، كل قوم بُعث فيهم الرسل يدعون

أنهم يريدون وجه الله، يريدون ما عند الله يحبونه، ربما يتصدقون ويُصَلُّون ويدعون ويَصِلُون ويتقربون، وما فِعل أهل الجاهلية؛ جاهلية العرب مِنَّا ببعيد، لكن ليس الشأن أن يُحب المحبُّ ربَّه، ولكن الشأن أن يُحب العبدَ ربُّه؛ الشأن أن يحب الله جل وعلا العبد متى يكون ذلك؟ لابد أن يبحث العبد عن سبيل محبة الله جل وعلا له، هذا السبيلُ بيَّنه الله جل وعلا في قوله ؟قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ؟ زعمًا ؟ فَاتَّبِعُونِي؟ طاعةً ؟يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ؟[آل عمران:٣١]. فإذن سبيل محبة الله للعبد هي طاعة الرسل، واتباع الرسل وخاتم المرسلين نبينا مُحَمَّد ﷺ الذي ببعثته وبرسالته نُسخت جميع الرِّسالات ونسخت جميع الكتب من قبله عليه الصلاة والسلام، فبقي للناس طريق واحد يصلون به إلى ربهم جل وعلا؛ ألا وهو طريق مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، إذ هو الواسطة العملية للاتباع؛ لاتباعه للوصول إلى الله جل وعلا، فمن اتبع واهتدى بغير هدي النبي عليه الصلاة والسلام، هذا النبي الخاتم، فهو من الضالين الذين تنكبوا سبيل الحق.

هذا الأصل الأول، وهذه المسألة الأولى عظيمة جدا؛ لأنها إذا استقرت في قلب العبد قادته إلى كل خير، يعلم أنه ما خلق إلا لغاية. ما هذه الغاية؟ هي عبادة الله وحده دون ما سواه. كيف أعرف طرق هذه العبادة؟ باتباع النبي عليه الصلاة والسلام. فتلخص الدين في هذه المسألة العظيمة، وما أحسن قول شمس الدين بن القيم في نونيته بعد أبيات قال:

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان (لواحد) لله جل وعلا وحده دون ما سواه، (كن واحدا) في قصدك وإرادتك وتوجهك وطلبك، (في واحد) في طريق واحد، قال بعدها (أعني سبيل الحق والإيمان) الذي هو سبيل النبي عليه الصلاة والسلام.

المسألة الثانية

(**الثانية** : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾) .

هذه المسألة الثانية مما يجب علينا علمها ، أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، يعني فضلاً عن غيرهما من سائر المخلوقات ، لأن العبادة لا تصلح إلا لله .

والشرك أعظم ذنب عُصِيَ الله به ، وهو هضم للربوبية ، وتنقص للألوهية ، وهو : (تسوية غير الله بالله في ما هو من خصائص الله) .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

وقال ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ... الإشراك بالله ...) . متفق عليه

وقال ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات ... فذكر منها : الشرك) . متفق عليه

وقال ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) . رواه البخاري

والشرك لا يرضاه الله ، بل أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليها : قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وعلى الإنسان أن يخاف من الوقوع في الشرك :

قال الخليل عليه السلام : ﴿ واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ﴾ .

قال الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ : (فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه ، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق) .

والشـرك ينقسـم إلى ثلاثة أقسـام :

١ ـ شرك أكبر .

٢ ـ شرك أصغر .

٣ . شرك خفي .

وذهب العلامة ابن القيم . رحمه الله . إلى أن الشرك نوعان : أكبر وأصغر . وهذا أظهر .

النوع الأول : الشرك الأكبر .

الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة ، وصاحبه إن لقي الله به فهو خالد في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ .

ولذلك يقول المشركون من عباد قبور وغيرهم لآلهتهم في النار : ﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ .

النوع الثاني : الشرك الأصغر :

وصاحبه إن لقي الله فهو تحت المشيئة ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه ولكن مآله إلى الجنة ، لأن الشرك الأصغر لا يخلد صاحبه في النار .

ومن أنواع الشرك الأصغر : الحلف بغير الله ، إن لم يقصد تعظيم المحلوف به وإلا صار شركاً أكبر . عن ابن عمر ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه أبو داود ، ومنه يسير الرياء .

قال النبي ﷺ :(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فسئل عنه ، فقال :(الرياء) رواه أحمد

ما هو موضوع هذه المسألة ؟ إن الله سبحانه لا يرضى الشرك ولا يحبه قال المصنف : إن حرف توكيد ونصب ، ولفظ الجلالة (الله) اسمها وهو الخالق المعبود ، قوله " لا يرضى " فيه إثبات الرضى لله وأنه يرضى من بعضا الأشياء ويسخط على بعض الأشياء . معنى الرضى : وصف قائم في ذات الله سبحانه وتعالى ينتج عنه الإنعام والعطاء وهي صفة لله متعلقة بالمشيئة .

أما الأشاعرة والمعتزلة فإنهم يقولون الرضا إرادة الإنعام وإرادة الثواب ، ولا يقولون وصف قائم في ذات الله ، والمعتزلة يقولون هو الإنعام ، والسبب لأن الأشاعرة يثبتون صفة الإرادة لله عز وجل ، ولذا قالوا إرادة الإنعام .

قوله : " **لا يرضى** " أي أن الله لا يرضى الشرك وإنما يسخطه ولا يريده سبحانه وتعالى إرادة شرعية قال تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) ، أما الإرادة الكونية فإن الله أراده كوناً فوقع لحكمة أرادها تعالى ، ولم يرده شرعاً .

" أن يشرك " أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي شركاً . والشرك : بالمعنى العام : أن تجعل لله نداً في الأسماء والصفات أو الربوبية أو الألوهية ، وهذا التعريف يدخل فيه شرك الأسماء والصفات وشرك الربوبية وشرك الألوهية.. وعلى هذا فالشرك ينقسم إلى أقسام :

شرك في الأسماء والصفات : أن تجعل لله نداً فيما يختص به من الأسماء والصفات .

شرك في الربوبية : وهو أن تجعل لله نداً في الخلق والملك والتدبير .

شرك في الألوهية : وهي أن تجعل لله نداً في الدعاء والعبادة ، وبمعنى آخر دعوة غيره معه .

قال المصنف رحمه الله: " إن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد " .

" في عبادته " وهي الذل والخضوع . . هذا تعريفها في اللغة ولذا يقال طريق معبد إذا ذللته الأقدام ومشت عليه .

اصطلاحا : العبادة الذل والخضوع لله بالطاعة ، وعرفها ابن تيمية أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وأحسن ما يقال أن كلا المعنيين صحيح فيقال تعريف العبادة يختلف : فباعتبار المتعبد به ينزل تعريف ابن تيمية ، وباعتبار التعبد هي الذل والخضوع .. والله أعلم .

" لا ملك مقرب ولا نبي مرسل " ضرب المصنف مثالين لبيان أن الله لا يرضى أحداً معه .

لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ولم يرد المصنف بالمثالين أن يستوعب ، فالله لا يرضى الصالح ولا الطالح ولا الجن ولا غير ذلك .. ومعنى الكلام مادام أنه لا يرضى هذين المقربين فغيرهما من باب أولى .

" **ملك** " مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة فيكون تعريف الملك وهو المرسل وتعريف الملائكة (هم جنس خلقهم الله من نور و وكلّ بهم أعمالهم) .

" **مقرب** " صفة للملك لأن الملائكة من المقربين باعتبار المكانة ، فإذا كان الملك المقرب لا يرضى الله أن يشرك معه فغيره من باب أولى .

" **ولا نبي مرسل** " فجعل النبي مرسلاً وهذا أصح أقوال أهل العلم في تعريف النبي أنه مرسل قال تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) الآية . وقال بعض أهل العلم أن تعريف النبي هو : من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ ، وهذا مخالف لأصل الكتاب والسنة وقد بحثنا هذه المسألة في موضع آخر .

وقوله مرسل : أي أرسله الله إلى قوم مؤمنين ويدل عليه من القرآن قوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسولا ولا نبي } الشاهد ولا نبي فجعل النبي مرسلاً ، وقوله } وبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين } فأصبح النبي مبعوثاً أي مرسلاً . وحديث جابر المتفق عليه " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي...كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .." والفرق بين النبي والرسول أن النبي : أرسل إلى المؤمنين يجدد رسالة الرسول الذي قبله . والرسول : أرسل إلى الكفار بشريعة جديدة ، والشاهد قوله كل نبي بعث إلى قومه مما يدل على أن النبي مبعوث ومرسل لكن إلى قومه .

والدليل على أن الله لا يرضى الشرك قال تعالى : { وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا } . المساجد : جمع مسجد ويقصد به السجود أي السجود يكون لله تعالى ، أو أعضاء السجود . لله : اللام للاستحقاق ومعنى الله هنا المعبود الخالق . ولا ناهية والنهي يقتضي التحريم وهو موضع الشاهد . تدعوا : نهى الله عن الشرك والشيء المحرم لا يحبه الله ولا يرضاه . تدعو أعم من قولنا تعبد فمنع الدعاء لأن الدعاء ينقسم إلى قسمين

: ١- دعاء عبادة . ٢- دعاء مسألة .

دعاء العبادة : أن تصلى وتصوم .. الخ . والصلاة لو سألت لماذا تصلى لقال لكي يغفر الله لي .. إذاً هي دعاء الله المغفرة ، كأنك قلت اللهم اغفر لي فهي دعاء عملي .

دعاء المسألة المصدر بياء النداء المقتضية للطلب مثل يالله وفقني . كلاهما محرم صرفه لغير الله وهو شرك أكبر بمعنى يدعو بالشفاعة له من غير الله وصاحبه مرتد.

قال جل وعلا ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، (فَلَا تَدْعُوا) دعاء مسألة، ودعاء عبادة مع الله أحدا.

المساجد يفعل فيها شيئان:

* سؤال الله جل وعلا، دعاء الله جل وعلا دعاء المسألة، هذا نوع.

* والثاني عبادة الله جل وعلا بأنواع العبادات من الصلاة؛ الفرض و النفل، ومن التلاوة، ومن الذكر، ومن التعلم والتعليم، ونحو ذلك.

قال جل وعلا ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ؟ (الْمَسَاجِدَ) أقيمت لله جل وعلا؛ لعبادته وحده دون ما سواه، فلا تدعو دعاء مسألة أحدا غير الله، ولا تدعو دعاء عبادة أحدا غير الله، وكما أن المصلي لا يصلي إلا لله، فكذلك في المسجد وفي غيره فلا يسأل ولا يدعو إلا الله جل وعلا.

دعاء المسألة: هو الذي يسميه العامّة أو يسمّيه الناس الدعاء، وهو المقصود به، إذا قيل دعا فلان يعني سأل به الله جل وعلا قال: اللهم اعطني، اللهم قني، اللهم اغفر لي. ونحو ذلك، هذا يسمى دعاء المسألة.

أمَّا دعاء العبادة: فهو العبادة نفسُها؛ لأن المتعبد لله جل وعلا بصلاة أو بذكر هو سائل لله جل وعلا، لأنه إنما عبد أو صلى، أو صام، أو زكى، أو ذكر، أو تلا، رغبةً في الأجر، كأنه سأل الله جل وعلا الثواب، لهذا يُقال الدعاء قسمان: دعاء مسألة ودعاء عبادة، قال جل وعلا ؟وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ؟[غافر:٦٠]، قال في أول الآية (ادْعُونِي)، وقال في آخرها (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) فدل على أن الدعاء عبادة، أو هو العبادة، ولهذا فسر السلف قوله (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) الاستجابة هنا فُسِّرت بتفسيرين: (أَسْتَجِبْ) بمعنى أُعطكم ما سألتم، أو أُثِبْكُم؛ أدعوني أثبكم، إذا كانت في هذا التقسيم (أدعوني أثبكم) بهذا المعنى فيكون الدعاء هنا الدعاء بمعنى العبادة، لأنها هي التي يتعلق بها الثواب. وإذا كانت الإجابة هنا بمعنى إعطاء السُّول يكون الدعاء هنا دعاء مسألة.

وهذه المسألة مقررة تقريرا واضحا في كتب أهل العلم؛ ألا وهي أن قوله تعالى ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، أنه يشمل نوعي الدعاء؛ دعاء المسألة ودعاء العبادة. وقد جاء في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال «الدعاء هو

العبادة»، وفي معناه ما جاء عن أنس مرفوعا «الدعاء مخ العبادة».

الله جل وعلا لا يرضى أن يشرك معه أحد، قد يُتوهَّم أن المخلوق إذا بلغ إلى غاية عظيمة أنه يمكن أن يوصل إلى الله جل وعلا باتخاذه واسطة، باتخاذه وسيلة، وأعلى المخلوقات مقاما عند الخلق الملائكة والرسل والأنبياء، لهذا نفى الشيخ رحمه الله تعالى هذين فقال: (الله جل وعلا لا يرضى أن يشرك معه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل)، (لا ملك مقرب) حتى ولو كان جبريل الذي هو سيد الملائكة وأشرفهم وأعظمهم. (ولا نبي مرسل) حتى النبي عليه الصلاة والسلام. دليل ذلك ؟فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، وجه الاستدلال أن (**أَحَدًا**) نكرة جاءت في سياق النفي، وقد تقرر أن النكرات إذا أتت في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، فإنها تعُم. قال (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) يدخل في (أَحَدًا) الملائكة، ويدخل فيه الأنبياء.

هذا الأصل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمه علما يقينيا لاشك فيه ولا شبهة، بدليله وهو قوله ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، فلا يخطر على قلب المسلم أو المسلمة أنه يمكن أن يدعو غير الله، أو أن يستغيث بغير الله، أو أن يتوجه إلى غير الله، بأي نوع من أنواع العبادات، حتى ولو كان المتوجه إليه ملك مقرب، أو نبي مرسل.

ومن المتقرر أن ثمَّ فرقا بين النبي والرسول؛ فليس كل نبي رسولا، بينما كل رسول نبي، وقول الشيخ هنا (ولا نبي مرسل)؛ لأن الرسالة أرفع درجة من النبوة. والفرق بينهما أن:

النبي: هو من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه إلى قوم موافقين له،

والرسول: هو من أوحي إليه بشرع، أو كتاب، وأُمر بتبليغه إلى قوم مخالفين.

فإذن النبي مرسل، وقد يكون مرسلا إلى نفسه، لكنه ليس بالرسول بالمعنى الأخص.

وبهذا يتضح المقام بقوله، وذلك لقول الله تعالى ؟وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ؟[الحج:٥٢]، فأثبت أن الرسول مُرسل، وأن النبي أيضا يقع عليه الإرسال قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول)، (الرسول) يقع عليه الإرسال (ولا نبي) أيضا النبي يقع عليه الإرسال، يعني يؤمر أن يبلغ ذلك لمن؟ لمن يوافقه هذا النبي، مثل أنبياء بني إسرائيل إذا مات فيهم نبي؛ خلفه نبي يبلغ من يوافقه في عقيدته، من يوافقه في إتباعه لشريعة النبي؛ الرسول الذي قبله، إذا بلَّغ موافقا، وكان هذا التبليغ مأمورا به من الله جل

وعلا، ومعه شرع، أو بعض شرع، فإن هذا نبي. وقد لا يكون مأمورا بتبليغه إلى قوما موافقين، فقد يُبَلِّغ نفسَه، وعلى هذا يحمل بأحد تفاسير أو شروح العلماء، ما جاء في الحديث «أن النبي يأتي يوم القيامة وليس معه أحد» قد يكون لأنه لم يُستجب له، وقد يكون بأنه إنما أُمر أو أوحي إليه لنفسه لا لغيره.

المسألة الثالثة

(الثالثة : أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب . والدليل قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﷺ ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

المسألة الثالثة مما يجب علينا علمها الولاء والبراء ، أي أن من أطاع الرسول فيما أمر به واجتنب ما نهي عنه ووحد الله في عبادته فإنه لا يجوز أن يوالي وأن يحب المحادون لله وهم الكفار ، بل يقاطعهم ، ويصادمهم ويعاديهم أشد العداوة ، ولو كان من حاد الله ورسوله ابنك أو أباك أو أخاك أو عشيرتك فإن الله قطع التواصل والتوادد والتعاقل والتوارث وغير ذلك من الأحكام .

وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم موالاة الكفار :

أ) . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ﴾ وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره .

قيل لعمر بن الخطاب ﷺ : (إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً ، فقال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين) .

ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يُخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب .

ب) . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (أخبر الله في هذه الآية أن متوليهم هو منهم ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في

القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه) . الفتاوى (٧/ ١٨,١٧) .

وقال ابن القيم : (إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾) . أحكام أهل الذمة (١ / ٦٧ ـ ٦٩)

ج) . قوله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ... ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (أخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينافي أحد الضدين الآخر ، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه فيه الإيمان الواجب) . مجموع الفتاوى (٧ / ١٧)

د) . وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ... ﴾ .

الأدلة من السنة المطهرة :

أ) . عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :(من تشبه بقوم فهو منهم) رواه أبو داود وأحمد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإذا كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم) . اقتضاء الصراط المستقيم ص٨٣

فتبين من ذلك أن ترك هدي الكفار والتشبه بهم في أعمالهم وأقوالهم وأهوائهم من المقاصد والغايات التي أسسها وجاء بها القرآن الكريم وفصلها النبي الكريم ﷺ لأمته .

وهذا باب واسع نذكر منه نتفاً قليلة لتكون على بصيرة وتقف على أهمية هذا الأمر وخطورته ، حيث أنه لم يقتصر على العادات ، بل تعداها إلى غيرها من العبادات والآداب مثل :

١ . الصلاة :

. عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال : (اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها ؟ فقيل له : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رآها آذن بعضهم بعضاً فلم

يعجبه ذلك ، قال : فذكر له القنع ـ يعني الشبور ـ وفي رواية : شبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : (هو من اليهود) قال : فذكر له الناقوس ، فقال : (هو من أمر النصارى) فانصرف عبد الله بن زيد ابن عبد ربه وهو مُهَمٌّ لهمّ الرسول ﷺ فأري الأذان في منامه) . رواه أبو داود

ـ عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : (خالفوا اليهود والنصارى فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم) . رواه أبو داود

ـ وعن مسروق عن عائشة : (أنها كانت تكره أن يجعل المصلي يده في خاصرته وتقول : إن اليهود تفعله) . رواه البخاري

٢ ـ الصوم :

ـ عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول ﷺ قال : (فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر) . رواه مسلم .

ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون) . رواه أبو داود

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر هو لأجل مخالفة اليهود والنصارى) .اقتضاء الصراط المستقيم ص٦٠

ـ وعن ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت : أردت أن أصوم يومين مواصلة فنهاني عن بشير وقال : إن رسول الله ﷺ نهاني عن ذلك وقال : (إنما يفعل ذلك النصارى صوموا كما أمركم الله وأتموا الصيام كما أمركم الله ...) . رواه أحمد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فعلل النهي عن الوصال بأنه صوم النصارى وهو كما قال رسول الله ﷺ ويشبه أن يكون من رهبانيتهم التي ابتدعوها) .

٣ ـ الجنائز :

عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (اللحد لنا والشق لغيرنا) . رواه أبو داود وأحمد وله (والشق لأهل الكتاب) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الحديث : (وهو مروي من طرق فيها لين لكن يعضد بعضها بعضاً وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب حتى في وضع الميت في أسفل القبر) .

٤ . الآداب العامة :

. عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) . متفق عليه

. وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود ولا النصارى) . رواه أحمد

. وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة) . رواه الترمذي

فثبت من كل ما تقدم أن مخالفة الكفار وترك التشبه بهم من مقاصد الشريعة .

.وعنوان هذه المسألة أن الموحد لا يوالي أعداء الله .

" إن من أطاع الرسول ووحد الله " إن حرف توكيد ونصب .. من شرطية باعتبار المعنى يفيد العموم . أطاع : الطاعة الموافقة على وجه الاختيار ، ضدها المعصية ، وهي : مخالفة الأوامر متعمداً . وقوله ووحد الله أي أفرده بالعبادة وقوله لا يجوز ، أي لا يباح له موالاة من حاد الله .

والموالاة : بمعنى المحبة والنصرة والمتابعة والموافقة ، وهذه ذكرها بن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث الجزء الخامس ، عند كلمة " ولي " وأشار إليها ابن منظور في لسان العرب .

حكم (موالاة من حاد الله ورسوله) .

من : موصولة بمعنى الذي ومعنى حاد أي جانب وخالف ، فالمحاد المخالف لله ورسوله ، فالله ورسوله في جانب وهو في جانب ، آخر وأصناف المحادين هم :

الكافر . ٢- المنافق نفاقاً اعتقادياً ، ٣ . المرتد .

أما المسلم العاصي فليس محاداً لله وإنما معه أصل محبة الله وهو في جانب الله ورسوله ، ولم يخالف كليا وإنما عنده شيء من المخالفة .

" **مسألة** " ما حكم موالاة من حادة الله ورسوله ؟ فيه تفصيل حسب أقسام الموالاة أحياناً تكون كفراً مخرجاً من الدين وأحياناً من كبائر الذنوب .

ونقل عن الشيخ ابن باز رحمه الله الإجماع في فتاويه ، قال : أجمع العلماء بأن من ساعد الكفار بأي نوع من أنواع المساعدة فهو يكفر اهـ ومنه لو مكن لهم أن يستخدموا أرضه لضرب المسلمين فهذا يكفر .

والموالاة تنقسم إلى قسمين :

موالاة كبرى وتسمى الموالاة المطلقة والعظمى وتسمى التولي والمظاهرة ، وهذه مخرجة من الدين إذا وجدت في مؤمن خرج من الدين وهي أربعة أنواع .

١ . **محبة الكفار لدينهم** ، اللام تعليلية فأحبهم لأجل دينهم مثل محبة الهندوس والرافضة وغير ذلك فهو أحب دينهم ودليله حديث أبي مالك الأشجعي رواه مسلم : [من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى] الشاهد : " وكفر بما يعبد " فهو شرط أن يكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، هذا أول الأقسام في الكفر وهي محبة الكفار من أجل دينهم فالنتيجة أنه أحب دينهم ومن أحب دين الكفر فهو كافر مثل من يحب العلمانيين لأنهم على العلمانية ويحب الديمقراطيين من أجل الديمقراطية ويحب البرلمانيين من أجل أنهم برلمانيون ويحب القوميين من أجل القومية فهذا وآلاء الكفار ويعتبر كافرا مثلهم . ويدل عليه قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء } .

٢ . **أن ينصر ويساعد الكفار على المسلمين** كالذي يعين اليهود على المسلمين في فلسطين ، أو يعين الأمريكيين على المسلمين في أفغانستان وأمثال ذلك ، ويدل عليه الآية السابقة وهؤلاء ساعدوهم بالمال والعتاد والدعم ، والمساعدة : اسم جامع شامل لمساعدة في الجاه والمال وكونه جنديا معهم وغيرها .

٣/ ٤ . **موالاة الموافقة والمتابعة** : ومعناها أن يتابعهم على كفرهم وأن يوافقهم على كفرهم ومنها أيضاً أن يمدح مذهبهم أو يصحح مذهبهم . مثل : كأن يحتاج إلى مساعدة الكفار فيثني عليهم مثلاً إذا كانوا شيوعيين أو يريد أن يجامل الغرب فيثني على الديمقراطية فهذه تعتبر موالاة مكفرة وقد ذكر الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب في رسالته أرسلها إلى أحد علماء بلدة ثرمدا قال فيها : لو أن أحدا في بلاد المغرب (أي يقصد المسلمين) ظلمه السلطان

(ويقصد بذلك الدولة العثمانية) فقام أهل المغرب واستنجدوا بالإفرنج وقال الإفرنج لا نساعدكم حتى تمدحوا ديننا فقام ومدحهم فقد كفر

(مع أنهم لم يطلبوا من أهل المغرب ترك الإسلام ومع أن أهل المغرب مظلومين ومع ذلك كفروا بهذا المذهب) .

والكفر هنا يسمى كفر التولي وقد ألف الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَّد بن عبد الوهاب كتاب اسمه (الدلائل) وموضوعه عن الموالاة وهو موجود في مجموعة التوحيد ألفه الشيخ لما قام بعض الأعراب من سكان نجد يساعدون الحملة المصرية لما جاءت لمحاربة دعوة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب وأهلها فساعدتها بعض القرى فكفر الشيخ هؤلاء الذين ساعدوهم وكان كفرهم كفر تولي ومساعدة وموافقة .

وبعد مدة ألف الشيخ حمد بن عتيق : رسالة اسمها : الفكاك وهي موجودة مجموعة التوحيد تتكلم عن الموالاة ومظاهرة المشركين ألفها لما جاء الأتراك يريدون الاستيلاء على الأحساء فساعدهم بعض الناس وكانت الدولة العثمانية في عصر تلامذة الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب كانوا يطلقون عليها الكفر بسبب تشجيعها لعبادة القبور وتبنيها عبادة القبور ووجود الأنظمة القانونية فيها فكفر الشيخ حمد من ساعد الأتراك أو ظاهرهم أو أعانهم أو وافقهم .

الموالاة الصغرى ، لا لأنها من الصغائر لكن للتفريق بينها وبين الكبرى وهي من باب التعريف لأن كل شيء له أكبر فله أصغر ولا يفهم منها أنها ليست ذنبا.

ضابط الموالاة الصغرى : كل ما يؤدي إلى توقير الكفار واحترامهم وتعظيمهم بشرط بغضهم ومعاداتهم وتكفيرهم وعدم توليهم .

مسألة : **أمثله للموالاة الصغرى** : منها : ١- تصديرهم المجالس . ٢- إكرامهم . ٣- توليتهم على المسلمين وجعلهم رؤساء ورفعهم على المسلمين . ٤- زيارتهم زيارة أنس . ٥ . اتخاذهم عمالاً وسائقين وخدم في البيوت لاسيما في جزيرة العرب . ٦- إفساح الطريق لهم . ٧- بداءتهم بالسلام والتحية . ٨- تهنئتهم بأفراحهم ، والمقصود بالأفراح الدنيوية، أما أفراحهم الدينية فهذه من الكفر لأنها تدل على رضائك بدينهم .

وهذه بعض أنواع الموالاة الصغرى . حكمها أنه قد أتى صاحبها بكبيرة من كبائر الذنوب ، والدليل على ذلك (إنكار عمر بن الخطاب ﷺ على أبي موسى الأشعري لما جعل له كاتبا نصرانياً وتلا عمر على أبي موسى { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) .

يستثنى من الأمور السابقة :

أن تزورهم أو تهدي إليهم من أجل دعوتهم والدليل ما جاء في الصحيح من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله ﷺ زار عمه أبا طالب هذه الزيارة دعوة إلى التوحيد ولا مانع من ذلك ، وزار عليه الصلاة والسلام ابن اليهودي " فأسلم " رواه أحمد.

ويجوز في حالة الضرورة فإذا اضطر المسلمون إلى استقدام عمال كفار وليس هناك مسلم يقوم بهذا العمل جاز ، أما السلام فلا يجوز أن تبدأهم من أجل الدعوة .. والدليل قوله " لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام " ويجوز الرد ومثله المصافحة .

ويجوز أن يقول (السلام على من اتبع الهدى) هذه جائزة الابتداء بها جاءت في قصة موسى عليه السلام كما قال لفرعون (والسلام على من اتبع الهدى) وكذلك .

أما لو سلم العلماني أو النصراني فلك أن ترد بقولك عليكم ، آما الابتداء فممنوع والمصافحة مثل الابتداء بالسلام والمصافحة سلام عملي فلا تبتدئه لكن لو صافحك فلك أن ترد أما إذا كان هناك كافر مختلط بمسلمين فلك الابتداء وتقصد المسلمين .

قال المصنف " ولو كان أقرب قريب " وذكر الدليل وهو يصلح للموالاتين وهو قوله تعالى : { لا تجد قوماً .... } .

مسألة : حكم إقامة الكفار في جزيرة العرب :

لا يجوز ويحرم إقامة الكفار لقوله ﷺ فيما روى مالك في الموطأ في باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة قال عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أن قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب وعن بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب قال مالك قال بن شهاب ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) وعند البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أوصى رسول الله ﷺ عند موته بثلاث

أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) وعن جابر بن عبد الله قال أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما رواه مسلم . فيجب إخراجهم وهو عام في جميع الكفار .

حكم تأجير البيوت لهم ؟ لا يجوز لأنه إعانة لهم على البقاء { ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } .

بقي مسألة الرافضة ؟ هي كذلك لأن الرفض دين وملة أخرى غير دين الإسلام فيدخل في عموم الأحاديث السابقة سواء قلنا هم مرتدون أم كفار أصليون فلا فرق في ذلك بل إما الإسلام أو القتل لا غير .

ومثل ذلك الأديان الأخرى في جزيرة العرب كالعلمانيين والحداثيين والعصرانيين والشيوعيين والقوميين .

لمّا ذكر اليهود والنصارى، فأصل الدين الذي هو من معنى كلمة التوحيد الولاء والبراء؛ الولاء للمؤمنين وللإيمان، والبراءة من المشركين والشرك، ولهذا يُعّرِف علمائنا الإسلام: بأنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وها هنا تنبيه أنها في بعض نسخ كتاب الشيخ أنه عرّف الإسلام بهذا وقال في آخره (**والخلوص من الشرك وأهله**)، والمعروف عنه في النسخ الصحيحة التي قُرِأت على العلماء (البراءة من الشرك وأهله)؛ لأن البراءة تشمَل الخلوص وزيادة، وهي الموافقة لقول الله جل وعلا ؟وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي؟[الزخرف:٢٦-٢٧].

هنا قال (لا يجوز لمن وحد الله، وأطاع الرسول، واتبع دين الإسلام، أن يوالي أحدا من المشركين). (الموالاة) معناها أن تتخذه وليا، وأصلها من الوَلاية، والوَلاية هي المحبة، قال جل وعلا ؟هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ؟[الكهف:٤٤]، يعني هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق، فأصل الموالاة المحبة والمودة، ولهذا استدل بقوله ؟لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ؟[المجادلة:٢٢]، ففسَّر الموالاة بأنها الموادّة، وهذا معناه أن أصل الموالاة في القلب، وهو محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر. فأصل الدين أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد، ويحب أهلها، ويُبغض الشرك المناقض

لهذه الكلمة، ويبغض أهله. فكلمة الولاء والبراء هي معنى الموالاة والمعاداة، وهي بمعنى الحب والبغض، فإذا قيل الولاء والبراء في الله هو بمعنى الحب والبُغض في الله، وهو بمعنى الموالاة والمعاداة في الله؛ ثلاثة بمعنىً واحد، فأصله القلب؛ محبة القلب، إذا أحبَّ القلبُ الشرك صار مواليا للشرك، إذا أحب القلبُ أهل الشرك صار مواليا لأهل الشرك، كذلك إذا أحب القلبُ الإيمان صار مواليا للإيمان، إذا أحب القلبُ اللهَ صار مواليا لله، إذا أحب القلبُ الرسول صار وليا ومواليا للرسول ﷺ، وإذا أحب القلبُ المؤمنين صار مواليا ووليا للمؤمنين؛ قال جل وعلا ؟ إِنَّمَا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ(٥٥)وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ؟[المائدة:٥٥-٥٦]، يعني من يحب وينصر اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

الموالاة؛ موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك، ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا تنقسم المولاة إلى قسمين: الأول التولِّي. والثاني **المولاة**. الموالاة باسمها العام تنقسم: إلى التولي وإلى موالاة.

* **أما التولِّي** فهو الذي جاء في قوله تعالى ؟وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ؟[المائدة:٥١]، تولاه توليا؛ التولي معناه محبة الشرك وأهل الشرك، محبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان، قاصدا ظهور الكفر على الإسلام، بهذا الضابط يتضح معنى التولي. والتولي -كما ذكرتُ لكم- تولِّي الكفار والمشركين كفر أكبر، وإذا كان من مسلم فهي ردة. **ما معنى التولِّي؟** معناه محبة الشرك وأهل الشرك (لاحظ الواو)؛ يعني يحب الشرك وأهل الشرك جميعا مجتمعة، أو أن لا يحب الشرك ولكن ينصرُ المشركَ على المسلم، قاصدا ظهور الشرك على الإسلام، هذا الكفر الأكبر الذي إذا فعله مسلم صار رِدَّة في حقه والعياذ بالله.

* **القسم الثاني الموالاة**: والموالاة المحرّمة من جنس محبة المشركين والكفار، لأجل دنياهم، أو لأجل قراباتهم، أو لنحو ذلك، وضابطه أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرة؛ لأنه إذا كان معها نصرة على مسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار توليا، وهو في القسم المكفِّر، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا، وصار معه نوع موالاة، معه لأجل الدنيا، فهذا محرم ومعصية، وليس كفرا؛ دليل ذلك قوله تعالى ؟يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ؟[الممتحنة:١]، قال علماؤنا رحمهم الله

تعالى: أثبت الله جل وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم. وذلك كما جاء في الصحيحين، وفي التفسير في قصة حاطب المعروفة حيث إنه أرسل بخبر رسول الله ﷺ -هذه عظيمة من العظائم- للمشركين لكي يأخذوا حِذْرهم من رسول الله ﷺ، فلما كُشِفَ الأمر، قال عمر ﷺ للنبي عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله دعني أضرب عنقَ هذا المنافق. قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر: أتركه يا عمر، يا حاطب ما حملك على هذا؟ فدل على اعتبار القصد؛ لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام، وظهور المشركين على المسلمين، فهذا يكون نفاقا وكفرا، وإن كان له مقصد آخر فله حكمه. قال عليه الصلاة والسلام -مستبينا الأمر- ما حملك يا حاطب على هذا ؟ قال: يا رسول الله والله ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهة الإسلام، ولكن ما من أحد من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة، وليس لي يدٌ أحمي بها مالي في مكة، فأردتُ أن يكون لي بذلك يد أحمي بها مالي في مكة. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدقكم. الله جل وعلا قال في بيان ما فعل حاطب ؟وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ؟[الممتحنة:١]، يعني حاطبا، ففِعْلُه ضلال. وما منع النبي عليه الصلاة والسلام من إرسال عمر أو ترك عمر إلا أن حاطبا لم يخرج من الإسلام بما فعل، ولهذا جاء في رواية أخرى قال: إن الله اطلع على أهل بدر، فقال: افعلوا ما شئتم لقد غَفَرْتُ لكم. قال العلماء: لعلمه جل وعلا بأنهم يموتون ويبقون على الإسلام. دلت هذه الآية وهي قوله تعالى ؟يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ؟[الممتحنة:١]، مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب، أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان؛ لأن الله ناداهم باسم الإيمان، فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) مع إثباته جل وعلا أنهم ألقَوا المودة.

ولهذا استفاد العلماء من هذه الآية، ومن آية سورة المائدة ؟وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ؟[المائدة:٥١]، ومن آية المجادلة التي ساقها الشيخ ؟لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟[المجادلة:٢٢]، إلى أنَّ الموالاة تنقسم إلى تولٍّ وموالاة؛ الموالاة بالاسم العام منه تولٍ وهو المكَفِّر بالضابط الذي ذكرتُه لك، ومنه موالاة وهو نوع مودة لأجل الدنيا ونحو ذلك.

والواجب أن يكون المؤمن محبا لله جل وعلا ولرسوله وللمؤمنين، وأن لا يكون في قلبه مودة

للكفار ولو كان لأمور الدنيا، إذا عَامَلَ المشركين أو عَامَلَ الكفار في أمور الدنيا، إنما تكون معاملة ظاهرة بدون ميل القلب، ولا محبة القلب لما؟ لأن المشرك حمل قلبا في مسبَّة الله جل وعلا، لأن المشرك سابٌّ لله جل وعلا بفعله، إذ اتخذ مع الله جل وعلا إلها آخر، والمؤمن متولٍّ لله جل وعلا ولرسوله وللذين آمنوا، فلا يمكن أن يكون في قلبه مُوادَّة لمشرك حمل الشرك والعياذ بالله.

هذه الثلاث مسائل من المهمَّات العظيمات:

* الأولى: أن يعلم المرء الغاية من خلقه، وإذا علم الغاية، أن يعلم الطريق الموصلة لانفاذ هذه الغاية.

* الثانية: ليعلم أن الطريق واحدة، وأن الله جل وعلا لا يرضى الشرك به، حتى بالمقربين عنده، والذين لهم المقامات العالية عنده جل وعلا، لا يرضى أن يشرك معه أحد.

* الثالثة: أن لا يكون في قلب الموحِّد؛ الذي وحَّد الله، وأطاع الرسول، وخلص من الشرك، أن لا يكون في قلبه محبة للمشركين.

هذه الثلاث هي أصول الإسلام بأَحد الاعتبارات، أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن تحققوا بها قولا وعملا واعتقادا وانقيادا.

الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام

قال المصنف : اعلم أرشدك الله لطاعته : أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون) ومعنى يعبدون : يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو : دعوة غيره معه ؛ والدليل قوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)

(اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر جميع الناس) .

(**اعلم أرشدك الله**) أي وفقك الله لما ينفعك في دنياك وآخرتك .

والرشد : الاستقامة على الطريق الحق ، ضد الغي .

(**لطاعته**) الطاعة : موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور .

(**أن الحنيفية**) وهي الملة المائلة عن الشرك ، المبنية على الإخلاص لله عز وجل .

والحنيف : مشتق من الحنف ، وهو الميل . فالحنيف : المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد. والحنيف : المستقيم المستمسك بالإسلام المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه ، وكل من كان على دين إبراهيم .

قال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

(أن تعبد الله مخلصاً له الدين وبذلك أمر جميع الناس)

العبادة في اللغة : الذل والخضوع .

وفي الشرع : قال شيخ الإسلام : (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) .

قوله (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) أي الحنيفية وشريعة الخليل إبراهيم عليه السلام ، وجميع الأنبياء هي ما قررها المصنف (أن تعبد الله مخلصاً له الدين) فهذه هي حقيقة ملة إبراهيم عبادة الله بالإخلاص .

والإخلاص : حب الله وإرادة وجهه وترك عبادة ما سواه .

فالعبادة لا تسمى عبادة وتنفع صاحبها عند الله إلا إذا كانت خالصة لله ليس فيها شرك ولا رياء ولا سمعة .

قال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ .

وفي الحديث يقول الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) . رواه مسلم عن أبي هريرة

وعند ابن ماجه (... فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .

وعبادة الله هي أول الواجبات على العبد ، وهي حق الله المقدم على سائر الحقوق .

قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ... ﴾ .

وفي حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال : (يا معاذ ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً) .

وعبادة الله واجبة على الإنسان من حين يبلغ سن التكليف إلى أن يموت .

قال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

وقال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ﴾ .

من لم يعبد الله صار عبداً للشيطان .

قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ .

من لم يعبد الله صار عبداً لدنياه .

قال ﷺ : (تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط لم يرض) .

وهذه العبادة : هي التي خلق لها الناس وخلق لها الثقلان ، وهي توحيد الله ، وفعل أوامره، واجتناب نواهيه

كما قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ . يعني يوحدوني .

من فوائد هذه الآية :

١. قوله : ﴿ خلقت ﴾ ، أي أوجدت

قوله : ﴿ الجن ﴾ هم عالم غيبي مخفي عنا ، ولهذا جاءت المادة من الجيم والنون وهما يدلان على الخفاء والستر .

ومنه : الجَنة ، والجِنة ، والجُنة .

قوله : ﴿ الإنس ﴾ ، سموا بذلك لأنهم لا يعيشون بدون إيناس ، فهم يأنس بعضهم ببعض ويتحرك بعضهم إلى بعض .

٢. أن الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله تعالى ، ولهذا أعطى الله البشر عقولاً ، فأرسل إليهم رسلاً ، وأنزل إليهم كتباً ولو كان الغرض من خلقهم كالغرض من خلق البهائم لضاعت الحكمة من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، لأنه في النهاية يكون كشجرة نبتت ونمت وتحطمت .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرآدك إلى معاد ﴾ .

فلا بد أن يردك إلى معادٍ تجازى على عملك إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وليست الحكمة من خلقهم نفع الله ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴾ .

٣ . أن الجن خُلق للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها ، فالجن مكلفون بأوامر ونواهي ، فمن أطاع رضي الله عنه وأدخله الجنة ، ومن عصى وتمرد فله النار .

يدل على ذلك نصوص كثيرة .

ففي يوم القيامة يقول الله تعالى مخاطباً كفرة الجن والإنس موبخاً : ﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على

أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ ففي هذه الآية دليل على بلوغ شرع الله الجن ، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم .

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى : ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ والخطاب هنا للجن والإنس ، لأن الحديث في مطلع السورة فيهما .

قال ابن مفلح في كتابه الفروع : (الجن مكلفون في الجملة إجماعاً ، يدخل كافرهم النار إجماعاً ، ويدخل مؤمنهم الجنة وفاقاً لمالك والشافعي ...) .

(وأعظم ما أمر الله به التوحيد : وهو إفراد الله بالعبادة)

التوحيد : عرفه المؤلف بأنه إفراد الله بالعبادة .

وهناك تعريف أعم : وهو إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول / توحيد الربوبية : وهو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير .

قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾

الثاني / توحيد الألوهية : وهو إفراد الله تعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله ويتقرب إليه .

قال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل ﴾

الثالث / توحيد الأسماء والصفات : وهو إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، وذلك بإثبات ما أثبته ونفي ما نفاه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

ومراد المؤلف هنا : توحيد الألوهية ، وهو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم .

قال تعالى : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾

وقال ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله) . متفق عليه

وإنما كان التوحيد أعظم ما أمر الله به لأنه الأصل الذي ينبني عليه الدين كله ، ولهذا بدأ به النبي ﷺ في الدعوة إلى الله وأمر من أرسله للدعوة أن يبدأ به .

فضائل التوحيد وقد سبقت معنا فى المقدمة ومنها :

١ ـ أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة .

لأن الموَحِّد يعمل لله سبحانه وتعالى ، وعليه فهو يعمل سراً وعلانية ، أما غير الموحد كالمرائي مثلاً ، فإنه يتصدق ويصلي ويذكر الله إذا كان عنده من يراه فقط ، ولهذا قال بعض السلف : (إني لأود أن أتقرب إلى الله بطاعة لا يعلمها إلا هو) .

٢ ـ أن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون .

كما قال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ لم يلبسوا ﴾ أي لم يخلطوا .

قوله تعالى : ﴿ بظلم ﴾ الظلم هنا مقابل الإيمان وهو الشرك .

ولما نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة ، قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي ﷺ : (ليس الأمر كما تظنون ، إنما المراد به الشرك ، ألم تسمعوا قول الرجل الصالح : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾) . متفق عليه

قوله تعالى : ﴿ وهم مهتدون ﴾ أي : في الدنيا إلى شرع الله بالعلم والعمل ، ومهتدون في الآخرة إلى الجنة .

٣ ـ أن التوحيد يكفر الذنوب .

عن أنس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) . رواه الترمذي

لأن حسنة التوحيد عظيمة تكفر الخطايا الكبيرة إذا لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً .

٤ . إن من فضل التوحيد أنه سبب لدخول الجنة بغير حساب .

لحديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ... فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... ثم قال : هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) . متفق عليه

٥ . أن الله أثنى على الأنبياء بتوحيدهم وسلامتهم من الشرك .

قال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾

وقال تعالى : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾

يجب أن نعلم أن ثناء الله على أحد من خلقه يقصد منه أمور :

- محبة هذا الذي أثنى الله عليه خيراً .
- أن نقتدي به في هذه الصفات التي أثنى الله بها عليه لأنها محل الثناء .

(وأعظم ما نهى عنه الشرك ، وهو دعوة غيره معه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾) .

أعظم ما نهى الله عنه الشرك ، لأنه أعظم ذنب عصي الله به ، وأي ذنب أعظم من أن يجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته ، وكما أن الشرك أظلم الظلم وأبطل الباطل كما تقدم ، فهو هضم للربوبية وتنقص للألوهية ، وسوء ظن برب العالمين ، وهو أقبح المعاصي ، لأنه تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه .

الشرك أعظم الذنوب لأمور :

١. لأنه تشبيه للمخلوق بالخالق في خصائص الأهلية .

٢. أن الله أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

٣. أن الله أخبر أن الله حرم الجنة على المشرك ، وأنه مخلد في النار .

قال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ .

٤. أن الشرك يحبط جميع الأعمال .

قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ .

٥. أن المشرك حلال الدم والمال .

٦. أن الشرك أكبر الكبائر .

قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

اعلَمْ -أرشدَكَ اللهُ لطاعتِه- أنَّ الحنيفيةَ: مِلَّةَ إبراهيمَ، أنْ تعبدَ اللهَ وحدَهُ مخلصًا له الدِّين، وبذلك؟أَمَرَ اللهُ جميعَ الناس وخلَقهم لها، كما قال تعالى ؟وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ؟[الذرايات:٥٦]، ومعنى (يَعْبُدُونِ) يوحّدون وأعظمُ ما أَمرَ اللهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللهِ بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ والدليل قوله تعالى ؟وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؟[النساء:٣٦].

هذا فيه تلطّف ثالث منه رحمه الله تعالى؛ حيث دعا للمتعلم بقوله (اعلم أرشدك الله)، وهذا الذي ينبغي على المعلمين أن يكونوا متلطفين بالمتعلمين؛ لأن التلطف والتعامل معهم بأحسن ما يجد المعلم هذا يجعل قلبَ المتعلم قابلا للعلم، مُنفتحا له، مُقبلا عليه.

ويقول (إن الحنيفية ملة عليه السلام) هي التي أمر الله جل وعلا نبيه، وأمر الناس أن يكونوا عليها، قال جل وعلا ؟ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا؟[النحل:١٢٣]، وملة إبراهيم هي التوحيد؛ لأنه هو الذي تركه فيمن بعده؛ حيث قال جل وعلا ؟وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ؟[الزخرف:٢٦-٢٧]، هذه الكلمة (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) اشتملت على نفي في الشق الأول، وعلى إثبات في الشق الثاني، (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) البراءة نفيٌ، ثم أثبت فقال (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) فتبرأ من المعبودات المختلفة، وأثبت أنه عابد للذي فطره وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد، ولهذا قال جل وعلا بعدها ؟وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ؟[الزخرف:٢٨]، يعني لعلهم يرجعون إليها، وعقب إبراهيم عليه السلام منهم العرب، أليس كذلك؟ ومنهم أتباع الأنبياء، فهو أبو الأنبياء، ومعنى ذلك، أنه أبٌ لأقوام الأنبياء،

(جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إليها، وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد لا إله إلا الله؛ لأن التوحيد هو ملة إبراهيم، لا إله إلا الله معناها ما قال إبراهيم عليه السلام ؟ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي؟[الزخرف:٢٦-٢٧]، فـ (لا إله) مشتملة على البراءة من كل إله عُبد، و(إلا الله) إثبات للعبادة؛ إثبات لعبادة الله وحده دونما سواه، ولهذا يقول العلماء (لا إله إلا الله) معناها لا معبود حقٌّ أو بحق إلا الله. معنى ذلك أن كل المعبودات إنما عُبدت بغير الحق، قال جل وعلا ؟ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ؟[الحج:٦٢]، (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ)، ولكونه جل وعلا هو الحق كانت عبادته وحده دون ما سواه هي الحق، قال (لا إله)، لا إله بحق، لا معبود بحق، لكن ثَم معبودات بغير الحق، ثَمَّ معبودات بالباطل، ثمَّ معبودات بالبغي، بالظلم والعدوان، لكن المعبود بحق يُنفى عن جميع الآلهة إلا الله جل وعلا، فإنه هو وحده المعبود بحق. هذه الكلمة هي التي ألقاها إبراهيم عليه السلام في عقبه، وهذا مراد الشيخ رحمه الله تعالى بما ذَكر، وبَيَّن أن أعظم الواجبات، أعظم ما أمر به إبراهيم الخليل عليه السلام، وما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، ومعنى ذلك أن أعظم دعوة الأنبياء والمرسلين من إبراهيم عليه السلام، بل من نوح عليه السلام إلى نبينا مُحَمَّد ﷺ، أعظم ما يُدعا إليه بالأمر هو الأمر بتوحيد الله جل وعلا، وأعظم ما ينهى عنه ويؤمر الناس بتركه هو الشرك، فأعظم ما أمر به التوحيد، وأعظم ما نهي عنه الشرك، لما ؟ لأن التوحيد هو حق الله جل وعلا، ومن أجله بُعثت الرسل، ؟وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ؟[النحل:٣٦]، فالغاية من بعث الرسل أن تُبيّن للناس، وأن تقول للناس أعبدوا الله وحده دون ما سواه، هذا الأمر، (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يعني أتركوا الشرك ومظاهر الشرك.

إذن أعظم مأمور به هو التوحيد، أعظم ما دعا إليه الرسل والأنبياء من نوح عليه السلام إلى نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، أعظم ما دُعي إليه من المأمورات التوحيد، وأعظم ما نُهي عنه من المنهيات هو الشرك، لما؟ لأن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وحده، فصار الأمر بالتوحيد هو الأمر لهذا المخلوق بأن يَعلم وأن يُنْفِذَ غاية الله جل وعلا من خلق هذا المخلوق. والنهي عن الشرك معناه النهي عن أن يأخذ هذا المخلوق بطريق أو بفعل يخالف الغاية بفعله، وهذا ولا شك كما ترى يقود إلى فهم التوحيد، وإلى فهم حق الله جل وعلا،

وفهم دعوة الحق بأعظم ما يكون الفهم؛ لأنك تنظر إلى أن إنفاذ المرء ما خُلق من أجله هو أعظم ما يُدعا إليه، ونَهيُ المرء عن ما يصده عما خُلق من أجله هذا أعظم ما يُنهى عنه، ولهذا كانت دعوة المصلحين، ودعوات المجددين على مر العصور بهذه الأمة هي في الدعوة إلى التوحيد ولوازمه و النهي عن الشرك وذرائعه.

أسأل الله جل وعلا أن يزيدني وإياكم العلم النافع وأن يمن علينا بالعمل الصالح وبالفهم والسداد وصلى الله وسلم على نبينا مُحمَّد.

" مسألة " لماذا قال ملة إبراهيم والأنبياء كلهم يعبدون الله على ملة واحدة ؟

إن سبب اختصاص إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن الرسول ﷺ جاء إلى طوائف كلها تدعى أنها على ملة إبراهيم .

كلها تنتسب إلى إبراهيم فقريش تقول أنا على ملة إبراهيم ويقولون أنهم أولى به واليهود جاء إليهم هم والنصارى وهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم وهو أبوهم . فجاء البيان لتحديد ما هي ملة إبراهيم ومن أولى الناس به وهو من كان على التوحيد وعدم الشرك

قال المصنف " إعلم أرشدك الله لطاعته " يؤتى بها للاهتمام بما بعدها وتعريف العلم سبق وضده الجهل ، وينقسم إلى قسمين :

١- جهل بسيط . ٢- جهل مركب . " الطاعة " سبق تعريفها . " الحنيفية " قال ابن الأثير في النهاية . الحنيف المائل وأصله مأخوذ من الحنف وهو الميل ومنه رجل أحنف أي مائل قدمه إهـ وعلى ذلك فالحنيف وهو المائل إلى التوحيد مع الثبات عليه فهو ميل خالص مع الثبات .

قال المصنف " ملة إبراهيم " تعريف الملة مأخوذة من الملل وهو التكرار والمعاودة فيقال : طريق مليل إذا تكرر سلوكه ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس هذا لغة . اصطلاحا : ما تكرر فعله مما شرعه الله على لسان رسوله . من العقائد والأحكام . وهنا ما تكرر من إبراهيم من إظهار التوحيد والكفر بالطاغوت وأهله .

قوله " ملة إبراهيم " إضافة بتقدير اللام " ملة لإبراهيم " واللام تفيد الاختصاص ، "إبراهيم" وهو رسول من أولي العزم من الرسل وهو خليل الله عليه الصلاة والسلام . ولم يذكر

المصنف الصلاة والسلام عليه لأنها مستحبة وليست واجبة . ثم قال : " أن تعبد الله مخلصاله الدين " فملة إبراهيم عليه السلام هي عبادة الله مع الإخلاص ، ومعنى تعبد الله أي تذل وتخضع لله بالطاعة .

" أن تعبد الله مخلصاً له الدين " بدون شرك فمن لم يعبد الله فليس على ملة إبراهيم ومن عبده وأتى بشرك فليس على ملة إبراهيم .

" مخلصاً [٢] " أي حال قيامك بالعبادة ، تعبد الله حالة كونك مخلصاً ، معنى الإخلاص قال في غريب القرآن : الخالص الصافي وهو ما زال عنه الشوائب .

" له " اللام للاستحقاق .. والهاء يعود على الله . والدين يطلق على الاعتقاد والعمل والقول ، وضد ملة إبراهيم ملة الشيطان وهي مبينة على شيئين :

عدم عبادة الله وهو ما يسمى بالكفر والشرك ، ويقابلها في ملة إبراهيم عبادة الله .

عبادة غيره معه ، وهو عدم الإخلاص ويقابله في ملة إبراهيم مخلصاً له الدين .

" عبادة غيره معه " كالذبح لغير الله والنذر والاستعانة والاستعاذة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله .

" **مسألة** " ومما ينافي الإخلاص[٣] : الرياء والعمل لأجل الدنيا وبقية العبادات تأتي في باب مستقل .

" **مسألة** " **مبحث في الرياء** مصدر رأى يرائي وهو مشتق من الرؤية ، واصطلاحاً : هو عمل الصالحات يريد مدح الناس وثناءهم ومنه ما يسمى بالسمعة لكن السمعة مختصة بالمسموعات كتحسين القراءة أو يصلى لكي يمدحه الناس .

" مسألة " حكم الرياء : يختلف حكمه باختلاف أقسامه ، ولذا فهو على أقسام :

أولاً : ما يكون شركاً أكبر وهو أنواع :

أ . يدخل في الدين رياءا وهو أساس دخوله في هذا الدين ، وهذا الرياء الأكبر وهو مخرج من الملة ، قال تعالى (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) .

---

[٢] – ذكر هنا بعض الإخلاص والإخلاص : اسم جامع يشمل بقية شروط لا إله إلا الله أي يشمل (الصدق والانقياد والقنوت ويكون في القلب وهو استسلام القلب والانقياد واستسلام الجوارح ويشمل المحبة والكفر بالطاغوت فليس مخلصاً لملة إبراهيم ، * باقي شرط العلم وهو داخل في قوله : [أن تعبد ..] .

[٣] – له معنيان عام وهنا خاص وهو أن يعمل العمل بنية وجه الله وحده .

ب . أن يرائي في الأعمال التي تركها كفر كمن راءى في صلاة الفريضة كمن صلى الظهر مرائياً قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون) ، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في أول حديث : وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام اهـ . وهذه المسألة بحثناها بحثا موسعا في كتاب الوسيط في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد .

ج . أن يكون الغالب على أعماله من حيث الكمية الرياء فيكون بهذا كفر مخرج من الدين وشرك أكبر ، وهذا غالباً لا يصدر إلا عن منافق أو علماني ، قال تعالى (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس). وقال تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس) .

ومن القضايا المعاصرة ما يفعله الحكام المبدلون من إظهار الشعائر الدينية من أجل مقاصد سياسية أو ما يفعلونه هم والعلمانيون من التدين تكتيكا أو مناورة من أجل مصالح انتخابية . وكذلك كل من أظهر الإسلام المزيف الإسلام الأمريكي أو الإسلام المخصب .

ثانياً : ما كان شركاً أصغر وهو أنواع :

أ . أن يكون العمل معيناً عمله رياءا بشرط أن لا يكون هذا العمل مما تركه كفر ، كمن راءى في النوافل المعينة .

ب . ما يسمى بالرياء الطارئ ، وهو أن يبتدئ العمل المعين لله ثم يطرأ عليه الرياء فهذا على حالتين :

– أن يدافعه الشخص ولا يركن إليه ، فهذا لا يضره كما قال عليه الصلاة والسلام : [إن الله عفا لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم] ، ونقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم في أول حديث الإجماع على أنه إذا لم يسترسل معه فلا يضره .

– أن يسترسل معه ، فهذا ذكر ابن رجب الخلاف فيه فقال : وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره فإن كان خاطرا ودفعة فلا يضره بغير خلاف فإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري وأرجو أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولي وهو مروي عن الحسن البصري وغيره ويستدل لهذا القول بما خرجه

أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلا قال يا رسول الله إن بني سلمة كلهم يقاتل فمنهم من يقاتل للدنيا ومنهم من يقاتل نجدة ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله فأيهم الشهيد ؟ قال كلهم) إذا كان أصل أمره أن تكون كملة الله العليا .

وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل يرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية وكذلك روي عن سليمان بن داود الهاشمي أنه قال ربما أحدث بحديث ولي فيه نية فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي فإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات ولا يرد على هذا الجهاد كما في مرسل عطاء الخراساني فإن الجهاد يلزم بحضور الصف ولا يجوز تركه حينئذ فيصير كالحج اه المقصود .

والصحيح الحبوط بالرياء الطارئ إذا استرسل معه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة : [من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه] رواه مسلم .

" مسألة " لو طرأ عليه الرياء بعد العمل لا يضر لأنه بعد انتهاء العمل ، فالرياء ما كان في العمل أو قبله يدل عليه مفهوم حديث أبي هريرة : [من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري ...] فيه خرج بعده ما لم يكن يحدّث فيه لأجل أن يمدح فيكون سمعة

" **مسألة " مدح الناس وثناؤهم عليه ليس من الرياء** ، لما جاء في الصحيح في الرجل يعمل العمل فيمدحه الناس قال : [تلك عاجل بشرى المؤمن] . قال ابن رجب في جامع العلوم : فأما إذا عمل العمل لله خالصا ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بفضل ورحمة واستبشر بذلك لم يضره ذلك وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه فقال (تلك عاجل بشرى المؤمن) خرجه مسلم وخرجه ابن ماجه وعنده الرجل يعمل العمل فيحبه الناس عليه ولهذا المعنى فسره الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وابن جرير الطبري وغيرهم وكذلك الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله الرجل يعمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه فقال (له أجران أجر السر وأجر العلانية) اه .

" **مسألة " لو عمل العمل ليس من عادته** ولكن ليقتدي به الآخرون كاعتناء العالم ببعض السنن ليحث الناس فهذا ليس من الرياء لما جاء في حديث سهل المتفق عليه : [أن النبي ﷺ علي المنبر قال : فعلت هذا لتأتموا بي] . قال ابن رجب في الجامع : ولو شرك بين نية الوضوء وبين قصد التبرد أو إزالة النجاسة أو الوسخ أجزأه في المنصوص عن الشافعي وهذا قول أكثر أصحاب أحمد لأن هذا القصد ليس بمحرم ولا مكروه ولهذا لو قصد مع رفع الحدث تعليم الوضوء لم يضره ذلك وقد كان النبي ﷺ يقصد أحيانا بالصلاة تعليمها للناس وكذلك الحج كما قال خذوا عني مناسككم اهـ .

" **مسألة " لو ترك العمل لأجل الناس هل هو من الرياء** والمقصود بالعمل أي العمل الذي اعتاده – كصوم الاثنين والخميس – أو حسّن القراءة في صلاته – ثم تركه من أجل الناس ؟ قولان لأهل العلم :

القول الأول : فيه تفصيل إن كان العمل المتروك واجباً فهذا من الرياء لأن ترك الواجب معصية وإن كان من السنن والتطوعات فلا ، قالوا ومثله لو ترك المعصية خشية الناس قال ابن رجب في الجامع : فأما إن هم بمعصية ثم ترك عملها خوفا من المخلوقين أو مراءاة لهم فقد قيل أنه يعاقب على تركها بهذه النية لأن تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم وكذلك قصد الرياء للمخلوقين محرم فإذا اقترن به ترك المعصية لأجله عوقب على هذا الترك وقد خرج أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس قال يا صاحب الذنب لا تأمنن من مدقق سوء عاقبته ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته وذكر كلاما وقال خوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا فعلته وقال الفضيل بن عياض كانوا يقولون ترك العمل للناس رياء والعمل لهم شرك اهـ .

القول الثاني : إنه رياء كما قال الفضيل بن عياض كانوا يقولون ترك العمل للناس رياء والعمل لهم شرك اهـ والشاهد العمل فهي للعموم تشمل العمل الواجب أو المستحب ، والذي تميل إليه النفس الثاني وأنه من الشرك بل يجب علي الإنسان أن يكون طبيعياً فيعمل أعماله لنفسه لا يعمل ولا يترك من أجل الناس فهاتان سيئتان .

" **مسألة " إذا كان إنسان لم يعتد العمل الصالح** ولكن حضره ناس اعتادوا الصيام فصام معهم هذا ليس من الرياء لحديث حنظلة الأسيدي قال لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات رواه مسلم وهذا يُعدّ من النشاط .

" **مسائل العمل لأجل الدنيا**

" تعريفه : أن يعمل العمل الصالح يريد الدنيا والمال والمنصب وهكذا (والمرائي يريد أن يمدح) وكلاهم يعمل صالحاً وحكمه ينقسم باعتبار أقسامه إلى :

أ ـ ما كان شركاً أكبر وهو أن يدخل في الدين من أجل الدنيا.

ب ـ أن يعمل العمل الذي تركه كفر من أجل الدنيا كن صلى من أجل الدنيا فحكمه أنه شرك أكبر ، مثلاً : يصلى لأن المدير يأمره بالصلاة ولو لم يصلى فسيفصله ، فهو كافر .

ج ـ أن يكون الغالب على أعماله إرادة المصالح الدنيوية ، فهذا شرك أكبر ، أما الذي هو شرك أصغر فهو أن يعمل المعين أو بعض الأعمال الصغيرة يريد الدنيا .

وكل الأقسام التي ذكرنا هنا هي نفس أقسام الرياء السابقة .

" مسألة " أمثلة للعمل من أجل الدنيا كالذي يجاهد لأجل الدنيا فقط (فهذا شرك أصغر) وكالذي يهاجر من أجل الدنيا فقط ، وكالأذان من أجل الراتب وقراءة القرآن من أجل المال فقط ، وكصلة الرحم يريد كثرة المال فقط ، وكالدراسة في كلية الشريعة ونحوها يريد المال فقط كلمة " فقط " مهمة أتينا بها بعد كل مثال ، فهناك فرق .. مثلاً :

١- من جاهد يريد الآخرة فقط .

٢- من جاهد يريد الدنيا فقط هذا يقابل الأول . وهذا ليس له مقصد الدين وإنما يريد الدنيا والمغنم .

٣- بينهما وهو الذي يريد الدنيا ويريد الآخرة : والحكم للغالب منهما فإذا كان ٧٠% يريد الآخرة لكن ٣٠% يريد مثلاً الغنيمة فالحكم أنه ليس من الشرك الأصغر وهذا جائز ولا يقال محرم لكن ينقص أجره عمن لم يرد ذلك ، والدليل : { ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم } فنفا عنهم الحرج أن يتكسبوا في الحج ولو كان بالعكس الغالب عليه الدنيا فهذا من الشرك الأصغر .

٤- لو تساوى : هذا من الشرك الأصغر . لعموم حديث (أجعلتني لله ندا) وهنا جعل الدنيا مساوية لله .

هذا ما ترجح لنا ، لكن ابن رجب رحمه الله له اختيار آخر فقد قال في جامع العلوم والحكم : فإن خالط نيته الجهاد مثل نية غير الرياء مثل أخذه أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال (إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم)

وقد ذكرنا فيما مضى أحاديث تدل على أن من أراد بجهاده عرضا من الدنيا أنه لا أجر له وهي محمولة على أنه لم يكن له غرض في الجهاد إلا الدنيا وقال الإمام أحمد التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره وقال أيضا فيمن يأخذ جعلا على الجهاد إذا لم يخرج إلا لأجل الدراهم فلا بأس أن يأخذ كأنه خرج لدينه فإن أعطي شيئا أخذه وكذا روي عن عبد الله بن عمرو قال إذا (جمع أحدكم على الغزو فعوضه الله رزقا فلا بأس بذلك وأما إن أحدكم إن أعطي درهما غزا وإن منع درهما مكث فلا خير في ذلك) ، وكذا قال الأوزاعي (إذا كانت نية الغازي على الغزو فلا أرى بأسا)

وهكذا يقال فيمن أخذ شيئا في الحج ليحج به إما عن نفسه أو عن غيره وقد روي عن مجاهد أنه قال في حج الحمال وحج الأجير وحج التاجر هو تام لا ينقص من أجورهم شيء) وهذا محمول على أن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب اهـ المقصود والله اعلم

" **مسألة " لماذا ذكرنا كلمة " فقط** " في المسائل السابقة ؟ لأنه إذا أراد وجه الله مع الدنيا فهذا يختلف الحكم أما الأمثلة السابقة فهي إرادة دنيا فقط أما من أرادهما معاً فسبق تفصيله

وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون) ومعنى يعبدون : يوحدون وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو : دعوة غيره معه ؛ والدليل قوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) .

الشرح :

قال المصنف " وبذلك أمر الله جميع الناس " أي مسلمهم وكافرهم ولو عبر بالخلق لكان أحسن حتى يدخل الجن ويدخل الملائكة .

" وخلقهم لها " اللام للتعليل فعلّة الخلق عبادة الله مع الإخلاص ثم ذكر الدليل على ذلك { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } قال ومعنى يعبدون : يوحدون . وهذا مروي عن ابن عباس " وهذا تفسير الشيء ببعض أفراده " وإلاّ فالعبادة أعم وهو الذل والخضوع لله بالتوحيد وبغير التوحيد كالصلاة ونحو ذلك .

قال المصنف " أعظم ما أمر الله به التوحيد فأعظم المأمورات . " التوحيد " الألف واللام للعهد الذكرى أي توحيد الألوهية لأنه فسره " بإفراد الله بالعبادة " ثم فسر المصنف توحيد العبادة فقال هو إفراد الله بالعبادة وكلمة إفراد كلمة مهمة وهي تتضمن " إثبات العبادة لله ونفيها عما سواه " ثم ذلك أعظم ما نهي الله عنه يدل على عظم هذا المسألة فلا يجوز جهلها ولا يُعذر أحد بالجهل اذا عمل الشرك المنهي عنه بل يلحقه اسم الشرك ولو كان جاهلا قال ابن تيمية في الفتاوى ٢٠ / ٣٨ اسم المشرك ثبت قبل الرسالة لأنه يشرك بربه ويعدل به) ومن جهل هذه الأمور العظيمة وهو يعيش بين المسلمين فلا تقبل دعوى جهله وإنما هو مشرك كافر خارج عن الملة .

ومن أراد بسط هذه المسألة فليرجع إلى رسالة المتممة لكلام أئمة الدعوة في الجهل في الشرك الأكبر وكتاب الحقائق وباب الخوف من الشرك من كتاب الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد الجزء الأول والله الميسر .

ثم عرف المصنف الشرك : فاللام والألف ليست للعموم إنما أراد الشرك الأكبر في الألوهية لأنه عرف الشرك الأكبر فخرج به الأصغر ، فالشرك الأصغر عظيم ، لكن الشرك الأكبر أعظم منه .

قال " هو دعوة غيره معه " دعوة وهذا يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة . وإذا قارنّا بين التعريفين ، فقال التوحيد إفراد الله بالعبادة والشرك دعوة غيره معه دلّ أنه يريد بدعوة أي عبادة غيره معه .

أما النصوص في تعريف الشرك في الألوهية فهي : قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) وقال تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله وأحد فإياي فرهبون) وقال تعالى (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) وقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وقال تعالى (ألم ترى إلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً [أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك] متفق عليه وعن أبي بكر رضى الله عنه [قلنا يا رسول الله وهل الشرك إلا ما عبد من دون الله أو دعي مع الله] رواه أبو يعلى وفيه ضعف وروي البخاري معلقاً وقال ابن عباس [كباسط كفيه مثل المشرك الذي عبد مع الله إلهاً غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر اهـ .

ثم ذكر المصنف الدليل على المسألتين وهو أن أعظم ما أمر الله به التوحيد وأعظم ما نهى الله عنه الشرك . " اعبدوا الله " أمر الله بالتوحيد وهو أول أمر وأعظم أمر ولا تشركوا به شيئاً " لا : ناهية ، فأعظم ما نهى الله عنه الشرك .

الأسئلة والأجوبة على ماسبق

س١: من هو مؤلف الأصول الثلاثة؟

هو العلامة المجدد الإمام ، شيخ الإسلام ، مُحَّد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهيبي التميمي .

ولد هذا العالم في بلدة العيينة سنة (١١١٥هـ) .

حفظ القرآن الكريم دون بلوغ عشر سنين ، وكانت له مشاركة في فنون كثيرة في التفسير والحديث ، والعقيدة والفقه ، والوعظ ،وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد وهبه الله فهماً ثاقباً وقدرة على الحفظ وصبراً على القراءة والتحصيل .

له مؤلفات نافعة منها :

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد،وأصول الإيمان،الأصول الثلاثة،ومختصر زاد المعاد،ومختصر الإنصاف،وكشف الشبهات ، وغيرها كثير .

مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة (١٢٠٦هـ) عن إحدى وتسعين سنة قضاها في ميدان العلم والجهاد والدعوة فرحمه الله رحمة واسعة ، وأجزل له الأجر والمثوبة .

س٢: من هو مؤلف شرح الأصول الثلاثة؟

قد شرحها كثير من أهل العلم مثل الشيخ بن عثيمين وبن باز وبن جبرين والبراك والفوزان وصالح أل الشيخ ومُحَّد بن ابراهيم وعلى الخضير وسليمان اللهيميد وبن قاسم والبراك والصقعوب والحازمى والشثرى وكثير غيرهم نفعنا الله بعلومهم

س٣: لماذا ابتدأ المؤلف بالبسملة مع ذكر الدليل؟

ج: ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بكتاب الله عز وجل مبدوء بالبسملة ، واتباعاً لحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»[٤] واقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه بدأ كتبه بالبسملة.

س ٤ : الجار والمجرور في بسم متعلق بمحذوف فعل مؤخر ،لماذا قدر فعلاً؟ ولماذا قدر مؤخراً؟

ج: قُدِّر فعلاً؛ لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدر مؤخراً ؛لفائدتين:

---

[٤] الحديث أخرجه الخطيب البغدادي، والرهاوي في الأربعين بهذا اللفظ كما ذكر ذلك العلامة الألباني في إرواء الغليل حديث رقم(١)، والحديث ضعيف في سنده ابن الجندي أحمد بن محمد بن عمران النهشلي قال الأزهري: ليس بشيء، وقال السمعاني:وكان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه، وكان يرمى بالتشيع. الأنساب(٩٧/٢).

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

س ٥: اسم من أسماء الله تعالى تتبعه جميع الأسماء اذكره مع الدليل؟

ج: هو لفظ الجلالة(الله) والأدلة كثيرة منها:قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾وقوله تعالى:﴿هو الله الملك القدوس السلام...﴾إلخ الآية.

س٦: ما معنى اسم الرحمن؟ وهل يجوز إطلاقه على غير الله ولماذا؟

ج: الرحمن: معناه المتصف بالرحمة الواسعة، ولا يجوز إطلاقه على غير الله تعالى؛لأنه من الأسماء المختصة بالله.

س٧: ما معنى اسم الرحيم؟ هل يجوز إطلاق اسم الرحيم على غير الله مع الدليل؟

ج: معناه: ذو الرحمة الواصلة،ويطلق على الله وعلى غيره دليل ذلك قوله تعالى في وصف الرسول:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

س٨: عرف العلم؟ واذكر أقسامه مع تعريف كل قسم؟

ج: العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري: ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري: ما يحتاج إلى نظر واستدلال كالعلم بوجوب النية في الوضوء.

س ٩: اذكر مراتب الإدراك مع تعريف كل مرتبة؟

ج: مراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

الثانية: الجهل البسيط: وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب :وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم: وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة: الشك: وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

السادسة: الظن :وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

س١٠: إذا قرنت الرحمة بالمغفرة فما معنى كلا منهما؟

ج: إذا قرنت الرحمة بالمغفرة: فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل.

س١١: ماذا تستلزم معرفة الله تعالى؟

ج: تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له، وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله مُحَمَّد ﷺ

س١٢: ماذا تستلزم معرفة النبي ﷺ؟مع ذكر الدليل؟

ج: تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق، وتصديقه فيما أخبر، وامتثال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وتحكيم شريعته والرضا بحكمه قال الله عز وجل: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[سورة النساء الآية: ٦٥].

س١٣: عرف الإسلام بالمعنى العام؟ والإسلام بالمعنى الخاص؟

ج: الإسلام بالمعنى العام: هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما ذكر عز وجل ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل: قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٨].

والإسلام بالمعنى الخاص: بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به مُحَمَّد ﷺ؛ لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم.

س ١٤: هل يقبل دين غير دين الإسلام؟ ولماذا؟ مع ذكر الدليل؟

ج: الدين الإسلامي: هو الدين المقبول عند الله النافع لصاحبه قال الله عز وجل: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩}،لأنه نسخ جميع الديانات السابقة قال تعالى:﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[آل عمران، الآية: ٨٥]وهذا الإسلام هو الإسلام الذي امتن به على مُحَمَّد ﷺ وأمته ، قال الله

تعالى:﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة، الآية:٣].

س ١٥:عرف الدليل؟ مع ذكر أقسامه؟وتعريف كل قسم؟

ج: هو ما يرشد إلى المطلوب.

وأقسامه : أدلة سمعية: وهي ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة.

وعقلية: وهي ما ثبت بالنظر والتأمل.

١٦: عَرَفْنَا النبيَّ ﷺ بالأدلة السمعية والعقلية اذكر دليلا لكل منهما؟

ج: معرفة النبي ﷺ بالأدلة السمعية مثل قوله تعالى:﴿مُحَمَّد رسول الله والذين معه﴾[سورة الفتح ، الآية: ٢٩] الآية.

والأدلة العقلية: بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الآخبار الصادقة النافعة، والأحكام المصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات ، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها.

١٧: ما هو ثمرة العلم؟

ج: العمل في الحقيقة هو ثمرة العلم ، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

١٨-ماهي شروط الدعوة إلى الله تعالى؟ مع الدليل؟

ج: شروط الدعوة إلى الله:

أولا: العلم: ولا بد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة . لقوله تعالى:﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني وسبحن الله وما أنا من المشركين﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

ثانيا: أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن قال تعالى:﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٥]

وقوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

١٩-ما معنى البصيرة في قوله تعالى(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة)؟

ج: البصيرة: تكون فيما يدعو إليه بأن يكون الداعية عالماً بالحكم الشرعي، وفي كيفية الدعوة، وفي حال المدعو.

٢٠-اذكر شيئا من مجالات الدعوة إلى الله تعالى؟

ج: ومجالات الدعوة كثيرة منها:

١-الدعوة إلى الله تعالى بالخطابة ٢- وإلقاء المحاضرات، ٣- الدعوة إلى الله بالمقالات ، ٤- الدعوة إلى الله بحلقات العلم ٥- الدعوة إلى الله بالتأليف ونشر الدين عن طريق التأليف.٦- الدعوة إلى الله في المجالس الخاصة فإذا جلس الإنسان في مجلس في دعوة مثلاً فهذا مجال للدعوة إلى الله عز وجل ولكن ينبغي أن تكون على وجه لا ملل فيه ولا إثقال.

٢١-عرف الصبر؟ واذكر أقسامه؟

ج: هو:حبس النفس على طاعة الله ، وحبسها عن معصية الله ، وحبسها عن التسخط من أقدار الله.

أقسامه ثلاثة:١- صبر على الطاعة ٢- صبر عن محارم الله ٣- صبر على أقدار الله.

٢٢-جهاد النفس على مراتب اذكرها؟مع ذكر الدليل على هذه المراتب؟

ج: قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- : جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله الله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين والدليل قوله تعالى:﴿ و العصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾.

٢٣–ماذا تعرف عن الإمام الشافعي؟

ج: الشافعي هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي ، ولد في غزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ وهو أحد الأئمة الأربعة على الجميع رحمة الله تعالى .

٢٤–ما مراد الشافعي في قوله في سورة العصر(لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)؟

ج:مراده رحمه الله أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان ، والعمل الصالح ، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة؛لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٢٥–ماذا تعرف عن الإمام البخاري رحمه الله؟

ج: هو أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة ونشأ يتيماً في حجر والدته ، وتوفي رحمه الله في خرتنك بلدة على فرسخين من سمرقند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

٢٦–من أين استنبط الإمام البخاري رحمه الله قوله: باب العلم قبل القول والعمل؟

ج: من قوله تعالى: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾[سورة مُحَمَّد ، الآية: ١٩] ، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

٢٧–اذكر دليل سمعي ودليل عقلي على أن الله خلقنا؟

ج: الدليل السمعي قوله عز وجل:﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٢]، وقوله: ﴿ ولقد خلقنكم ثم صورناكم﴾[سورة الأعراف ، الآية: ١١] الآية

أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ [سورة الطور، الآية: ٣٥] فإن الإنسان لم يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده عدم، والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً ، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث ؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام والتناسق المتآلف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة. إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره ، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله.

٢٨-هل أنكر أحد من الخلق ربوبية الله تعالى؟

ج: لم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون.

٢٩-اذكر دليل سمعي وعقلي على أن الله رزقنا؟

ج: الدليل السمعي:قوله تعالى:﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٥٨] وقال تعالى: ﴿ قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله﴾[سورة سبأ، الآية: ٢٤].

الدليل العقلي: هو أننا لا نعيش إلا على طعام وشراب، والطعام والشراب خلقه الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿ أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون * إنا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون) [سورة الواقعة ، الآيات : ٦٣-٧٠] ففي هذه الآيات بيان إن رزقنا طعاماً وشراباً من عند الله عز وجل.

٣٠-خلق الإنسان لحكمة عظيمة اذكر دليلا على ذلك؟

ج: إن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته ولم يتركه هملاً دليل ذلك قوله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو﴾[سورة المؤمنين، الآيتين: ١١٥-١١٦]

وأما العقل : فلأن وجود هذه البشرية لتحيا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل بل هو عبث محض ، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام ثم تكون النتيجة لا شيء ، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل.

٣١-ما هي الحكمة من إرسال الرسل؟

ج:إن الله عز وجل أرسل إلينا معشر هذه الأمة -أمة محمد ﷺ- رسولاً: يتلو علينا آيات ربنا ، ويزكينا ، ويعلمنا الكتاب والحكمة ، كما أرسل إلى من قبلنا، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾[سورة فاطر ، الآية : ٢٤] ولا بد أن يرسل إلى الخلق لتقوم عليهم الحجة وليعبدوا الله بما يحبه ويرضاه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا* وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {سورة النساء، الآيات: ٦٣-١٦٥}.

٣٢-طاعة الرسول من طاعة الله تعالى اذكر دليلا من القرآن والسنة على ذلك؟

ج:الدليل من القرآن: قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾.

الدليل من السنة: قوله ﷺ: »كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، فقيل : ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار« رواه البخاري.

٣٣-قال تعالى:﴿وأن المساجد لله ﴾ما المراد بالمساجد في هذه الآية؟ولماذا عبر بالمساجد؟

ج:المراد بالمساجد هنا الصلاة؛ لأن السجود من جملة أركانها، وعبر بالمساجد؛ لأنها المكان الذي تقام فيه العبادة لله تعالى.

٣٤-اذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة على خطر الشرك بالله تعالى؟

ج:قال الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ {سورة النساء ، الآية : ٤٨} وقال تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ {سورة المائدة، الآية: ٧٢} وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار»رواه البخاري ومسلم.

٣٥-ما هو أوثق عرى الإيمان؟مع الدليل؟

ج:أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله كما قال النبي ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله » حسن بمجموع طرقه[السلسلة الصحيحة للألباني برقم ١٧٢٨]

٣٦-ما معنى الولاء؟ وما معنى البراء؟ مع ذكر الأدلة؟

ج:الولاء: هو النصرة والمحبة والإكرام والاحترام . ولا تكون إلا للمؤمنين.

والبراء: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار.

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾{سورة المجادلة، الآية: ٢٢}،وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة المائدة، الآية: ٥١} وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ {سورة المائدة، الآية: ٥٧}، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[سورة التوبة:٢٣]

٣٧-بماذا تكون موالاة الكفار؟

ج:موالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال ، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي: يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله ، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق.

٣٨-عرف ما يلي؟ ١-الرشد ٢- الطاعة ٣- الحنيفية؟

ج:١-الرشد : الاستقامة عن طريق الحق.

٢- الطاعة: موافقة المراد فعلاً للمأمور وتركاً للمحظور .

٣- الحنيفية: هي الملة المائلة عن الشرك ، المبنية على الإخلاص لله عز وجل .

٣٩-من هو خليل الرحمن مع الدليل؟ وما معنى الخلة؟

ج:هو نبي الله إبراهيم عليه السلام دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ واتخذ إبراهيم خليلا﴾ {سورة النساء، الآية: ١٢٥}

والخلة: هي أعلى مراتب المحبة.

٤٠-عرف العبادة بالمفهوم العام؟ والمفهوم الخاص؟

ج:العبادة بمفهومها العام هي: "التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه".

أما المفهوم الخاص للعبادة-يعين تفصيلها- فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "العبادة أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف ، والخشية ، والتوكل والصلاة والزكاة ، والصيام وغير ذلك من شرائع الإسلام.

٤١-العبادة نوعان اذكرهما مع تعريف كل نوع؟

ج:العبادة نوعان:

الأول:عبادة كونية: وهي الخضوع لأمر الله تعالى الكوني، وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد لقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ {سورة مريم، الآية: ٩٣} فهي شاملة للمؤمن والكافر، و البر والفاجر .

والثاني : عبادة شرعية وهي الخضوع لأمر الله تعالى الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى واتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ {سورة الفرقان، الآية: ٦٣}.

٤٢-عرف التوحيد لغة وشرعاً؟

ج:التوحيد لغة: هو جعل الشيء واحداً.

شرعا:هو إفراد الله تعالى بما يختص به.

٤٣-اذكر أقسام التوحيد مع تعريف كل قسم؟

ج:ثلاثة أقسام وهي:

الأول: توحيد الربوبية وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك والتدبير. قال الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ {سورة الزمر، الآية: ٦٢} وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {سورة الملك، الآية: ١} وقال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ {سورة الأعراف، الآية: ٥٤}.

الثاني: توحيد الألوهية وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه".

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو: "إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه ووصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته ، ونفي ما نفاه من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف، ولا تمثيل".

٤٤-ما أعظم ما أمر الله به؟ وما أعظم ما نهى الله عنه مع الدليل؟

ج:أعظم ما أمر الله به هو التوحيد وأعظم ما نهى عنه هو الشرك دليل ذلك قوله تعالى:﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾{سورة النساء الآية: ٣٦}.

٤٥-اذكر أقسام الشرك؟ مع تعريف كل قسم؟

ج:والشرك نوعان : شرك أكبر ، وشرك أصغر.

فالنوع الأول: الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك ولكنه لا يخرج عن الملة.

وبهذا نكون قد إنتهينا من الثلاث مسائل ونبدأ إن شاء الله تعالى فى شرح الأصول الثلاثة أو الثلاثة أصول ونبدأ بالأصل الأول وهو معرفة الرب فى قول المصنف رحمه الله

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل : معرفة العبد ربه

فصل

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه مُحَّداً ﷺ

الشرح :

قال المصنف " فإذا قيل لك ما لأصول الثلاثة التي يجب .. "

انتهى المصنف من المقدمة وبدأ بصلب الموضوع وهو الحديث عن الأصول الثلاثة ، وهي التي ألف المصنف الكتاب من أجل توضيحها .

" فإذا قيل لك " أخفى المصنف من هو القائل لسببين :

١ . لأن المقصود الأساسي الجواب . ٢- لإن الجواب لا يختلف لو عُرِف السائل لذا لا أهمية لمعرفة من السائل .

قال المصنف " فإذا قيل لك ، أي إذا سألك سائل وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها في القبر .

ما هي الأصول الثلاثة ؟ الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره وسُمّي الكتاب بذلك لأن هذه الأصول هي التي يُبنى عليها الدين .

قال المصنف " التي يجب على الإنسان معرفتها " بين حكم معرفتها أنه واجب ، وسبق أن عرفنا الواجب . وهو لغة الشيء الساقط : { فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها ... } أي سقطت . لكن المقصود بالوجوب هنا ليس الواجب الاصطلاحي بل الأمر الحتم الذي هو فرض عين متحتم .

قال المصنف " على الإنسان " ذكر هنا على من تجب والألف واللام في الإنسان للعموم ، فتشمل المسلم والكفار أيضاً ، لأنه مخاطب بالشريعة فيجب عليه ما يجب على المسلم ويحرم عليه ما يحرم على المسلم . ولا يمكن أن يُسمى مسلماً إلاّ بهذه الأصول ، وإذا تخلف أصل من هذه الأصول الثلاثة فليس بمسلم بل خارج عن الملة

وهل قوله الإنسان أخرج الجن ؟ لا ليس هذا بمقصود بل حتى الجن يجب عليهم ذلك لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

قال المصنف " معرفتها " بأمرين بالعلم ولا بد من العمل . وسكت المصنف عن وسيلة معرفتها فقد تكون بالسؤال أو القراءة أو السماع أو المجالسة ، وبعضها يعرف بالفطرة وبعضها بالعقل .

قال المصنف " فقل " معرفة العبد ربه ودينه ونبيه مُحَمَّداً ﷺ فاستخدم المصنف أسلوب الإجمال والتفصيل . وقال " فقل جازماً " لأن الواجب في العقائد الجزم ولكن هل يجوز التقليد في العقائد مرّ بحث هذه المسألة في أول الكتاب .

الأصل الأول

من ربك

فإذا قيل لك : **من ربك** : فقل ربي الله الذي رباني، ورب جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) وكل ما سوى الله عالم . وأن واحد من ذلك العالم .

وإذا قيل لك : **بم عرفت ربك** ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته ؛ ومن آياته : الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته : السماوات السبع، ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما ؛ والدليل قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وقوله تعالى : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) . والرب، هو : المعبود، والدليل قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) إلى قوله تعالى : (فلا تجعلوا الله أنداداً وأنتم تعلمون) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة .

(فإذا قِيلَ لَكَ : مَا الأصُولُ الثلاثةُ التي يَجبُ علَى الإنسَان معْرفتُها ؟

فقلْ معرفة العبدِ ربّه ودينَه ونبيَه مُحَّداً ﷺ) .

(**فإذا قيل لك**) أي سألك سائل ، والمؤلف رحمه الله أورد هذه المسألة بصيغة السؤال وذلك من أجل أن يتنبه الإنسان لها ، لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة .

الأصول : جمع أصل ، والأصل لغة : ما يبنى عليه غيره ، أو ما يتفرع عنه غيره ، كأصل الجدار : وهو أساسه المستتر في الأرض المبني عليه الجدار ، وأصل الشجرة : وهو طرفها الثابت في الأرض .

قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ .

وإنما قال (هذه هي الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها) ، لأنها هي الأصول التي يُسأل عنها المرء في قبره إذا دفن وتولى عنه أصحابه كما ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة .

عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل مُحَّد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر **فيقال له** :ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين) . رواه البخاري

وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا قبر الميت . أو قال أحدكم . أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول فيه : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله : لا أدري ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك) . رواه الترمذي

(**فإذا قِيلَ لَكَ مَنْ رَبُّكَ** ؟ فقلْ رَبِّيَ اللهُ الذي ربَّاني وربَّى جميع العالَمين بنعمه ، وهو معبودي ليسَ لي معبودٌ سِواهُ ، والدليل قوله تعالى : ﴿ الحمدُ لله ربِّ العالَمين ﴾ وكلُّ ما سوى اللهِ عَالَمٌ وأنَا واحدٌ مِنْ ذلكَ العالَمَ) .

(**فإذا قيل لك من ربك**) أي : من خالقك ورازقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه (فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين ، قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾)

أي ربي الله ، والتربية عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربي ، فالله عز وجل هو الذي رباني ورعاني وأمدني بالنعم كما أنه رب جميع العالمين .

والعالَمين :جمع عالَمْ ، وهو كل موجود سوى الله عز وجل .

وقال الزجاج : العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة .

قال القرطبي : وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله تعالى : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين ﴾ .

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (﴿ رب العالمين ﴾ الرب : هو المربي جميع العالمين ، وهم من سوى الله ، بخلقه إياهم وإعداده لهم الآلات وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة التي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء ، فما بهم من نعمة فمنه تعالى) . أ . هـ

قال تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فلله نعمة الإيجاد ، ونعمة التغذية ، وسائر نعمه الظاهرة والباطنة . قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ أي : مضى عليه زمن طويل من العصور والدهور لم يكن فيها شيئاً مذكوراً ، أي موجوداً ، بل معدوماً ، وإنما أوجده الله من العدم ، ورزقه النعم ليعبده وحده .

وتربية الله لخلقه نوعان : عامة وخاصة

فالعامة : هي خلقه للمخلوقين ، ورزقهم ، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا .

والخاصة : تربية لأوليائه ، فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ، ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .

وحقيقتها : تربية التوفيق لكل خير ، والعصمة من كل شر ، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب .

(هو معبودي ليس لي معبود سواه) أي وهو الذي أعبده وأتذلل له خضوعاً ، ومحبةً وتعظيماً ، أفعل ما يأمرني به ، وأترك ما ينهاني عنه فليس لي أحد أعبده سوى الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... ﴾ .

(وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم)

عالم : جمع عوالم ، وعالمون ، فالوجود قسمان : رب ، ومربوب

فالرب : هو المالك سبحانه المتفرد بالربوبية ، والإلهية .

والمربوب : هو العالم ، وهو كل من سوى الله من جميع الخلائق .

وأنا أيها الإنسان واحد من جملة تلك المخلوقات المربوبة المتعبدة ، بأن يكون الله وحده هو معبودها وحده .

(**فإذا قيل لك بم عرفت ربك** ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾ ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع ، وما فيهن وما بينهما . قال تعالى : ﴿ إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾) .

أي : فإذا قال لك قائل : بم استدللت به على معرفتك معبودك وخالقك ؟

فقل : بآياته ومخلوقاته التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والإلهية .

والآيات : جمع آية ، والآية : العلامة والدلالة والبرهان والحجة .

والمخلوقات : جمع مخلوق ، وهو ما أوجد بعد العدم .

وآيات الرب سبحانه هي : دلالاته وبراهينه التي بها يعرفه العباد ، ويعرفون أسماءه وصفاته ، وتوحيده وأمره ونهيه .

قال الشاعر :

فواعجباً كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي   كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آيـــة   تــدل على أنه واحـــد

فآيات الله كثيرة ، ومخلوقاته عظيمة ، كلها تدل على أنه الرب العظيم ، وأنه الخلاق العليم وأنه المستحق لأن يعبد ، وأنه الذي يخلق ما يشاء ، ويعطي ويمنع وينفع ويضر ، بيده كل شيء سبحانه وتعالى ، فهو المستحق بأن نعبده بطاعته ودعائه .

(ومن آياته الليل والنهار)

أي في اختلافهما ، هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة ، كما قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان ، كما قال تعالى : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا .

قال الشيخ السعدي (١٢٥/١) في قوله تعالى : ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ :

(وهو تعاقبهما على الدوام إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر ، وفي اختلافهما في الحر ، والبرد ، والتوسط ، وفي الطول والقصر وما ينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم وجميع ما على وجه الأرض من أشجار ونباتات ، وكل ذلك بانتظام وتدبير وتسخير تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول ما يدل ذلك على قدرة مصرفها وعلمه وحكمته ورحمته وعظمته وعظمة ملكه وسلطانه ، مما يوجب أن يؤلّه ويعبد ويفرد بالمحبة والتعظيم والخوف والرجاء وبذل الجهد في محابه ومراضيه) أ.هـ

﴿ ومن آياته الشمس والقمر ﴾

الشمس ونورها وإشراقها ، والقمر وضياؤه وتقدير منازله في ملكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف باختلاف سيره ، وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات وكونهما يجريان هذا الجريان المتقن ، قال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ كل هذا يدل على وحدانية موجبها تعالى وتقدس .

ولما كان الشمس والقمر أسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره .

قال تعالى : ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به .

(ومن مخلوقات الله السموات السبع والأرضون السبع)

السموات السبع وسعتها وارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ، ودوران ملكها وارتفاعها بغير عمد من تحتها ولا علائق من فوقها ، والأرضون السبع في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعرائها وما فيها من المنافع ، وسعة أرجائها وما فيها من أصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات وسائر الموجودات ، وما بين السموات والأرض من الأهوية والسحاب وغير ذلك دال على وحدانية الباري ﷻ ، وعلى تفرده بالخلق والتدبير .

فائـدة : السموات سبع ، وقد جاء ذلك تصريحاً في عدة آيات .

قال تعالى : ﴿ قل من رب السموات السبع ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقضاهن سبع سموات في يومين ... ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ .

وأما بالنسبة للأرض فلم يأت في القرآن التصريح بذلك إلا في قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾ .

فقيل : مثلهن في العدد لأن الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والأخبار .

وقيل : ﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾ أي غلظهن وما بينهن . والراجــح الأول .

وأما السنة فهي صريحة جداً أن الأرضين سبع كالسموات .

١) عن سعيد بن زيد ﷺ قال : سمعت رســول الله ﷺ يقول : (من أخذ شـبراً من الأرض ظلماً طوقه من سبع أرضين) . رواه مسلم

٢) وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : (قال موسى : يارب ، علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله ، قال : كل عبادك يقولون هذا ، قال : يا موسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله) . رواه ابن حبان والحاكم وصححه

خلق الأرض كان قبل السماء .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ... ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها ... ﴾ .

قال ابن كثير : (فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء ، وهذا مما لا أعلم فيه نزاعاً بين العلماء إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض وأما قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها ... ﴾ والتي تدل بظاهرها على أن خلق السماء كان قبل خلق الأرض فقد أجاب ابن عباس كما في صحيح البخاري ، فقد سئل عن هذا بعينه فأجاب :

(بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء) .

وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديماً وحديثاً .

(والرب هو المعبود ، والدليل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال ابن كثير : الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة) .

معنى كلمة الرب في أصل اللغة : مشتقة من التربية ، وهي إصلاح شؤون الغير ورعاية أمره ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم ﴾ ، فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها .

وتطلق كلمة الرب على المالك والمصلح .

وتطلق على المعبود ، أي هو الذي يستحق أن يعبد ، أو هو الذي يعبد لاستحقاقه للعبادة

لماذا كان الله هو الرب المعبود وحده دون سواه ؟

هناك دليل نقلي ودليل عقلي .

أما الدليل النقلي :

فقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ... ﴾

شـرح الآيـة :

نداء من الله لجميع الخلق ، وهو أول أمر يمر بك في المصحف الكريم ، يبين الله فيه وحدانية ألوهيته بأنه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود ، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، بأن جعل لهم الأرض فراشاً : أي مهداً كالفراش مقررة موطأة مثبتة بالرواسي الشامخات .

والسماء بناء وهو السقف ، كما قال تعالى : ﴿ وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ﴾ ، وأنزل لهم من السماء ماء ، والمراد به : السحاب هاهنا في وقت عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به من أنواع الزروع والثمار مشاهد رزقاً لهم ولأنعامهم .

قال ابن كثير : (فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشـرك به غيره ، ولهذا قال : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ أي لا تجعلوا له أنداداً ، أمثالاً ونظراء بصرف شيء من أنواع العبادة وأنتم تعلمون أنها لا تماثله بوجه من الوجوه ، أو كنتم تعلمون تفرده بإيجاد المخلوقات وإنزال المطر وجعل الأرض فراشاً والسماء بناءً ...) .

ومن الأدلة على أن الرب هو المستحق للعبادة قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ﴾ .

وأما الدليل العقلي :

فإن من معاني كلمة (رب) المعبود ، والمعبود هو الإله ، والإله هو المتصف بجميع الصفات الكاملة والقدرات الباهرة حتى لا يعجزه شيء ، ولا يلحقه عيب أو نقص ، وهذه المرتبة لا ينالها مخلوق على الإطلاق ، لأن كل مخلوق مهما عظمت منزلته فهو عاجز وناقص لا محالة ، فلزم أنه لا إله إلا الله كما لزم أنه لا معبود سوى الله ، كما لزم أنه لا رب سوى الله .

(وَأَنْواعُ العِبَادةِ التي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثلُ الإسلامِ ، والإيمانِ ، والإحسانِ) .

لما بين المؤلف رحمه الله تعالى أن الواجب علينا أن نعبد الله وحده لا شريك له بين فيما يأتي شيئاً من أنواع العبادة .

تعريف العبادة :

العبادة في اللغة بمعنى الذل والخضوع وما يشاكله من الطاعة والانقياد .

وفي الشرع عرفها العلماء بتعاريف كثيرة .

قال الشيخ ابن قاسم رحمه الله : (وأحسن وأجمع ما عرفت به هو ما عرفها به شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :

اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة .

وهو من أشمل ما عرفت به ، فكل فرد من أفراد العبادة داخل تحت هذه العبارة ، فالعبادة شملت جميع أنواع الطاعات) . أ . هـ

(التي أمر الله بها)

نقول : العبادات مأمور بها ، ولكن أحياناً أمر إيجاب وأحياناً أمر استحباب كما هو معروف في علم أصول الفقه (أن المستحب مأمور به لكن لا على وجه الإلزام) .

ومما يدل على أن المستحب مأمور به قوله تعالى ﴿ وافعلوا الخير ﴾ .

(مثل الإسلام ، والإيمان ، والإحسان)

هذه الثلاثة هي مراتب الدين وأصوله ، كما جاء في حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ ما الإسلام ، ثم قال : فأخبرني عن الإيمان ... ثم قال له : فأخبرني عن الإحسان ... ثم قال ﷺ : (... هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) . رواه مسلم

فجعل النبي ﷺ هذه الأشياء هي الدين وذلك أنها متضمنة للدين كله .

الإسلام ، والإيمان :

الإسلام بالمعنى العام : هو التعبد لله بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة ، فيشمل ما جاء به نوح عليه السلام وكذلك بقية الأنبياء .

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بُعِث به مُحَّد ﷺ ، لأن ما بعث به ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة .

وإذا قلنا : إن الإسلام هو التعبد لله بما شرع ، شمل ذلك الاستسلام له ظاهراً وباطناً ، فيشمل الدين كله عقيدة وعملاً ، وقولاً .

الإيمان هو الأعمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب .

الإحسان : (هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) كما عرفه الرسول ﷺ ، وهو أعلى مراتب العبادة وأعظمها .

وقد جاء ذكره في القرآن في مواضع ، تارة مقروناً بالإيمان ، وتارة مقروناً بالإسلام ، وتارة مقروناً بالتقوى أو بالعمل الصالح .

قال تعالى : ﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا ... ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ .

والمقرون بالتقوى كقوله تعالى : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه تعالى في الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان ، لأن الإحسان : أ، يعبد المسلم ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة ، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة .

وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكافرين في الآخرة : ﴿ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ ، وجعل ذلك جزاءً لحالهم في الدنيا ، وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته في الدنيا ، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة .

وقوله ﷺ في تفسير الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه ...) يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة ، وهو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، كما جاء في رواية أبي هريرة : (أن تخشى الله كأنك تراه) ، ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها .

فحقيقة الإحسان : أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه وهو أن يتنوَّر القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان ، وتتفاوت أهل هذه المقامات فيه بحسب قوة نفوذ البصائر .

(ومنه الدعاء ، وفي الحديث " الدعاء مخ العبادة " والدليل قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم أتدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

وقوله : (ومنه) الضمير في قوله (ومنه) يعود على (أنواع) أي من الأنواع ، ولذا جاءت صيغته تذكير .

وبعد أسطر قال المصنف : (ومن صرف منها شيئاً) ، ومنها : صيغة مؤنث فتكون عائدة على العبادة .

الدعـاء :

وهو من أنواع العبادة ، والدليل قوله تعالى :

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ ولم يقل يستكبرون عن دعائي ، بل قال : ﴿ عن عبادتي ﴾ ، وهذا دليل على أن الدعاء عبادة .

وقال النبي ﷺ : (الدعاء مخ العبادة) . رواه الترمذي ، وهو ضعيف .

ويغني عنه الحديث الآخر أن النبي ﷺ قال : (الدعاء هو العبادة) . رواه الترمذي وأبو داود وأحمد

وقال تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾

﴿ ولا تدع ﴾ الخطاب للرسول ﷺ ، والحكم له ولغيره ، أو كل من يصح خطابه ويدخل فيه الرسول ﷺ . وهـذا القول هـو الصحيـح .

﴿ من دون الله ﴾ أي سوى الله .

﴿ ما لا ينفعك ﴾ ما لا يجلب لك النفع لو عبدته .

﴿ ولا يضرك ﴾ أي لو تركت عبادته فإنه لا يضرك .

﴿ فإن فعلت ﴾ أي إن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك . ﴿ فإنك إذاً من الظالمين ﴾ ونوع الظلم هنا ظلم شرك ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

فالدعاء هو أن يضرع إلى الله يدعوه ويسأله النجاة ويسأله الرزق ، وكل هذا عبادة ، فإذا صرفها لصنم أو لشجر أو لحجر أو لميت صار مشركاً بالله عز وجل .

لكن دعاء الحي الحاضر القادر والاستعانة به في الشيء المقدور عليه لا بأس به ، ولا يعتبر داخلاً في الشرك ، فلو قلت لأخيك الحاضر : أعني على قطع هذه الشجرة ، أو على حفر هذه البئر فلا بأس بذلك ، كما قال سبحنه في قصة موسى : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ .

(**والخوف** ، والدليل : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾)

الخوف : هو الذعر ، وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرر أو أذى .

والخوف أقسام :

قال الشيخ السعدي رحمه الله : (اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة ، وتارة يقع طبيعة وعادة بحسب أسبابه ومتعلقاته ، فإن كان الخوف والخشية خوف تألّه وتعبد وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه وكان يدعو إلى طاعةٍ باطنةٍ وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من

أعظم واجبات القلب غير الله مع الله ، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر ، ويوقع به مكروهاً أو يغضب عليه فيسلبه نعمه أو نحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور .

وإن كان الخوف طبيعياً كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري ، فهذا النوع ليس عبادة وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان .

وأما إن كان هذا خوفاً وهمياً ، كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً أو له سبب ضعيف ، فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعوذ النبي ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة) . أ . هـ

والخوف من الله درجات :

فمن الناس من يغلو في خوفه ، ومنهم من يفرط ، والخوف العدل هو الذي يرد عن محارم الله

.

أما آية الباب :

يقول تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ﴾ يعظمهم في صدوركم ويوهمكم أنهم ذو بأس فنهاكم أن تخافوا أولياءه الذين خوفكم إياهم .

﴿ وخافون ﴾ وتوكلوا علي فإني كافيكم . ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ فجعله شرطاً في صحة الإيمان .

(**والرجاء** ، ودليله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾)

تعريفـه :

هو وصف قائم في القلب يؤدي إلى التوقع والأمل والطمع .

- ويكون الرجاء توحيد إذا تعلق أمله وطمعه بالله .
- ويكون شركاً أكبر إذا توقع أو طمع من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، كأن يتوقع من مخلوق النصر ، أو تتوقع منه الولد أو الشفاء أو السلامة .

قال تعالى : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ﴾ .

- ويكون الرجاء شرك أصغر ، كأن تتوقع وترجو الشفاء والخير من الله لكن بوسيلة محرمة ، كمن لبس حلقة أو خيطاً على أن تكون سبباً للشفاء .

قال ﷺ : (من تعلق تميمة فقد أشرك) .

واعلم أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل .

قال العلماء : والرجاء ثلاثة أنواع :

١. رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه .

٢. رجاء رجل أذنب ذنباً ثم تاب منه فهو راج لمغفرة الله وعفوه وإحسانه وجوده وعلمه .

٣. رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا هو الغرور والرجاء الكاذب .

(والتوكل ، ودليله : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾)

التوكل : هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى في جلب المطلوب وزوال المكروه مع فعل الأسباب المأذون فيها.

فمن جعل أكثر اعتماده على الأسباب نقص توكله على الله ، ويكون قادحاً في كفاية الله ، ومن جعل أكثر اعتماده على الله ملغياً للأسباب فقد طعن في حكمة الله ، لأن الله جعل لكل شيء سبباً .

والنبي ﷺ أعظم المتوكلين على الله ، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب ، فكان يأخذ الزاد في السفر ، ولما خرج إلى أحد ظاهر بين درعين (أي لبس درعين) ، ولما خرج مهاجراً أخذ من يدله على الطريق .

التوكل أنواع :

١. التوكل على الله ، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه ، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به .

٢. توكل السر ، بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة أو دفع مضرة ، فهذا شرك أكبر ، لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في اللون ، ولا فرق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً .

٣. التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته ، فهذا نوع من الشرك الأصغر ، أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصوله .

٤. التوكل على الغير فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة ، كما لو وكلت شخصاً في بيع شيء أو شرائه ، فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع .

قال تعالى حكاية عن يعقوب : ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ .

ووكل ﷺ على الصدقة عمالاً وحفاظاً ، ووكل في إثبات الحقوق وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها .

(ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾)

الرغبة : محبة الوصول إلى الشيء المحبوب .

الرهبة : الخوف المثمر للهرب من المخوف ، فهو خوف مقرون بالعمل .

الخشوع : الذل والتطامن لعظمة الله .

فهذه عبادات قلبية من أجلّ العبادات ، وصرفها لغير الله شرك أكبر .

يقول تعالى عن الأنبياء والصالحين : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ أي في عمل القربات وفعل الطاعات .

﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ أي رغبة في رحمة الله ورهباً من عذاب الله .

﴿ وكانوا لنا خاشعين ﴾ أي خاضعين متذللين .

فدلت الآية على أن هذه الثلاثة الأنواع من أجل أنواع العبادة ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك .

(والخشية ، والدليل : ﴿ فلا تخشوهم واخشون ﴾

الخشية نوع من الخوف لكنها أخص منه . والفرق بينهما :

١. أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله ، كقوله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، والخوف قد يكون من الجاهل .

٢. أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي ، بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف .

وفي الآية الكريمة يقول تعالى : لا تخشوا الناس ، فإني ربكم ، واخشوني وحدي ، ونهى عن خشية غيره كما في الآية الثانية : ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ أي لا تخافوا منهم ﴿ واخشون ﴾ أي خافوا مني .

فدلت الآيتان وما في معناهما : على أن الخشية عبادة من أجل العبادات ، فصرفها لغير الله شرك أكبر .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١ / ٥١) :

(والسعادة في معاملة الخلق : أن تعاملهم لله ، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله ، وتخاف الله فيهم ولا تخافهم في الله ، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم ، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم) . أ.هـ

(والإنابة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾)

والإنابة : الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته ، وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها .

قال تعالى : ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ أي : أقبلوا إلى ربكم وارجعوا إليه بالطاعة .

﴿ وأسلموا له ﴾ أخلصوا له التوحيد .

﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾ أي : بادروا بالتوبة إلى العمل الصالح قبل حلول النقمة .

وأمره عباده بالإنابة ظاهر في أنها عبادة وأنه يحبها ، فصرفها لغير الله شرك أكبر .

(والاستعانة ، والدليل : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

وفي الحديث : " إذا استعنت فاستعن بالله " .

والاستغاثة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾)

الاستعانة : طلب العون والمؤازرة في الأمر .

والاستغاثة : طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة .

دليل الاستغاثة قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ .

قال ابن قاسم رحمه الله : (الدين كله يرجع إلى هذين المعنيين ، وسر الخلق والكتب والشرائع والثواب والعقاب يرجع إلى هاتين الكلمتين ، وعليهما مدار العبودية والتوحيد .

الأول : تبرؤ من الشرك .

الثاني : تبرؤ من الحول والقوة .

وهذا المعنى في غير آية من كتاب الله ، وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر ، أي : نستعين بك وحدك دون كل من سواك .

فهذا النوع أجل أنواع العبادة ، فصرفه لغير الله شرك أكبر .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أي : لا نعبد أحداً سواك ، فالعبادة لله وحده والاستعانة به وحده جل وعلا وتقدس .

وفي الحديث : إذا استعنت فاستعن بالله) . رواه الترمذي

حصر الاستعانة بالله وحده دون غيره من الخلق والدلالة على أنها أجل العبادات وعليها مدار الدين ، فإذا استعان أحد بغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر .

الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على نوعين :

١) . الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ، وهذا جائز ، قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ .

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ .
وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها مما يقدر عليه المخلوق .
٢) . الاستغاثة والاستعانة بالأموات ، والاستغاثة بالأحياء والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله من شفاء المرضى وتفريج الكربات ، ودفع الضر ، فهذا النوع غير جائز وهو شرك أكبر .

(والاستعاذة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾) .أمر الله نبيه ﷺ أن يستعيذ بفالق الإصباح من شر جميع المخلوقات ومن شر الغاسق والحاسد .والفلق : الصبح .

وقيل : سبب تخصيص المستعيذ به : أن القادر على إزالة هذه الظلمة عن العالم هو القادر على أن يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه .

أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من الوسواس الخناس ، يعني : الشيطان الجاثم على قلب الإنسان ، فإذا ذكر الله خنس وإذا عقل وسوس .

والأمر بالاستعاذة به تعالى كثير في الكتاب والسنة ، ففي الكتاب :

قال تعالى : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ .

قال تعالى : ﴿ معاذ الله أن أكون من الجاهلين ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ .

ومن السنة :

قوله ﷺ : (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .

تدل على أن الاستعاذة بالله عبادة من أجل العبادات فصرفها لغير الله شرك أكبر .

(**والذبح ، والدليل** : ﴿ قل إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ ومن السنة : " لعن الله من ذبح لغير الله ")

الذبح : إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص .

يقول تعالى : قل يا مُحَمَّد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره ﴿ إن صلاتي ونسكي ﴾ أي : ذبحي ﴿ ومحياي ﴾ أي : ما أحيا عليه من العمل الصالح ﴿ ومماتي ﴾ أي

: ما أموت عليه ﴿ لله رب العالمين ﴾ لا شريك له في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادات ، وهذا دليل على أن الذبح عبادة .

ومن السنة : (لعن الله من ذبح لغير الله) .

فدل الحديث على أن الذبح عبادة ، لأن الله لعن من صرفه لغيره ، والعبادة كلها مختصة بالله ، فإذا صرفها أحد لغير الله بأن ذبح للأصنام ، أو للقبور المعبودة من دون الله إلتماساً لشفاعة أربابها أو للنيران أو للزهرة أو نحو ذلك فهو مشرك .

والذبح يقع على وجوه :

١. أن يقع عبادة ، بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له ، فهذا لا يكون إلا لله ، وصرفه لغير الله شرك أكبر .

٢. أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس ، فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحباباً .

٣. أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ، فهذا من قسم المباح .

عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : (دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب) ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : (مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب ، فقال : ليس عندي شيء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة) . رواه أحمد في الزهد عن سلمان الفارسي موقوفا بسند صحيح .

(والنذر ، والدليل : ﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾)

النذر لغة : الإيجاب .

وشرعاً : إيجاب المكلف على نفسه ما ليس واجباً عليه شرعاً .

والنذر عبادة ، لقوله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ فأثنى الله عليهم لإيفائهم بالنذر ، وهذا يدل على أن الله يحب ذلك وكل محبوبة لله من الأعمال فهو عبادة ، فمن الشرك أن تنذر لغير الله ، مثل : أن يقول لفلان علي نذر ، أو لهذا القبر علي نذر ، أو لجبريل علي نذر .

وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً ، ولا تجب فيه الكفارة ، بل هو شرك تجب التوبة منه كالحلف بغير الله .

(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾)

قوله : (منها) أي من أنواع العبادة .

قال الشيخ السعدي في كلام له :

(فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وإفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من إفراد العبادة لغير الله ، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص ، وصرفه لغيره شرك وكفر ، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء) . أ . هـ

واستدل المصنف بقوله تعالى : ﴿ ولا تدع من دون الله ... ﴾ .

ووجه الدلالة : أن الله سبحانه وتعالى بين أن من يدعو مع الله إله آخر فإنه كافر ، لأنه قال : ﴿ إنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

هذه الرسالة صنفت لبيان الأصول الثلاثة؛ ألا وهي مسائل القبر؛ من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والجواب عليها في هذه الرسالة، بل إن هذه الرسالة من هذا الموضع إلى آخرها جواب على هذه الأسئلة الثلاث، فمن كان عالما بما في هذه الرسالة من بيان تلك الأصول العظام، كان حَرِيًّا أن يُثبت عند السؤال، ذلك لأنها قُرنت بأدلتها، وقد جاء في الحديث الذي في الصحيح أن من المسؤولين في القبر من يقول: ها، ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. استدل العلماء بقول هذا المفتون في قبره (سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاث؛ جواب (من ربك؟) يعني من معبودك؟ جواب (ما دينك؟)، جواب (من نبيك؟) ولهذا يذكر الشيخ الإمام رحمه الله تعالى بعد كل مسألة مما سيأتي، يذكر الدليل من القرآن، وقد بينا في أول هذا الشرح؛ أن المؤمن يخرج من التقليد، ويكون مستدلا بما يعلمه، ويعتقده من هذه المسائل بالحق، إذا علم الدليل عليها مرة في عمره، ثم اعتقد ما دل عليه الدليل، فإن استقام على ذلك حتى موته، فإنه يكون مؤمنا؛ يعني مات على الإيمان؛ لأن استمرار استحضار الدليل والاستدلال لا يُشترط، لكن الذي هو واجب أن يكون العبد في معرفته للحق في جواب هذه المسائل الثلاث، أن يكون عن

دليل واستدلال ولو لِمرّة في عمره، ولهذا يعلم الصغار والأطفال عندنا رسالة الأصول الثلاثة الأخرى التي فيها جواب أيضا مع بعض الاستدلال بأقصر مما هنا، يُعلّمون جواب هذه المسائل الثلاث، حتى إذا بلغ الغلام أو الجارية، إذا هو قد عرف عن دليل واستدلال.

قال رحمه الله تعالى (فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه مُحَمّدا ﷺ)، (معرفة العبد ربه) يعني معرفة العبد معبوده؛ لأن الربوبية في هذا المقام يُراد بها العبودية، لما؟ لأن الابتلاء للأنبياء والمرسلين لم يقع في معاني الربوبية، ألم ترَ أن الله جل وعلا قال؟ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ هذه مقتضيات الربوبية ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾[يونس:٣١]. المشركون في كل زمان لم يكونوا ينازعون في تَوَحُّدِ الله جل وعلا في ربوبيته، ولهذا فسر العلماء سؤال القبر من ربك؟ بمن معبودك؟ لما؟ لأن الابتلاء لم يقع في الربوبية، وقد سئل الشيخ الإمام رحمه الله تعالى عن الفرق بين الربوبية والألوهية في بعض النصوص –في أحد الأسئلة التي وجهت إليه– فكان من جوابه أن قال: هذه مسألة عظيمة، وذلك أن الربوبية إذا أطلقت، أو إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية؛ لأن الربوبية تستلزم الألوهية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، والألوهية تتضمن الربوبية. لأن الموحد لله جل وعلا في ألوهيته هو ضمنا مقر بأن الله جل وعلا هو واحد في ربوبيته، ومن أيقن أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته استلزم ذلك أن يكون مقرا بأن الله جل وعلا واحد في استحقاق العبادة، ولهذا تجد في القرآن أكثر الآيات فيها إلزام المشركين بما أقروا به ألا وهو توحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلهية، من مثل قول الله جل وعلا في سورة الزمر﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٧) هذا توحيد الربوبية قال بعدها ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨]، قال (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ) والفاء هنا رتبت ما بعدها على ما قبلها؛ وما قبلها هو توحيد الربوبية وما بعدها هو توحيد الإلهية، ولهذا في القرآن يكثر أن يحتج على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلهية، لهذا قال جل وعلا ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٠]، المعنى بـ(أَرْبَابًا) أي

معبودين وكذلك قوله تعالى؟اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟[التوبة: ٣١]، يعني معبودين لأن عدي ابن حاتم لما قال للنبي عليه الصلاة والسلام: إنا لم نعبدهم. ففهم معنى الربوبية في الآية معنى العبادة، وهذا هو الذي يفهمه من يعرف اللسان العربي، قال النبي عليه الصلاة والسلام -كما هو معروف-: «ألم يحلوا لكم الحرام فأحللتموه، ألم يحرموا عليكم الحلال فحرمتموه» قال: بلى. فقال: «فتلك عبادتهم».

إذن الربوبية تطلق ويراد منها العبودية في بعض المواضع، تارة بالاستلزام، وتارة بالقصد.

وبعض علمائنا قال إن لفظ الألوهية والربوبية يمكن أن يُدخل في الألفاظ التي يقال إنها إذا اجتمعت تفرقت وإذا تفرقت اجتمعت، وهذا وجيه.

قال الشيخ رحمه الله تعالى هنا (فقل معرفة العبد ربه ودينه ونبيه مُحَّدا ﷺ) والمعرفة ترادف العلم في حق المخلوق في أكثر المواضع، أما في حق الله جل وعلا فإن الله جل وعلا يُوصف بالعلم، ولا يوصف بالمعرفة، وذلك لأن العلم قد لا يسبقه جهل، بينما المعرفة يسبقها جهل؛ عرف الشيء بعد أن كان جاهلا به، لكن العلم قد لا يسبقه جهل به، ولهذا يوصف الله جل وعلا بالعلم، ولا يوصف بالمعرفة. أيضا يقال إن التعبير بالعلم أوجه في المواضع التي يُحتاج فيها إلى التعبير بالمعرفة وذلك لأن المعرفة أكثر ما جاءت في القرآن مذمومة لأنه يتبع المعرفة الإنكار، أما العلم فأوتي به في القرآن ممدوحا، قال جل وعلا ؟الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؟[الأنعام: ٢٠]، فهنا وصفهم بالمعرفة ثم بين أن معرفتهم تلك لم تنفعهم، وقال جل وعلا ؟يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا؟[النحل:٨٣]، لكن العلم أُثني عليه في القرآن، وأما المعرفة فربما بل أكثر المواضع فيها نوع ذم لها، لكن هذا ليس على إطلاقه، لأنه قد جاء في صحيح مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في بعض طرق حديث ابن عباس الذي فيه إرسال معاذ إلى اليمن، أن النبي ﷺ قال له:«فليكن أول ما تدعوهم إليه إلى أن يعرفوا الله فإن هم عرفوا الله فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات»إلى آخره، فصارت المعرفة هنا بمعنى العلم بالتوحيد كما في الروايات الأخر، لكن التعبير بالمعرفة كما استعمله الشيخ رحمه الله تعالى هنا صحيح، وذلك لأنه قد ورد الاستعمال به، وإن كان أكثر ما جاء استعمال لفظ المعرفة في كونه مذموما.

قال هنا (معرفة العبد ربه) يعني معبوده، (معرفة العبد دينه، معرفة العبد نبيه مُحَّدا ﷺ) هذه

الأصول الثلاثة هي التي سيأتي تفصيلها والجواب عليها.

ثم بدأ يشرح رحمه الله تعالى، ويفصل (معرفة العبد ربه)عن طريق السؤال والجواب، لأن هذا أوقع في النفس، وأقرب إلى التعليم.

(إن قيل لك من ربك ؟ فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته) لفظ الربوبية فيه معنى التربية، رباه تربية ومعنى التربية تدريج المربى في مصاعد الكمال، كل كمال بحسبه، وأعظم أنواع التربية التي ربى بها الله جل وعلا الناس أن بعث لهم الرسل يعلمونهم، ويرشدونهم ما يقربهم إلى الله جل وعلا، وهذه هي أعظم نعمة، قال جل وعلا ؟قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ؟[يونس:٥٨]، فأعظم النعم المسداة إرسال الرسل، ولهذا كان من أنواع التربية التي ربى بها الله جل وعلا العالمين، ربى بها الله جل وعلا الناس، أن بعث لهم رسلا يبشرون و ينذرون، وهناك أنواع كثيرة من التربية؛ تربية الأجسام، تربية الغرائز، تربية الفكر، تربية العقل، كل هذا قد مَنَّ الله جل وعلا على ابن آدم به، وكذلك إذا نظرت إلى أوسع من ذلك من خلق الله جل وعلا الواسع، والعالمون الذين هم كل ما سوى الله جل وعلا، فتجد أن معاني الربوبية والتربية بالنعم والتربية في تدريجها في مدارج الكمال بما يناسبها، والله جل وعلا أعلم بما يَصلح ؟وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ؟[القصص:٦٨]، وجدت أن معاني الربوبية في هذا المعنى الذي هو التربية ظاهر جدا، أيضا الربوبية لها معنى آخر، وهو الذي سلف من معنى توحيد الربوبية؛ يعني اعتقاد أن الله جل وعلا هو الخالق لهذا الخلق وحده، وهو الرزّاق وحده، وهو الذي يدبر الأمر، وهو القاهر، وهو ذو الملك، إلى آخر معاني الربوبية.

قال جل وعلا ؟الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟ استدل الشيخ بهذه الآية (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) معنى (الْحَمْدُ) كل حمدٍ، لأن الألف واللام هنا للاستغراق؛ استغراق أنواع الحمد، وكل حمدٍ موجود، أو وجد، أو يوجد، والحمد معناه الثناء بصفات الكمال، فهذا الحمد وهو الثناء بصفات الكمال لله، واللام هنا للاستحقاق يعني مستحَقًّا لله جل وعلا، الحمد لله كل أنواع الحمد وجميع أنواع المحامد مستحقة لله، لأن اللام هنا لام الاستحقاق.

اللام تارة تكون:

* للملك وهذا إذا كان ما قبلها من الأعيان.

* وتارة تكون للاستحقاق، وهي إذا كان ما قبلها من المعاني.
إذا قلت الدار لفلان، الدار عين، فتكون اللام لفلان يعني ملك. إذا كان ما قبل اللام معنى صارت اللام للاستحقاق، تقول الفخر لفلان يعني الفخر يستحقه فلان. (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، الحمد معنى لهذا صارت اللام بعده للاستحقاق، فكل حمد مستحق لله، الإله الذي لا يُعبد بحق إلا هو هذا الإله نعته أنه رب العالمين.
(رَبِّ الْعَالَمِينَ) و(الْعَالَمِينَ) جمع عالم، والعالم اسم لأجناس ما يُعلم، وهو كل ما سوى الله جل وعلا، كما قال الشيخ رحمه الله تعالى: (وكل من سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم) عالم الإنسان، عالم الطير، عالم النبات، عالم الملائكة، عالم الجن، عالم السموات، عالم الأراضين، عالم الماء، إلى آخره، (كل ما سوى الله جل وعلا عالم وأنا واحد من ذلك العالم) والعالمون جمع عالم، والعالم كل ما سوى الله جل وعلا من الأجناس المختلفة، إذن ما دام أنك واحد من ذلك العالم فأول من يخاطب بهذه الآية المؤمن، (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيستيقن المؤمن بتلاوته لهذه الآية ربوبية الله جل وعلا له واستحقاقه للحمد واستحقاقه جل وعلا لكل ثناء ولكل وصف بالكمالات.
ثم قال رحمه الله (فإذا قيل لك بما عرفت ربك؟) الربوبية تحتاج إلى معرفة، تحتاج إلى علم، وهذا العلم جاء في القرآن الدِّلالة عليه، قال جل وعلا ؟قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟[يونس:١٠١]، وقال جل وعلا ؟أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ؟[الأعراف:١٨٥]، فالدعوة إلى النظر في الملكوت في القرآن، بما أستدل على الله جل وعلا على ربوبيته؟ قال الشيخ هنا (فإذا قيل لك بما عرفت ربك؟ فقل بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الشمس والقمر والليل والنهار، ومن مخلوقاته السماوات والأرض)، لا شك أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله، كما قال جل وعلا؟وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ؟[فصلت:٣٧]، وكذلك السماوات والأرض هي آيات لله جل وعلا، كما قال أبو العتاهية في شعره السائر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد والشيخ رحمه الله ها هنا فرق بين الآيات والمخلوقات، مع أنه في القرآن ما يثبت أن السماوات والأرض من الآيات. فلما فرّق؟

الجواب أن تفريق الشيخ رحمه الله تعالى بينهما دقيق جدا، وذلك أن الآيات جمع آية، والآية هي البينة الواضحة الدالة على المراد، ؟إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ؟[الشعراء:١٩٠] يعني دلالة بينة واضحة على المراد منها، ؟إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ؟[الحجر:٧٥] يعني لدلالات واضحات بينات على المراد منها، وهنا ننظر إلى أنه بالنسبة لمن سئل هذا السؤال، كون الليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه عند هذا المسؤول أو المجيب من السموات والأرض، لما؟ لأن تلكمُ الأشياء التي وصفت بأنها آيات متغيرة متقلبة، تذهب وتجيء، أما السماء فهو يصبح ويرى السماء، ويصبح ويرى الأرض، فإِلفُه للسماء وللأرض يحجب عنه كون هذه آيات، لكن الأشياء المتغيرة التي تذهب وتجيء، هذه أظهر في كونها آية، ولهذا إبراهيم الخليل عليه السلام طلب الاستدلال بالمتغيرات، قال جل وعلا ؟وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ(٧٥)فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ؟[الأنعام:٧٥-٧٦]، لما؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث، استدل بهذا التنقل على أنه آية لغيره، فلما رأى القمر بازغا -استدل بالقمر-، فلما رأى الشمس بازغة -استدل بالشمس- لأنها متغيرات، أما السماوات والأرض فهي آيات، لكنها في الواقع عند الناظر ليست مما يدل دلالة ظاهرة واضحة على المراد عند مثل المسؤول هذا السؤال، مع كونها عند ذوي الفهم وذوي الألباب العالية أنها آيات، كما وصفها الله جل وعلا في كتابه، الشمس والقمر والليل والنهار متغيرات تقبل وتذهب، فهي آيات ودلالات على الربوبية، وأن هذه الأشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها، لكن السماء ثابتة، الأرض ثابتة ينظر إلى هذه وهذه، وتلك متغيرات والتغير يثير السؤال، لما ذهب؟ ولما جاء؟ لما أتى الليل؟ ولما أتى النهار؟ لما زاد الليل؟ ولما نقص النهار؟ وهكذا فهي في الدلالة أكثر من دلالة المخلوقات مع أن في الجميع دليلا ودلالة، لهذا قال (فإذا قيل لك بما عرفت ربك ؟ قل بآياته ومخلوقاته) فالآيات تدل على معرفة الله والعلم بالله، وكذلك المخلوقات تدل على العلم بالله والمعرفة بالله، لكن ما سمّاه آيات أخص مما سمّاه مخلوقات، وهذا جواب اعتراض قد اعترض به بعضهم على الشيخ رحمه الله تعالى، في تفريقه بين الآيات والمخلوقات. وتفريقه رعاية لحال من يُعَلَّم هذه الأصول، تفريق دقيق مناسب رحمه الله تعالى.

(الدليل قوله تعالى وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) يعني مما يدل عليه دلالة واضحة ظاهرة بينة جلية الليل والنهار والشمس والقمر، فإن المتأمل إذا تأمل الليل والنهار، وجد هذا يدخل في هذا، وذاك يدخل في ذاك، وهذا يطول وذاك يقصر، علم أن الليل من حيث كونه ليلا، والنهار من حيث كونه نهارا، أنها أشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها، بل هي مفعول بها، ظاهر الليل ما هو؟ ذهاب الضوء. والنهار ما هو؟ مجيء الضوء. الشمس أتت بضيائها فصار نهارا، لما ذهبت الشمس أتى القمر فصار ليل، هذا لا شك يدلّ على أن هذه الأشياء مفعول بها، وإذا كانت مفعولا بها، فمن الذي فعلها؟ هذا السؤال، الجواب عليه سهل ميسور لأكثر الناظرين، بل لكل ناظر، ألا أن هذه تدل على أنها محدثة، ولابد لها من محدث، وأن محدثها هو الذي خلقها وسيرها على هذا النحو الدقيق العجيب، وهو رب العالمين، لهذا قال في الآية الأخرى آية الأعراف ؟إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا؟[الأعراف:٥٤]، يغشي الليل يجعل الليل غشاء للنهار، يطلبه؛ هذا يذهب وهذا يطلب الآخر، يجيء مرة يأخذ الليل من النهار، ويجذبه جذبا ويطلبه طلبا حاثا، ومرة النهار يأخذ ويطلب من الليل طلبا حاثا، قال يُغشي من المغشِي والمغشّي؟ هو الله جل وعلا؛ ؟يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟[الأعراف:٥٤]، فذكر الربوبية في العالمين بعد ذكر هذه الأصناف من الآيات والمخلوقات.

ثم ذكر أن معنى الربوبية هو العبادة والدليل قوله جل وعلا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وهذه الآية بها أمر وهو أول أمر في القرآن، أول أمر في القرآن الأمر بعبادة الله؛ قال (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) الرب وقعت عليه العبادة لأنه مفعول به؛ أعبدوا ربكم، فالعابد هم الناس، والمعبود هو الرب، أليس كذلك؟ فتلخص أن الرب هو المعبود؛ لأنه قال (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ)؛ فالرب مفعول به ما الذي فعل؟ العبادة فصار معبودا، ولهذا ساق عن ابن كثير رحمه الله تعالى أن من فعل هذه الأشياء هو المستحق للعبادة، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...) إلى آخر الآية، قال ابن كثير: الذي فعل هذه الأشياء هو المستحق للعبادة. لهذا جاء ما بعدها ما بعد الأمر بالعبادة

كقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وهو قوله (الَّذِي خَلَقَكُمْ) جاء تعليلا لما سبق، لما كان مستحقا للعبادة؟ قال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ)، كأن سائلا سأل: لما كان مستحقا للعبادة؟ لما أمرنا أن نعبده؟ قال (الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(٢١)الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً) إلى آخره فهذه أشياء من معاني ربوبيته، وقد ذكرنا من قبل أن الربوبية تستلزم الألوهية، وبهذا صارت الربوبية هنا في قوله (اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) هي العبودية، والرب هو المعبود، والفاعل لتلك الأشياء هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، لأنه هو وحده الذي خلق، وهو وحده الذي رزق، وهو وحده الذي جعل الأرض فراشا، وهو وحده الذي جعل السماء بناء، وهو وحده الذي أنزل من السماء ماء، والخلق جميعا لم يعملوا شيئا من ذلك، فالمستحق للعبادة هو الذي فعل وخلق وصنع وبرأ وصور وأبدع تلك الأشياء.

وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ؛ ومنهُ الدعاءُ، والخوفُ، والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبةُ، والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ، والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ، وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أَمرَ اللهُ بها كلُّها لله تعالى. والدليلُ قوله تعالى ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير الله فهو مشرِكٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تعالى ؟وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ؟[المؤمنون:١١٧]، وفي الحديثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة» والدليلُ قوله تعالى ؟وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ؟[غافر:٦٠].

لما تقرر أن الرب هو المعبود، كان من المناسب أن تذكر أنواع العبادة التي يعبد الله جل وعلا بها، والتي يجب إفراد الله جل وعلا بها. والعبادة عُرِّفت بعدة تعريفات:

فمنها أنها عرِّفت بأن العبادة: هي كلُّ ما أُمِرَ به مِنْ غير اقتضاءٍ عقليٍّ ولا اطِّرادٍ عرفيٍّ. وهذا هو تعريف الأصوليين في كتبهم، ومعنى ذلك أن الشيء الذي أُمر به من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به، ومن غير أن يَطَّرِدَ به عرف، هذا يسمى عبادة.

يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا

التعريف مناسب؛ لأنه أيسر في الفهم أولا، والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: إن العبادة اسم جامع؛ يجمع أشياء كثيرة، جامع لأي شيء ؟ لكل ما يحبه الله ويرضاه، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأمورا به، أو مخبَرا عنه بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها، قال: من الأقوال والأعمال؛ فهناك قول وعمل. فإذن العبادات تنقسم إلى:

* **عبادات قولية.**

* **وعبادات عملية.**

ليس ثمَّ قسم ثالث، إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية. قال: الظاهرة والباطنة؛ قد يكون القول ظاهرا، وقد يكون باطنا، وقد يكون العمل ظاهرا، وقد يكون باطنا.

فتحصل أن أنواع العبادات هي الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها:

والقول: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله جل وعلا به مثل الذكر والتلاوة، كلمة المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

قول القلب هو نيته، قصده، التبست النية على قوم فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلى شيء كان قائلا به، ليس متكلما، لأن الكلام من صفات اللسان؛ كلام ظاهر، أما القول قد يكون ظاهرا وقد يكون باطنا.

العمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالى ممثلا بعضها من الأقوال والأعمال، بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.

فمثلا الإخلاص هذا عمل القلب، التوكل عمل القلب، لا يصلح الإخلاص إلا لله جل وعلا؛ إخلاص العبادة، إخلاص الدين إلا لله جل وعلا كما قال تعالى ؟تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١)إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ(٢)أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ؟[الزمر: ١-٣]، ؟قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي؟[الزمر: ١٤]، التوكل كذلك من أعمال القلب التي ليست إلا لله، الخوف من أعمال القلب التي ليست إلا لله، يعني خوف العبادة،

خوف السر سيأتي إيضاحه إن شاء الله في موضعه، الرغبة، الرهبة، الإنابة، الخضوع، الذل؛ ذل العبادة، خضوع العبادة، إلى آخره وسيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى.

هذه كلها من أعمال القلب هي داخلة في أنواع العبادة.

الأعمال الظاهرة مثل الاستغاثة؛ الاستغاثة طلب الغوث، طلب الغوث طلب ظاهر، مثل الاستعانة؛ طلب العون، هذه من الأعمال الظاهرة، الذبح واضح أنها عمل الجوارح، النذر واضح أنه قول اللسان وعمل الجوارح، ونحو ذلك، فإذن هذه العبادات التي مَثَّل بها، أراد أن يشمل تمثيله أقسام العبادات القولية، والعملية؛ الظاهرة والباطنة، يجمعها جميعا أنها عبادات.

والعبادة لا تصلح إلا لله جل وعلا، العبادة الظاهرة أو الباطنة، القلبية أو اللسانية، أو التي موردها الجوارح، فهي لا تصلح إلا لله؛ فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد توجّه بالعبادة لغير الله منافيا لما قال الله جل وعلا ؟يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ؟[البقرة:٢١]، ومنافيا لإقراره بأن معبوده هو الله جل وعلا، إذا أقر العبد بأن قوله من ربك؟ يعني من معبودك؟ وأن الله جل وعلا قال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ) يعني وحده دون ما سواه، فإنه إذا توجه بشيء من هذه الأنواع لغير الله جل وعلا كان متوجها بالعبادة لغير الله، وذلك هو الشرك.

(الدليل قوله تعالى ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨])، (فَلَا تَدْعُوا) الدعاء هو العبادة، كما جاء في الحديث الذي استدل به الشيخ وهو قوله عليه الصلاة والسلام «الدعاء مخ العبادة» وهو حديث أنس بن مالك، وإسناده فيه ضعف، لكن معناه هو معنى الحديث الصحيح؛ حديث النعمان بن بشير الذي رواه أبو داوود والترمذي وجماعة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام «الدعاء هو العبادة» (هو العبادة) يعني مخ العبادة، لأن الدعاء هو العبادة بمنزلة قول النبي ﷺ «الحج عرفة»، قال تعالى؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، (فَلَا تَدْعُوا) يعني كما ذكرت لكم من قبل: لا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة. (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) يعني لا تعبدوا مع الله أحدا، (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)، هذا نهي أن يدعوَا الناسُ أحدا مع الله جل وعلا، يعني أن يعبدوا أحدا مع الله جل وعلا، وإذا كان الدعاء هنا بمعنى دعاء المسألة فيكون معنى الآية وأن المساجد لله فلا تسألوا سؤال عبادة مع الله أحدا، لا تطلبوا طلب عبادة مع الله أحدا. ولفظ (تَدْعُوا)

يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، فهذه الآية دليل على وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة.

فإن قال قائل لك حين الاستدلال بها: إن الدعاء هنا هو دعاء المسألة، وغيره من أنواع العبادة التي تزعمون من الذبح والنذر ومن الاستغاثة والاستعاذة ونحو ذلك أنها لا تدخل في النهي في هذه الآية.

فيكون جوابُك: أن الدعاء في القرآن جاء بمعنيين، جاء ويراد به العبادة، وجاء ويراد به المسألة. فمثلا في قوله تعالى؟وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي؟[غافر:٦٠]، ظاهر أن الدعاء المراد به العبادة؛ لأنه قال ؟إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ؟[غافر:٦٠]، وكذلك في قوله تعالى مخبرا عن قول إبراهيم عليه السلام ؟وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا؟[مريم:٤٨]، قال جل وعلا بعد ذلك ؟فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟[مريم:٤٩]، وفي الآية الأولى أخبر عن إبراهيم أنه قال (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) ثم قال جل وعلا (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ) فدل على أن إبراهيم عليه السلام حين قال (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) أي وما تعبدون؛ لأن الله جل في وعلا قال بعدها (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ)، وهذا من الأدلة الظاهرة من أن الآية هذه تشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

وقد أُورد على أئمتنا رحمهم الله تعالى –حين قرروا التوحيد في مقالهم وفي كتبهم– أن هذه الآية إنما هي دليل للمسألة، وأما غيرها مما تَدَّعون أنه عبادة وأن هذه الآية فيها نهي عنه؛ كالذبح والنذر ونحو ذلك أنه لا يدخل في الآية.

فكان الجواب: أن الدعاء نوعان؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة، هذا يأتي في القرآن وذاك يأتي في القرآن، والآية تشمل النوعين؛ لأن الدعاء إذا كان في القرآن يأتي تارات لهذا وتارات لهذا، فتحديده في هذه الآية بأحد النوعين ونفي النوع الآخر، هذا نوع تحكم وهو ممتنع.

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ، والدليلُ قوله تعالى ؟وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ؟[المؤمنون:١١٧]، وفي الحديثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة» والدليلُ قوله تعالى ؟وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ؟[غافر:٦٠].

ودليلُ الخوفِ قوله تعالى ؟فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[آل عمران:١٨٥].

ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى ؟فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا؟[الكهف: ١١٠].

ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى؟وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[المائدة:٢٣]، وقوله؟وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ؟[الطلاق:٣].

ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى ؟إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ؟[الأنبياء: ٩٠].

ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى ؟فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي؟[البقرة: ١٥٠].

ودليل الإنابةِ قوله تعالى ؟وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ؟[الزمر: ٥٤].

ودليل الاستعانةِ قوله تعالى ؟إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ؟[الفاتحة:٥]، وفي الحديثِ «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ».

ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى ؟قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ؟[الفلق: ١]، ؟قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ؟[الناس: ١].

ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى ؟إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ؟[الأنفال:٩].

ودليل الذَّبْحِ قوله تعالى ؟قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ؟[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، ومِنَ السُّنَّةِ «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

ودليلُ النَّذْرِ قوله تعالى ؟يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا؟[الإنسان:٧].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم هب لنا من لدنك رحمة، وهيِّأ لنا من أمرنا رشدا، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا، يا أكرم الأكرمين.

أما بعد: فهذه صلة لما سبق الكلام عليه؛ من أن العبادة حق لله جل وعلا، وأن كل معبود سوى الله جل وعلا فإن عبادته بغير الحق وأنها بالباطل والظلم والطغيان والجور والتعدي من الخلق، فالله جل وعلا هو الذي يستحق العبادة وحده دونما سواه من خلقه.

وبعد أن ذكر أنواع العبادات التي موردها اللسان والقلب والجوارح قال رحمه الله (فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر والدليل قوله تعالى ؟وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ؟[المؤمنون:١١٧])، (من صرف) يعني من توجه بشيء من أنواع تلك العبادات لغير الله فهو مشرك كافر، يريد الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، والشرك حقيقته اتخاذ الند مع الله جل وعلا، وهو المذكور في قوله ؟فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟[البقرة:٢٢]، والتنديد يعني أن يُجعل لله مِثْل للاستحقاق؛ استحقاق التوجه، استحقاق العبادة، إذا جُعل لله ند إما بالقول أو بالعمل فذلكم هو الشرك، وكل نوع من هذه الأنواع، وغيرُها من الأنواع التي تدخل في مسمى العبادة، صرْفها لغير الله جل وعلا شرك أكبر يخرج من الملة، وصاحبه مشرك كافر؛ إما الكفر الظاهر، وإما الكفر الظاهر والباطن معا. وهذا الذي ذكره برهن له بقوله تعالى (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) وقوله هنا (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) هذا بيان لحقيقة من دعي مع الله جل وعلا، قال (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) هذا الإله الآخر، وهذا الداعي منعوت بأنه لا برهان له بما فعل، ولا دليل، وإنما فعل ما فعل من دعوة غير الله لخواص وبتعديه. وقوله (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) ليس مفهومه أن ثم دعوة لغير الله تعالى ليس لها برهان وإنما كل دعوة لغير الله، (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) أيَّ إله كان، فإن ذلك الداعي لا برهان له بما فعل، والدليل على أن دعوة غير الله جل وعلا كفر؛ قوله جل وعلا في الآية نفسها (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) فدل على أن دعاء غير الله – كما أنه شرك– إذ دُعي إله آخر مع الله جل وعلا فهو كفر؛ لأنه قال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ).

والشرك أقسام والعلماء يَقْسِمون الشرك باعتبارات مختلفة.

* فتارة يُقسم الشرك إلى شرك ظاهر وشرك خفي.

* وتارة يُقسم الشرك إلى شرك أكبر وشرك أصغر.

* وتارة يُقسم إلى شرك أكبر وأصغر وخفي.

وهذه تقسيمات معروفة عند العلماء، وكل تقسيم باعتبار، وهي تلتقي في نتيجة كل قسم والتعريف؛ لكنه اختلاف في التقسيم باعتبارات مختلفة.

فمثلا من يقسمون الشرك إلى ظاهر وخفي؛ إلى جلي وخفي:

* فيكون الجلي منه ما هو أصغر ومنه ما هو أكبر، الجلي الظاهر الذي يُحَس مثل الذبح لغير الله، النذر لغير الله هذا جلي، هذا من نوع الشرك الأكبر، هو جلي أكبر، كذلك مثل الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كذلك هذه من نوع الشرك الجلي الأكبر، الحلف بغير الله تعالى شرك جلي ولكنه أصغر، هذا قسم شرك جلي.

* قَسِيمُه الشرك الخفي منه ما هو أكبر كشرك المنافقين، فإن شركهم خفي لم يظهروه وإنما أظهروا الإسلام، فما قام في قلوبهم من التنديد والشرك صار خفيا لأنهم لم يُظهروه، فهو شرك خفي ولكنه أكبر، وهناك شرك خفي أصغر مثل يسير الرياء، فإن كان الرياء كاملا كان ذلك شركا أكبر كشرك المنافقين، وإن كان يسيرا كتصنُّع المرء للعبادة لمخلوق مثله لغير الله فهذا إذا كان يسيرا فإنه شرك أصغر خفي.

هذا نوع من أنواع التقاسيم.

بعض العلماء يقول الشرك قسمان أكبر وأصغر:

* فإذا كان أكبر: قَسم الأكبر إلى جلي وخفي.

* وقسم الأصغر إلى جلي وخفي.

والأوضح أن يقسم إلى ثلاثة إلى أكبر وأصغر وخفي:

* ويكون الخفي مثل يسير الرياء.

* والأصغر مثل الحلف بغير الله، تعليق التمائم ونحو ذلك.

* والأكبر مثل الذبح والنذر والاستغاثة و دعاء ودعوة غير الله جل وعلا.

هذه تقسيمات للشرك قد تجد هذا أو ذاك في كلام طائفة من أهل العلم، لكن كلّها محصلها واحد، وإنما التقسيم باعتبارات، وهي ملتقية في التعريف وفي النتيجة.

مُراد الشيخ رحمه الله تعالى هاهنا بقوله (فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ الله فهو مُشرِكٌ كافرٌ) يريد الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة، فكل شيء صح عليه قيد العبادة فإن صرفه لغير الله – يعني التوجه به، التعبد به لغير الله– هذا كفر؛ مثل نداء الموتى، أو نداء الغائبين، أو خوف السر، أو الذبح لغير الله، أو النذر لغير الله، أو الاستغاثة بالأموات، أو أنواع الطلب المختلفة من الاستعانة ونحوها، أو بعض أعمال القلوب مثل الاستعاذة ونحو ذلك. هذه كلها أنواع للعبادات بعضها في القلب وبعضها للجوارح، جميعا من توجه بشيء منها لغير الله فهو مشرك الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة. البرهان قوله (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) وقد قدمت لك أن (يَدْعُ) والدعاء في القرآن قد يكون دعاء مسألة وقد يكون دعاء عبادة، فإذا لم يكن في الدليل، في النص قرينة تحدد أحد المعنيين، حُمل على المعنيين جميعا؛ لأن حمل النص على أحد المعنيين دون دليل وبرهان تحكُّم في النص وذلك لا يجوز.

قال رحمه الله (وفي الحديثِ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة»)، (الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة) يعني لبُّها وجوهرها، وهو كما جاء في الحديث الآخر الصحيح؛ حديث النعمان «الدُّعَاءُ هُوَ العبادة» وكما قال جل وعلا (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) وسبق أن أوضحت لكم هذه المسألة بتفصيل فيما مضى.

بعد ذلك شرع المؤلف –رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة– في بيان أدلة كون تلك التي ذكر من العبادات، وذكر الخوف، وذكر الرجاء، وذكر الرغبة، وذكر الرهبة، وذكر الخشوع، وذكر التوكل، وذكر أشياء، والذبح والنذر، إلى آخره.

فكأنَّ قائلا قال: ما الدليل على أن هذه من العبادات التي من صرَفها لغير الله جل وعلا كَفر؟ هو يسوق الأدلة، والأدلة على هذه المسألة على نوعين:

الأول: أن يُستدل بدليل يُثبت كون تلك المسألة من العبادة، يثبت كون الخوف من العبادة، يثبت كون الرجاء من العبادة، فإذا ثبت كونه من العبادة، أُستدل بالأدلة السابقة كقوله ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، وقوله «الدعاء هو العبادة»، « الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة »، ؟ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي؟[غافر:٦٠]، ونحوها من الأدلة العامة؛ بأن

من توجه بالعبادة لغير الله فهو مشرك.

إذن النوع الأول متركب من شيئين، الأول أن يقام الدليل على أن هذه المسألة من العبادة؛ على أن الخوف من العبادة، على أن الرجاء من العبادة، فإذا استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة، استدللتَ بالأدلة العامة على أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، هذا نوع.

النوع الثاني: خاص؛ وهو أن كل نوع من تلك الأنواع له دليل خاص، يُثبت أن صرفه لغير الله جل وعلا شرك، وأنه يجب إفراد المولى جل وعلا بذلك النوع من أنواع العبادة.

وهذا مما ينبغي أن يتنبه له طالب العلم في مقامات الاستدلال، لأن تنويع الاستدلال عند الاحتجاج على الخرافيين والقبوريين وأشباههم مما يقوي الحجة. تُنوِّع الاستدلال مرة بأدلة مجملة، مرة بأدلة مفصلة، مرة بأدلة عامة، مرة بأدلة خاصة حتى لا يُتوهَّم أنه ليس ثم إلا دليل واحد يمكن أن ينازع المستدل به الفهم، فإذا نوعتها صارت الحجة أقوى والبرهان أجلى.

بدأ في ذكر هذه الأدلة، بعضها من النوع الأول وبعضها من النوع الثاني:

قال رحمه الله (دليلُ الخوفِ) يعني دليل كون الخوف عبادة (قوله تعالى ؟فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[آل عمران:١٧٥]) هذا الدليل فيه أن الخوف من غير الله منهي عنه، وأن الخوف من الله جل وعلا مأمور به، قال جل وعلا (فَلَا تَخَافُوهُمْ) نهي عن الخوف من غير الله، ثم قال (وَخَافُونِ) وهذا أمر بالخوف من الله جل وعلا، وما دام أن الله جل وعلا أمر بالخوف منه فإنه يصدق على الخوف إذن تعريف العبادة؛ لأنه إذ أمر بالخوف منه فمعنى ذلك أن الخوف منه محبوب له مرضي عنده، فيصدق عليه تعريف شيخ الإسلام للعبادة أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، وهذا ما دام أنه أمر به فمعناه أن الله جل وعلا يحبه، لأنه إنما يأمر شرعا بما يحبه ويرضاه، وفي هذه الآية دليل من النوع الثاني؛ وهو أن الخوف يجب أن يفرد به الله جل وعلا، قال ها هنا (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فجعل حصول الإيمان مشروطا بالخوف منه جل وعلا، قال (وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)؛ إن كنتم مؤمنين فخافوني ولا تخافوهم، وهذا فيه دليل على إفراد الله جل وعلا بهذا النوع من الخوف، والخوف الذي يجب إفراد الله جل وعلا به، ومن لم يفرد الله جل وعلا به فهو مشرك كافر هو نوع من أنواع الخوف وليس كل أنواع الخوف وهو

خوف السر؛ وهو أن يخاف غير الله جل وعلا بما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا، وهو المسمى عند العلماء خوف السر؛ وهو أن يخاف أن يصيبه هذا المخوف منه، أن يصيبه ذلك الشيء بشيء في نفسه-يعني في نفس ذلك الخائف- كما يصيبه الله جل وعلا بأنواع المصائب من غير أسباب ظاهرة ولا شيء يمكن الاحتراز منه، فإن الله جل وعلا له الملكوت كله، وله الملك وهو على كل شيء قدير، بيده تصريف الأمر، يرسل ما يشاء من الخير، و يمسك ما يشاء من الخير، يرسل المصائب، وكل ذلك دون أسباب يعلمها العبد، وقد يكون لبعضها أسباب، لكن هو في الجملة من دون أسباب يمكن للعبد أن يعلمها، يموت هذا، ينقضي عمر ذاك، هذا يموت صغيرا، ذاك يموت كبيرا، هذا يأتيه مرض، وذاك يصيبه بلاء في ماله ونحو ذلك، الذي يفعل هذه الأشياء هو الله جل وعلا، فيُخاف من الله جل وعلا خوف السر أن يصيب العبد بشيء من العذاب في الدنيا أو في الآخرة، المشركون يخافون آلهتهم خوف السر؛ أن يصيبهم ذلك الإله، ذلك السيد، ذلك الولي، أن يصيبهم بشيء كما يصيبهم الله جل وعلا بالأشياء، فيقع في قلوبهم الخوف من تلك الآلهة من جنس الخوف الذي يكون من الله جل وعلا، يوضح ذلك أن عُبَّاد القبور وعباد الأضرحة وعباد الأولياء يخافون أشد الخوف من الولي أن يصيبهم بشيء إذا تُنُقِّص الولي، أو إذا لم يُقَم بحقه.

وقد حُكِيَ لي في ذلك حكاية من أحد طلبة العلم، أنه كان مجتازا مرة مع سائق سيارة أجرة ببلدة (طنطا) المعروفة في مصر التي فيها قبر البدوي؛ والبدوي عندهم معظم، وله من الأوصاف ما لله جل وعلا؛ يعني يعطونه من الأوصاف بعض ما لله جل وعلا، هم اجتازوا بالبلدة فأتى صغير –متوسط في السن– يسأل هذا؛ يسأله صَدقة، فأعطاه شيئا، فحلف له بالبدوي أن يعطيه أكثر، وكان من العادة عندهم أنه من حلف له مثل ذلك فلا يمكن أن يرد، فلا بد أن يعطي؛ لأنه يخاف أن لا يقيم لذلك الولي حقه، فقال هذا –وهو من طلبة العلم والمتحققين بالتوحيد– فقال: هات ما أعطيتك. فظن ذلك أنه يريد أن يعطيه زيادة، فأخذ ما أعطاه وقال: لأنك أقسمت بالبدوي فلن أعطيك شيئا، لأن القسم بغير الله شرك. هذا مثال للتوضيح ليس من باب القصص لكنه يُوضِح المراد من خوف السر وضوحا تاما. سائق الأجرة علاهُ الخوف في وجهه، ومضى سائقا وهو يقول: أُسْتُر أُسْتُر، أُسْتُر أُسْتُر. فسأله ذاك قال: تخاطب من؟ قال: أنت أهنت البدوي، وأنا أخاطبه –أي أدعوه– بأن

يستر، فإن لم...، فإننا نستحق مصيبة، وسيرسل علينا البدوي مصيبة؛ لأننا أهناه. وكان في قلبه خوف بحيث أنه مشوا أكثر من مئة كيلو ولم يتكلم إلا بأُستر، أستر. يقول فلما وصلنا سالمين معافين توجهت له فقلت: يا فلان أين ما زعمت؟ وأين ما ذكرت من أن هذا الإله الذي تألهونه أنه سيفعل ويفعل؟ فتنفس الصعداء وقال: أصل السيد البدوي حليم !!!

هذه الحالة هي حالة تعلق القلب بغير الله، الذي يكون عند الخرافيين، خوف من غير الله خوف السر، البدوي ميت في قبره، يخشى أن يرسل إليه أحد يقسمه، أو مصيبة في سيارته أو في نفسه، هذا هو خوف السر، وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله جل وعلا ؟وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ؟[الأنعام:٨١]، قال (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) لأنهم يخافون آلهتهم هذا النوع من الخوف، لهذا تجد قلوبهم معلقة بآلهتهم لأنهم يخافونهم خوف السر، وقال جل وعلا مخبرا عن قول قوم هود حيث قالوا لهود ؟إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ؟[هود:٥٤]، فهم خافوا الآلهة، عندهم أن الآلهة تصيب بسوء، وكان الواجب على حد زعمهم أن يخاف هذا من الآلهة أن تصيبه بسوء، فقالوا له (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يعني بمصيبة في نفسك اختل عقلك، أو اختلت جوارحك أو نحو ذلك، هذا النوع من الخوف هو الذي إذا صرف لغير الله جل وعلا فهو شرك أكبر.

هناك أنواع من الخوف خوف جائز وهو الخوف الطبيعي: أن يخاف من الأسباب العادية التي جعل الله فيها ما يخاف ابن آدم منه، أن يخاف من النار أن تحرقه، يخاف من السبع أن يعدو عليه، من العقرب أن تلدغه، يخاف من ذي سلطان غشوم أن يعتدي عليه ونحو ذلك، هذا النوع خوف طبيعي من الأشياء، لا يُنقص الإيمان؛ لأنه مما جبل الله جل وعلا الخلق عليه.

هناك نوع، خوف محرم، هذا القسم الثالث لأن الخوف أربعة أقسام(٨)، قسم منه شركي؛ شرك أكبر، وقسم منه جائز، وقسم محرم وهو أن يخاف من الخلق في أداء واجب من واجبات الله، يخاف من الخلق في أداء الصلاة، يخاف إن قام للصلاة من مجلس يقطنه كثيرون أن يعاب، فإذا خاف هذا الخوف، فإن هذا الخوف يكون محرما، وفي مثله نزل قوله تعالى ؟الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

الْوَكِيلُ؟[آل عمران:١٧٣]، وفي قوله؟فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[آل عمران:١٨٥]، لأن الواجب أن يُجَاهَدوا، فإذا خافوهم عن أداء ذلك الواجب، خوف ليس بمأذون به في الشرع وإنما هو من تَسْوِيل الشيطان كما قال ؟إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ؟[آل عمران:١٧٥]، هذا النوع من الخوف محرم، لا يجوز؛ لأن فيه تفويت فريضة من فرائض الله لأجل الخوف، خاف من غير الله لكنه ليس خوف السر، وإنما هو خوف ظاهر، وهذا محرم من المحرمات.

هذه أقسام ثلاثة مشهورة، وبها تجمع مسائل أقسام الخوف، والشرك منه وما ليس بشركي منه، وهذه المسألة مما يكثر فيها اضطراب طلاب العلم؛ لأنه ليس عندهم ضبط، للخوف الذي يحصل به إن صُرف لغير الله جل وعلا الشرك، الذي يوصف به من قام به أنه مشرك، أيُّ خوف هذا؟ هو خوف السِّر، ووصفه وضبط حاله هو ما ذكرته لك من قبل، فكن منه على ذكر وبينة في فهمك لهذه المسألة العظيمة.

الخوف عبادة قلبية موردها القلب، قد يظهر أثره على الجوارح.

قال بعد ذلك (ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى ؟فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا؟[الكهف:١١٠])

الرجاء أيضا عبادة قلبية، حقيقتها الطمع بالحصول على شيء مرجو، الرغبة بالحصول على شيء، يرجو أن يحصل على هذا الشيء.

فإن كان الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء فإن هذا رجاءٌ طبيعي؛ أرجو أن تحضر لأنه يمكنك أن تحضر، أرجوك أن تفعل، يمكنك أن تفعل، هذا الرجاء ليس هو رجاء العبادة.

النوع الثاني هو رجاء العبادة، وهو أن يطمع في شيء لا يملكه إلا الله جل وعلا، أن يطمع في شفائه من مرض، يرجو أن يشفى، يرجو أن يدخل الجنة وينجو من النار، يرجو أن لا يصاب بمصيبة ونحو ذلك، هذه أنواع من الرجاء، لا يمكن أن تُرجى وتُطلب وتُؤمل إلا من الله جل وعلا، وهذا هو معنى رجاء العبادة.

فالرجاء منه ما هو رجاء عبادة ومنه ما هو رجاء ليس من العبادة، والمقصود ها هنا هو رجاء العبادة.

قال جل وعلا (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)

هذا النوع من الرجاء امتدح الله جل وعلا من قام به، قال (مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) فدل على أن هذا الرجاء ممدوحٌ مَنْ رجاهُ، وإذا كان ممدوحا قد مدحه الله جل وعلا فهو مرضي عند الله جل وعلا، فيصدق عليه حد العبادة من أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، وهذا -من نص هذه الآية- داخل فيما يرضاه الله جل وعلا، لأنه أثنى على من قام به ذلك الرجاء، وقوله هنا (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ)، (اللقاء) فُسر بالملاقاة، وفُسر بالمعاينة، وفُسر بالرؤية؛ رؤية الله جل وعلا، (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) لملاقاة الله جل وعلا والرجوع إليه، أو فمن كان يرجو رؤية ربه، لأن اللقاء يحتمل هذا وذاك وهما تفسيران مشهوران عن السلف.

قال بعدها (ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى ؟وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[المائدة:٢٣])

التوكل أيضا من العبادات القلبية، حقيقته أنه يجمع شيئين:

الأول: تفويض الأمر إلى الله جل وعلا.

الثاني: عدم رؤية السبب بعد عمله.

والتفويض وعدم رؤية السبب شيئان قلبيان، فالعبد المؤمن إذا فعل السبب، وهو جزء بما تحصل به حقيقة التوكل، فإنه لا يلتفت لهذا السبب، لأنه يعلم أن هذا السبب لا يُحَصِّل المقصود، ولا يحصل المراد به وحده، وإنما قد يحصل المراد به وقد لا يحصل؛ لأن حصول المرادات يكون بأشياء:

* منها السبب.

* ومنها صلاحية المحل.

* ومنها خلو الأمر من المضاد.

فثَم ثلاثة أشياء تحصل بها المرادات:

أول سبب: نعلمِ بمَا خلق الله جل وعلا خلقه عليه أن هذا السبب يُنتج المسبَّب؛ النتيجة.

الثاني: صلاحية المحل لقيام الأمر به؛ الأمر المراد.

الثالث: خلو الأمر أو المحل من المضاد له.

مثاله الدواء، النبي ﷺ أمر بالدواء فقال «تداووا عباد الله» فالمسلم الموحد يتناول الدواء باعتباره سببا للشفاء، لكنه ليس سببا أو ليس علة وحيدة، بل لا يحصل الشفاء بهذا وحده،

وإنما لابد من أشياء أخر، منها أن يكون المحل الذي هو داخل الإنسان–باطن متناول الدواء– يكون صالحا لقبول ذلك الدواء، وهذا معنى قولي: أن يكون المحل صالحا. أيضا من العلل التي يكمل بها المراد أن يكون السبب هذا الذي عمل خاليا من المعارض له، قد يكون يتناول شيء وفي البدن ما يفسد ذلك الشيء، فلا يصل إلى المقصود.

* ومنها وهو الأعظم أن يأذن الله جل وعلا بأن يكون السبب مؤثرا منتجا للمسبّب، وهذا يعطيك أن فعل السبب ليس كافيا في حصول المراد.

من الأمثلة التي نُمَثِّلُ بها كثيرا في هذا الباب غير مثال الدواء، رجل رام سفرا على سيارة، فأعد العدة، وفعل أسباب السلامة جميعا؛ من رعاية مثلا للكابحات (الفرامل)، ومن رعاية للإطارات ونحو ذلك، فعل أسباب السلامة جميعا، وسار على مهل، هذا كل ما يمكنه أن يفعله، لكن هل هذا وحده يحصل السلامة؟ لا يحصل السلامة هذا وحده، فهناك من قد يكون معتديا عليه، تأتيه سيارة كبيرة، هو قد بذل أسباب السلامة، وتأتيه في طريقه، ويصاب بالمصيبة من جرّاء ذلك، فهو فعل ما يمكنه أن يفعله، لكن هناك أشياء بيد الله جل وعلا تتم السلامة باجتماعها، وليس بهذا السبب الوحيد الذي عمله العبد، لا يجوز للعبد أن يتخلى عن بذل السبب لأن بذل السبب من تمام التوكل ولكن لا يُلتفت إلى السبب ولهذا قال علماؤنا –علماء التوحيد من أئمة السلف فمن بعدهم–: الالتفات إلى الأسباب قدح في التوكل. الالتفات إلى الأسباب قدح في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا قدح في العقل، إذا التفت القلب إلى السبب وأنه ينتج المسبب هذا قدح في التوحيد.

لهذا نقول التوكل هو ما يجمع شيئين أولا تفويض الأمر إلى الله جل وعلا، لأن الله هو الذي بيده الملك. الثاني عدم رؤية السبب الذي فُعل.

إذن لا بد من فعل السبب، ويقوم بالقلب عدم رؤية لهذا السبب أنه ينتج المقصود وحده، وإنما يعلم أنه جزء مما ينتج المقصود، والباقي على الله جل وعلا ثم يفوض الأمر لله جل وعلا، هذا ينتج لك أن التوكل عبادة قلبية محضة، ولهذا صار صرفه لغير الله جل وعلا شرك، بمعنى أن يفوض الأمر لغير الله جل وعلا، كما يقول بعض مشايخ الصوفية لبعض مريديهم: إذا أُصبت بمصيبة فاذكرني فإني أخلِّصك منها. أذكرني يقم بالقلب ذلك المتذكَّر، ذلك المذكور، وإذا قام به أنه يخلصه من ذلك الشيء، فمعناه أنه فوض الأمر إليه، وصار متوكلا

على غير الله جل وعلا، وهذا هو حقيقة ما يفعله المشركون في الجاهلية ومن شابههم ممن بعدهم، (ودليل التوكل قوله تعالى ؟وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ؟[المائدة:٢٣])، ففي هذه الآية الأمر بالتوكل، وما دام أنه أمر به فهو عبادة؛ لأن العبادة ما أُمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي، وما دام أنه أمر به فهو راض له أن يُتوكل عليه، وهذا معناه كونه عبادة، ثم أيضا في هذا الدليل أنه جعل التوكل شرطَ الإيمان، فقال (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) فمعنى ذلك أنه لا يحصل الإيمان إلا بالتوكل على الله وحده. أيضا هنا قدم الجارّ والمجرور فقال (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا) وتقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، وهنا يفيدهما؛ يفيد الاختصاص، ويفيد القصر والحصر، فمعنى هذه الآية بقوله (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا) يعني أحصروا توكلكم في الله، اقصروا توكلكم على الله إن كنتم مؤمنين، خُصُّوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين، وهذه الآية، هذا الدليل مركب من نوعي الدليل الذَين ذكرتهما لك من قبل، النوع الأول: إثبات أن هذا الأمر عبادة، الثاني: إثبات أن هذه العبادة يجب صرفها لغير الله جل وعلا بدليل خاص، فهو المستفاد من قوله (فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) وكذلك في قوله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) هذا فيها الثناء على من يتوكل على الله، ففيها الدليل على أن التوكل على الله عمل يحبه الله ويرضاه، ومعنى ذلك أنه من أنواع العبادات، هذا هو توكل العبادة.

وهناك شيء آخر ليس من توكل العبادة، وهو التوكيل وهو المعروف في باب الوكالة عند الفقهاء، وكلت فلانا في أمري، (ووكل علي) كما جاء في الحديث «ووكل علي عقيلا في خصومة» هذا من باب الوكالة، وهو شيء آخر غير التوكل، التوكيل والوكالة باب آخر، أما التوكل فهو عبادة قلبية، يضبط ذلك أن الوكالة فيها المعنى الظاهر، فيها شيء ظاهر، أما التوكل فهو عمل قلبي.

على كل حال، لهذه الجمل مزيد تفصيل لكن المقام يضيق عن تفصيلات ما يتعلق بهذه الأنواع من العبادات، وتفصيلها في كتاب التوحيد؛ لأن كل واحدة منها عُقد لها باب في كتاب التوحيد.

قال رحمه الله تعالى (ودليلُ الرَّغبةِ والرَّهبةِ والخشوع قوله تعالى ؟إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ؟[الأنبياء:٩٠]) هذه الآية فيها المسارعة

للخيرات، الدعاء رغبا ورهبا ووصفُهم بأن حالهم أنهم كانوا خاشعين لله، ففيها أنواع من العبادات، خصّ الشيخ منها بالاستدلال الرغبة والرهبة والخشوع، ووجه الاستدلال من الآية أن الله جل وعلا أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سورة الأنبياء، التي هذه الآية في أواخرها بقوله (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا)، يعني ويدعوننا راغبين، ويدعوننا ذوي رغبة وذوي رهبة وذوي خشوع، وهذا في مقام الثناء عليه؛ الثناء على الأنبياء والمرسلين، وما دام أنه أثنى عليهم فإن هذه العبادات من العبادات المرضية له فتدخل في حد العبادة.

الرغبة رجاء خاص، والرهبة خوف خاص وَجَلٌ خاص، والخشوع هو التطامن والذل، قال تعالى ؟وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً؟[فصلت:٣٩]، يعني ليس فيها حركة للنبات، ليس فيها حياة؛ متطامنة ذليلة ؟فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ؟(٩)[فصلت:٣٩] ، فالخشوع سكون فيه ذل وخضوع، هذا الخشوع الذي هو نوع من أنواع العبادة، وتلك الرغبة وتلك الرهبة هذه من العبادات القلبية، التي يظهر أثرها على الجوارح.

لو تأملت أو رأيت حال المشركين عند آلهتهم، حال عباد القبور -مثلا- عند أوثانهم، عند المشاهد، لوجدت أنهم في خشوع، ليسوا عليه في مساجد لله ليس فيها قبر ولا قبة، وهذا مشاهد، فإنه يكون عنده وَجَلٌ خاص، رهبة، ومزيد رجاء هو الرغبة، وخشوع وتطامن وعدم حركة وسكون في الجوارح والأنفاس وحتى في الألحاظ في الرؤية، وهذا كله مما لا يسوغ أن يكون إلا لله، لأن المسلم في صلاته إذا صلى فإنه يكون يقوم به الرغبة، يقوم به الرهبة المستفادة من قوله تعالى ؟الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ؟[الفاتحة:٣-٤]، (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) تفتح له باب الرغبات وباب الرجاء، و(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) يفتح عليه باب الرغبة، باب الخوف من الله جل وعلا، فتأتي عبادته حال كونه راغبا راهبا، والخشوع سكونه وخضوعه وعدم حراكه في صوته وفي عمله، هذا لله جل وعلا في عبادة الصلاة، والخشوع يكون بالصوت، ويكون بالأعمال كما قال جل وعلا ؟وَخَشَعَتْ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا؟[طه:١٠٨]، فالهمس لا ينافي الخشوع في الصوت، وهذه حال المصلي حين يناجي ربه جل وعلا، فهو في حال رغبة ورجاء، وفي حال رغبة ورهبة، وفي حال خشوع لربه جل وعلا، يزيد هذا في القلب، وربما غلب عليه حتى نال المقامات العالية في تلك العبادة، وربما

قلَّ وَضَعُف حتى لم يُكتب من صلاته إلا عشرها أو إلا تسعها، هذا لأنه من أنواع العبادات التي يحبها الله جل وعلا ويرضاها.

فإذن وجه الاستدلال: أن الله جل وعلا أثنى على أولئك الأنبياء، وعلى أولئك المرسلين؛ لأنهم ذووا رغب، وذووا رهب، وذووا خشوع لله جل وعلا، وبالأخص هذا الدليل العام، وبالدليل الخاص في الخشوع وحده، قال هنا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) وكما قدمت أن الجارّ والمجرور هنا قدم على ما يتعلق به وهو اسم الفاعل (خاشع)؛ لأن الجارّ والمجرور -كما أسلفت لك- يتعلق بالفعل أو ما فيه معنى الفعل فهو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو ما أشبهه من مصدر ونحو ذلك، وهنا قال (كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) أصل سَبْقِ الكلام: كانوا خاشعين لنا. فلما قدم ما حقه التأخير كان ذلك مفيدا للاختصاص وللحصر وللقصر كما هو معلوم في علم المعاني.

قال (ودليلُ الإنابة قوله تعالى ؟وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ؟[الزمر:٥٤]) وحقيقة الإنابة الرجوع؛ رجوع القلب عما سوى الله جل وعلا إلى الله جل وعلا وحده، والإنابة إذ كان معناها الرجوع، فإن القلب إذا توجه إلى غير الله جل وعلا قد يتعلق به تعلقا، بحيث يكون ذلك القلب في تعلقه تاركا غير ذلك الشيء، وراجعا ومنيبا إلى ذلك الشيء، كما يحصل عند الذين يتعلقون بغير الله؛ تتعلق قلوبهم بالأموات والأولياء أو بالأنبياء والرسل أو بالجن ونحو ذلك، فتجد أن قلوبهم قد فُرِّغَت إما على وجه التمام، أو على وجه كبير، أن فُرِّغَت من التعلق إلا من ذلك الشيء، هذا الذي يسمى الإنابة، أَنَابَ رجع، ترك غيره ورجع إليه، وهذا الرجوع ليس رجوعا مجردا، ولكنه رجوع للقلب مع تعلقه ورجائه، فحقيقة الإنابة أنها لا تقوم وحدها، القلب المنيب إلى الله جل وعلا إذا أناب إليه فإنه يرجع، وقد قام به أنواع من العبودية منها الرجاء والخوف والمحبة ونحو ذلك، فالمنيب إلى الله جل وعلا هو الذي رجع إلى الله جل وعلا عما سوى الله جل وعلا، ولا يكون رجوعه هذا إلا بعد أن يقوم بقلبه أنواع من العبوديات أعظمها المحبة والخوف والرجاء؛ محبة الله، الخوف من الله، الرجاء في الله، فإذن الإنابة صارت عبادة بهذا الدليل وسيأتي بيان وجه الاستدلال، وأيضا لأنها شيء متعلق بالقلب، ولأنها لا تقوم بالقلب إلا مع أنواع أخر من العبوديات، ولهذا استدل له بقوله تعالى (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) ووجه الاستدلال أن الله جل وعلا قال (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ) فأمر

بالإنابة، وإذ أمر بها فمعنى ذلك أنه يحبها ويرضاها ممن أتى بها، فهي إذن داخلة في تعريف العبادة سواء عند الأصوليين أو عند شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وهذا الدليل العام على كونها من العبادة، ما الدليل على كون هذه العبادة يجب إفراد الله جل وعلا بها؟ فإن في هذا: الأمر بالإنابة إلى الله جل وعلا. ما دليل كون هذه العبادة وهي الإنابة لا يجوز ولا يسوغ أن يتوجه بها إلى غير الله جل وعلا؟ هناك دليل عام ألا وهو أنه إذ ثبت أنه عبادة، فالأدلة العامة كقوله تعالى ؟وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا؟[الجن:١٨]، وقوله ؟وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ؟[المؤمنون:١١٧]، وغير ذلك، وقوله عليه الصلاة والسلام «الدعاء هو العبادة»، «الدعاء مخ العبادة» ونحو هذه الأدلة، تدل على أن أي نوع من العبادة لا يجوز أن يتوجه به إلى غير الله، ومن توجه به إلى غير الله جل وعلا فقد كفر، فهذا الاستدلال العام، وهناك دليل خاص في الإنابة أنه يجب إفراد الله جل وعلا بالإنابة، وذلك في قوله تعالى ؟ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ؟[هود:٨٨](١٠) في سورة هود (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) قالها شعيب عليه السلام، وأخبر الله جل وعلا بها عن شعيب، في معرض الثناء عليه، قال (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ)؛ عليه وحده لا غير توكلت، فوَّضت أمري وأخليت قلبي من الاعتماد على غيره، ومجيء الجارّ والمجرور متقدم على ما يتعلق به وهو الفعل، دل على وجوب حصرها وقصرها واختصاصها بالله جل وعلا، ثم قال وإليه أنيب، فقال إليه وحده لا إلى سواه أنيبُ؛ أرجعُ محبًّا راجيًا خائفًا عن كل ما سوى الله جل وعلا إلى الله وحده، فلما قدم الجارّ والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل، دل على أن هذه العبادة وهي الإنابة مختصة بالله جل وعلا، وهذا أتى في معرض الثناء على شعيب، وهناك أدلة أخرى.

فإذن هذه المسألة مع غيرها، أحيانا يورد الشيخ دليلا عاما على كونها من العبادة، وأحيانا يورد دليلا عاما على كونها عبادة وخاصا في أنه يجب إفراد الله جل وعلا بها، والحمد لله ما من مسألة من مسائل العبادة القلبية أو العملية، عمل الجوارح أو عمل القلب أو عمل اللسان، ما من مسألة إلا وثَمّ دليل عام على أنها من العبادة، وثم دليل خاص على أن من صرفها لغير الله جل وعلا فقد أشرك، وهذا والحمد لله بيِّن ظاهر، وهذا التوحيد في بيانه ووضوحه وظهور براهينه وأدلته وآياته مما هو بمكان واضح ظاهر، لا يكون معه بعد ذلك

حجة للمخالفين، الذين تنكبوا هذا الطريق، ولم يسلموا وجوههم لله جل وعلا، ويخلصوا دينهم لله جل وعلا وحده.

بعد الإنابة ذكر الاستعانة حيث قال (ودليل الاستعانة قوله تعالى ؟إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ؟[الفاتحة:٥]) هذا دليل عام في العبادات جميعا حيث قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) و(إِيَّاكَ)، كما هو معلوم ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم، أصل الكلام (نَعْبُدُ إِيَّاكَ) ومن المعلوم أن المفعول به يتأخر عن فعله، فإذا قُدّم كان ثم فائدة في علم المعاني من علوم البلاغة ألا وهي أنه يُفيد الاختصاص، وطائفة من البلاغيين يقولون يفيد الحصر والقصر، وعلى العموم الخطب يسير يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر والقصر، هنا أفاد أن العبادة من خصوصيات الله جل وعلا؛ خاصة بالله جل وعلا. (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) يعني لا نعبد إلا أنت، ثم قال بعدها وهو مراد الشيخ بالاستدلال (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وهذه الآية من سورة الفاتحة؛ السورة العظيمة التي هي أم القرآن، التي يرددها المسلمون في صلواتهم، فيها إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وعقد العهد والإقرار على النفس بأن القائل لتلك الكلمات لا يعبد إلا الله جل وعلا. قال (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) كذلك لا يستعين إلا بالله جل وعلا، وجه الاستدلال أنه قدم الضمير المنفصل الذي هو في محل نصب مفعول به على الفعل الذي هو العامل فيه، وتقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر والقصر، فإذن هنا أثبت أنها عبادة، وأثبت أنه لا يجوز صرفها لغير الله إذ هي مختصة بالله جل وعلا.

وها هنا قال العلماء؛ شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم: إن عبادة غير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله. مع أن جنس الاستعانة قد يكون من الربوبية يعني طلب الإعانة هو طلب لمقتضيات الربوبية، لأن الله جل وعلا هو مدبر الأمر، إياك نعبد هذا فيه معنى الألوهية، وإياك نستعين طلب الإعانة من الله؛ استعانة المسلم بالله، هذا فيها طلب لمقتضى الربوبية، ومن حيث كون الاستعانة طلبا صارت عبادة، ولهذا قال إن عبادة غير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، وهذا لأجل أن العبادة إذا صرفت لغير الله جل وعلا فإنها يكون معها تحول في القلب الذي هو المضغة إذا صلحت -صلح العمل كله- صلح الجسد كله، إذا توجه بقلبه لغير الله في عبادته هذا صار قلبه فاسدا، ومقتضيات الربوبية أحيانا تطرأ، ولهذا الإشراك في الإلهية في بعض أوجهه أعظم من إنكار بعض أفراد الربوبية ألم تر ذلك

الرجل من بني إسرائيل الذي قال في وصيته إن مت فأحرقوني ثم ذروني في البحر فوالله إن قدر الله علي ليعذبني عذابا لم يعذبه أحدا من العالمين. وغفر الله جل وعلا له لأنه شك في بعض أفراد القدرة والتي هي راجعة إلى شيء من معنى الربوبية كذلك قال جل وعلا عن حواريي عيسى؟هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنْ السَّمَاءِ؟[المائدة:١١٢]، وأُجيبوا ولم يؤاخذوا بكلمتهم تلك؛ لأنها شك في بعض أفراد القدرة، وهذا راجع إلى شك في بعض مقتضيات الربوبية، أما العبادة لغير الله جل وعلا فهي التي لا يُقبل من أحد أن يصرف شيئا منها لغير الله، قال جل وعلا ؟إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ؟[النساء:١١٦]، وعيسى عليه السلام قال لقومه؟إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ؟[المائدة:٧٢] وقال جل وعلا لعيسى في آخر السورة؛ سورة المائدة: ؟يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ؟[المائدة:١١٦-١١٧] إلى آخر الآيات، المقصود من هذا أن ما قاله شيخ الإسلام وجماعة، أن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، هذا صحيح ومتّجه، ولهذا قدمت في سورة الفاتحة العبادة على الاستعانة؛ لأنها أعظم شأنا وأجل خطرا لأنها هي التي وقع فيها الابتلاء، ولهذا كان حريا بأهل الإيمان أن يعتنوا بأمر إخلاص القلب لله جل وعلا، وتوجُّه المرء في عباداته وعبودياته لله وحده دون ما سواه.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى (وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله») وجه الاستدلال: أن الأمر بالاستعانة بالله رُتِّبَ على إرادة الاستعانة، قال (إذا استعنت فاستعن بالله) يعني إذا كنت متوجها للاستعانة فلا تستعن بأحد إلا بالله؛ لأن الأمر جاء في جواب الشرط، قال (إذا استعنت)، (إذا) هذه شرطية غير جازمة، و(استعنت) هذا فعل الشرط، (إذا استعنت) إذا حصل منك حاجة للاستعانة فاستعن -هذا الأمر- فاستعن بالله، لما أمر به علمنا أنه من العبادة ثم لما جاء في جواب الشرط صار مُتَرَتِّبًا مع ما قبله لما يفسد الحصر والقصر.

ما معنى وإياك نستعين؟ ما حقيقة الاستعانة؟ الاستعانة طلب العون.

* لأن كثيرا فيما أوله السين والتاء يدل على الطلب، استعان، استغاث، استسقى ونحو

ذلك، استعان: يعني طلب الإعانة. استغاث: طلب الغوث. استعاذ: طلب العوذ. استقام: ما فيها طلب، هذه من النوع الثاني. استسقى: طلب السقيا. ؟وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ؟[البقرة:٦٠] يعني وإذ طلب موسى السقيا لقومه، هذا نوع.

* النوع الثاني؛ تأتي استفعل ويراد بها الفعل بدون طلب، كقوله واستغنى الله، وغني الله، والله غني حميد في أمثال ذلك

المقصود أن كثيرا ما يأتي استفعل بطلب الفعل، هنا استعان طلب العون، استعاذ طلب العوذ، استغاث طلب الغوث، وهكذا.

فإذن إذ كان جميعا في معنى الطلب، أو فيها معنى الطلب، يصلح دليلا لها كل ما فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بما يحتاجه المرء في طلباته، الدعاء؛ جميع أدلة الدعاء تصلح لما كان فيه نوع طلب؛ أي دليل فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بالدعاء يصلح دليلا بإفراد الله جل وعلا بأنواع الطلب ؟وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ؟[غافر:٦٠]، يصلح دليلا للاستغاثة، والاستعاذة والاستعانة ونحو ذلك.

بعد ذلك قال (ودليل الاستعاذة قوله تعالى ؟قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١)مَلِكِ النَّاسِ؟[الناس:١-٢]) الاستعاذة كما ذكرت لك هي طلب العوذ، وأعوذ: معناها ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرز، تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، معناها ألتجئ وأعتصم وأتحرز بالله من شر الشيطان الرجيم، فإذن الاستعاذة طلب العوذ طلب المعتصَم، طلب الحِرز، طلب ما يعصم، طلب ما يحمي، هذه الاستعاذة. وإذن هي من حيث كونها طلب، هذه ظاهرة، ومن حيث كونها فيها الاعتصام والالتجاء والتّحرُّز صارت عبادة قلبية، ولهذا قال كثير من أهل العلم: إن الاستعاذة عبادة قلبية.

وطلب العوذ -نعم- يكون باللسان، بقول أحد لآخر: أعوذ بك، أعذني ونحو ذلك. ولكنها هي تقوم بالقلب؛ يعني يقوم بالقلب الاعتصام بهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب الالتجاء لهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب التحرز بهذا المطلوب منه العوذ، فإذا قام بالقلب هذه الأشياء وهذه الأمور صار مستعيذا، ولو لم يُفصح لسانه بطلب العوذ، يعني أنها عبادة قلبية، الاستعاذة عبادة قلبية؛ لأن حقيقتها طلب العوذ، فإذا قام بالقلب اعتصامه بالله احترازه وتحرُّزُه بالله، التجاءه إلى الله من شر من فيه شر، صار ذلك استعاذة، قد يُفصح

اللسان عنها، يطلب اللهم أعذني من مُضِلاَّت الفتن، بقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ برب الفلق. ونحو ذلك، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، يعني ألتجئ وأعتصم وأتحرز بكلمات الله الكونية التامة التي لا يلحقها نقص من شر كل من فيه شر، مما خلقه الله جل وعلا ونحو ذلك.

لأجل هذا المعنى قال جمع من أهل العلم: إنه لا يجوز أن يقول قائل أعوذ بالله ثُم بك. وذلك لأن العوذ عبادة قلبية، وهذا هو الصحيح، فإن العوذ إذا قيل أعوذ بالله ثم بك، الاستعاذة عمل قلبي بحت، لهذا لا يصلح أن يتعلق بغير الله جل وعلا.

وقال آخرون من أهل العلم: الاستعاذة طلب للَّجَئ والاحتراز والاعتصام، وقد يكون المطلوب منه يمكن ويملك أن يعطي هذا معتصما، وأن يقيه شرا، مثلا: يأتي واحد من الناس إلى قوي من الناس إلى كبير، ملك، أو أمير أو رئيس قبيلة أو نحو ذلك، فيقول له أعوذ بك، أو أعوذ بالله ثم بك من شر هذا الذي أتاني؛ رجل مثلا يأتي يطلبه بشيء، يقولون هذا يمكن أن يكون؛ يعني أن يقيه شرا أن يمنعه ممن يريد به سوءا، يمكن أن يكون ممن يقدر عليه البشر، فإذا كان بهذا المعنى يجوز أن يقول أعوذ بك بمخلوق، أعوذ بالله ثم بك بمخلوق.

ولكن قَول أعوذ بك، هذا أبعد في الإجازة، وأما قول أعوذ بالله ثم بك، فهذا من راع المعنى الظاهر، وإمكانَ المخلوق أن يعيذ صححه وقال لا بأس أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ولكن الأظهر أن العوذ عبادة قلبية، وأنها إنما تكون بالله جل وعلا، وهذا على نحو ما مرنا بقوله: توكلت على الله ثم عليك ونحو ذلك، فمن أهل العلم من يجيز مثل هذه الألفاظ مع أن أصلها عمل قلبي؛ عبادة قلبية، مراعيا الظاهر ما يراعي تعلق القلب، مُراعيا الحماية الظاهرة، مُراعيا التحرز الظاهر، مُراعيا الاعتصام الظاهر، ومنهم من لم يجزْها مراعيا أنها عبادة قلبية، وأنك إذا أجزتها في الظاهر فإنه قد يكون تبعا لذلك الإجازة تعلق القلب عند من لا يفهم المراد.

وعلى العموم هما قولان مشهوران حتى عند مشايخنا المفتين في هذا الوقت ومن قبل.

يقابل الاستعاذة التي هي طلب العوذ، لأن طلب العوذ من شيء فيه شر، لهذا قال تعالى ؟قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١)مَلِكِ النَّاسِ(٢)إِلَهِ النَّاسِ(٣)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ؟[الناس:١-٤]، فالاستعاذة مما فيه شر. وأما اللّياذ، واللَّوذ فإنه مما فيه خير، قال: ألوذ بك. يعني إذا

كنت مؤملا خيرا، وإذا كنت خائفا من شر تقول لربك جل وعلا: أعوذ بك، وإذا كنت مؤملا خيرا تقول ألوذ بك وهكذا، ثم ذكر الاستغاثة، أولا الدليل، قال (دليل الاستعاذة قوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)) وجه الاستدلال أنه أمر نبيه الكريم أن يستعيذ برب الناس، ما دام أنه أمر به فهو عبادة قلبية، لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه، فذلك قوله تعالى ؟ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؟[النحل:٩٨] أمر بالاستعاذة به فدل على أنها عبادة.

قال الشيخ رحمه الله (ودليل الاستغاثة قوله تعالى ؟إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ؟[الأنفال:٩]) الاستغاثة: طلب الغوث، والغوث يُفسر بأنه الإغاثة، المدد، النصرة ونحو ذلك، فإذا وقع مثلا أحد في غرق ينادي أَغثني أغثني، يطلب الإغاثة، يطلب إزالة هذا الشيء، يطلب النصرة.

الاستغاثة عبادة؛ وجه كونها عبادة أن الله جل وعلا قال هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) وجه الاستدلال أنه أتى بها في معرض الثناء عليهم، وأنه رتّب عليها الإجابة، وما دام الله جل وعلا رتّب على استغاثتهم به إجابته جل وعلا دل على أنه يحبها، وقد رضيها منهم، فنتج أنها من العبادة، و(إِذْ) هنا بمعنى حين (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) يعني حين (تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)، وتلاحظ أنّ الآية هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) وقبلها (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) الاستغاثة -كما ذكرت لك- والاستعاذة والاستعانة ونحو ذلك، تتعلق بالربوبية كثيرا، هنا (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) قال قبلها (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) لأن حقيقتها من مقتضيات الربوبية، من الذي يُغيث؟ هو المالك، هو المدبر، هو الذي يُصرِّف الأمر، وهو ربّ كل شيء جل وعلا. الاستغاثة عمل ظاهر، ولهذا يجوز أن يستغيث المرء بمخلوق، لكن بشروطه، وهي أن يكون هذا المطلوب منه الغوث، أن يكون حيا، حاضرا، قادرا، يسمع، فإذا لم يكن حيا كان ميتا صارت الاستغاثة بهذا الميت كفرا، ولو كان يسمع ولو كان قادرا، مثل الملائكة أو الجن، قلنا أن يكون حيا حاضرا قادرا يسمع، صحيح؟ طيّب، إذا لم يكن حيا كان ميتا، ولو اعتقد المستغيث أنه يسمع وأنه قادر، فإنه إذ كان ميتا فإن الاستغاثة به شرك. الأموات جميعا لا يقدرون على الإغاثة لكن قد يقوم بقلوب المشركين بهم أنهم يسمعون، وأنهم أحياء مثل حال الشهداء، وأنهم يقدرون مثل ما يزعم في حال النبي عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك، فنقول

إذ كان ميتا فإنه لا يجوز الطلب منه، قالوا فما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم ثم استغاثتهم بنوح إلى آخر أنهم استغاثوا بنبينا مُحَمَّد ﷺ، نقول هذا ليس استغاثة بأموات، يوم القيامة هؤلاء أحياء، يُبعث الناس ويُحيَوْن من جديد، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى. فهي استغاثة بمن؟ بحي، حاضر، قادر، يسمع. بهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القيامة حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا، والاستغاثة بغير الله جل وعلا أعظم كفرا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله جل وعلا شرك، إذن فالشروط:

* أن يكون حيا: إذا كان ميّتا لا يجوز الاستغاثة به.

* أن يكون حاضرا: إذا كان غائبا لا يجوز الاستغاثة به؛ حي قادر لكنه غائب. مثل لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر، حي نعم، وقادر قد يطلب منه ما يقدر عليه، ولكنه ليس بحاضر. مثل أن يطلب من حي قادر من الناس؛ يَطلب من ملك يملك أو أمير يستغيث به أغثني يا فلان، وهو ليس عنده، مع أنه لو كان عنده لأمكن بقوَّته، لكنه لما لم يكن حاضرا صارت الاستغاثة –تعلُّق القلب– بغير حاضر هذا شرك بالله جل وعلا.

* أن يكون قادرًا: إذا لم يكن قادرا فالاستغاثة به شرك، ولو كان حيا حاضرا يسمع، مثل لو استغاث بمخلوق بما لا يقدر عليه، وهو حي حاضر يسمعه، وتعلق القلبُ –قلب المستغيث– على هذا النحو، تعلق قلبُه بأن هذا يستطيع ويقدر أن يغيثه، بمعنى ذلك أنه استغاث بمن لا يقدر على الإغاثة، فتعلق القلب بهذا المستغاث به، فصارت الاستغاثة وهي طلب الغوث شركا على هذا النحو.

* وكذلك يسمعُ: لو كان حيا قادرا، ولكنه لا يسمع، حاضر لا يسمع كالنائم ونحوه، كذلك لا تجوز الاستغاثة به.

وقد تلتبس بعض المسائل بهذه الشروط في أنها في بعض الحالات تكون شركا أكبرا، وفي بعض الحالات يكون منهي عنها من ذرائع الشرك، ونحو ذلك. مثل الذي يسأل ميت، يسأل أعمى بجنبه، أو يسأل مشلول بجنبه أن يغيثه ونحو ذلك.

المقصود أن العلماء اشترطوا لجواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا: أن يكون المستغاث به حيا حاضرا قادرا يسمع.

قال رحمه الله تعالى (ودليل الذبح قوله تعالى ؟قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ؟[الأنعام:١٦٢-١٦٣]) الذبح الذي هو النحر، والذبح يشمل النحر الخاص ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر لأن:

النحر: هو الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَحدة، مثل ما يُفعل بالإبل كما تعلمون هي لا تذبح ذبحا، لكن هي تطعن في وَحدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين واندثر الدم وماتت، ليس ثَم ذبح. كذلك البقر قد تُنحر.

وأما الذبح: فيكون في الغنم من الظأن والماعز وكذلك في البقر.

الذبح والنحر عبادة، المقصود منها إراقة الدم، وإراقة الدم -من حيث هو- لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب، فإذا أراق الدم لله جل وعلا تعلق القلب بالله جل وعلا. فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين.

وجه الاستدلال من قوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أنه قال (وَنُسُكِي) والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف منها الذبح والنحر وهذا كما قال جل وعلا في الآية الأخرى ؟إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ؟[الكوثر:١-٢]، (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمره بأن يوحد الله جل وعلا بالصلاة، وكذلك أمره بالنحر لربه جل وعلا وحده، إذن النسك هنا الذبح.

قال (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ) الصلاة لمن؟ لله. وجه اللام هنا أنها لام الاستحقاق، قل إن صلاتي لله، يعني صلاتي مستحقة لله، هذا وجه الاستدلال. ونسكي لله، يعني نسكي الذي هو ذبحي مستحق لله وحده لا شريك له. ومحياي لله ومماتي لله، هذه لام أخرى وهي لام المِلك، الصلاة والنسك لله استحقاقا، والمحيى والممات لله مُلكا؛ لأننا اللام قلنا أنها تأتي للاستحقاق وتأتي للملك تذكرون؟ في هذه الآية جعل هذه الأفعال الأربعة الصلاة والنسك والمحيى والممات جعلها جميعا باللام مؤخرة، بقوله (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لكن تختلف، الصلاة والنُّسُك لله استحقاقا، والمحيى والممات لله جل وعلا مُلكا، فجمعت هذه الآية بين توحيدي الله جل وعلا: في إلهيته وهو الأول، وفي ربوبيته وهو الثاني. قل إن صلاتي ونسكي لله، هذا توحيد لله جل وعلا في إلهيته، ومحياي ومماتي لله هذا توحيد لله جل وعلا

في ربوبيته، فكما أنه جل وعلا هو مالك محياي ومماتي، فكذلك هو المستحق لصلاتي ونسكي، قال جل وعلا لنبيه قل إن صلاني ونسكي مستحقة لله، ومحياي ومماتي ملك لله جل وعلا (رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ) فذكر الربوبية ثم ذكر الألوهية، ثم بيَّن أن هذا من علامات الإسلام العظيمة فقال (وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ) وهذا وجه استدلال آخر إذ أن هذه مأمور بها، قال (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ).

الذبح كما أنه عمل ظاهر وهو إراقة الدم، والدم الذي بَثَّهُ في أعضاء المذبوح هو الله جل وعلا، وهو علامة الحياة، فلا يُزهق إلا لمن خلَقه، ولمن بثه في أعضاء من به الحياة.

ولهذا قال العلماء إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبوديات:

* منها الذل لربه جل وعلا.
* ومنها التعظيم له جل وعلا.
* ومنها الرجاء؛ رجاء ما عنده حال ذبحه.
* ومنها طلب البركة؛ لأنه ما ذبح إلا لله.

وهذه كلها عبادات قلبية، فكما أن الذبح عمل ظاهر؛ به تحريك اليد، تحريك اللسان ببعض القول، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة، مثل ما يُذبح لضيافة أو نحو ذلك، فهذا يجب أن يكون ظاهرا لله جل وعلا وحده، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة، أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة؛ العبادة القلبية، كانت أكمل في رجاء ثواب الذبح، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها، فيكون الذبح لله جل وعلا ظاهرا لم يُرد بهذا إلا الله جل وعلا، وباسمه لم يذكر إلا اسم الله جل وعلا، ثم يكون بالقلب ذل لله جل وعلا وخضوع وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح.

لهذا، الذبح من العبادات العظيمة، لكن قد يغفل الناس عن تعلق القلب وفعل الجوارح حين الذبح، وكيف تكون لله جل وعلا، ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه، يتعلم كيف يكون حال الذبح؛ حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد، أو لغيرها، أن يكون موحدا تماما، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه؛ لأنه فيه حركة لسان للتسمية والتكبير، وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات

ذكرت بعضها، وفيه أيضا حركة اليد، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده.
قال (**ومن السنة** «**لعن الله من ذبح لغير الله**») وجه الاستدلال: أن من ذبح لغير الله لم يذبح لله، وإنما ذبح لغيره، أنه ملعون لعنه الله، وهذا الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (لعن الله من ذبح لغير الله) يدل على أن الذبح لغير الله كبيرة من الكبائر، وإذا كانت كذلك فهي إذن يُبغضها الله جل وعلا، وإذا كان يُبغض الله جل وعلا الذبح لغيره، معنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له، في مقابلة، فيستقيم بذلك الاستدلال.
قال بعدها (ودليل النذر قوله تعالى ؟يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا؟[الإنسان:٧]) النذر: هو إيجاب المرء على نفسه شيئا لم يجب عليه، وتارة يكون النذر مطلقا، وتارة يكون بالمقابلة مُقيّد، والنذر المطلق غير مكروه، والنذر المقيد مكروه.
لهذا استشكل جمع من أهل العلم؛ استشكلوا كون النذر عبادة مع أن النذر مكروه، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول في النذر «إنه لا يأتي بخير وإنما يُستخرج به من البخيل» **يقولون: إذا كان مكروها كيف يكون عبادة؟** ومعلوم أن العبادة يحبها الله جل وعلا، والنذر يكون مكروها كما دل عليه هذا الحديث، فكيف إذا كان مكروها يكون عبادة؟ وهذا الاستشكال منهم غير وارد أصلا؛ لأن **النذر ينقسم إلى قسمين: نذر مطلق، ونذر مقيد.**
النذر المطلق: لا يكون عن مقابلة، وهذا غير مكروه، أن يوجب على نفسه عبادة لله جل وعلا بدون مقابلة، فيقول لله عليَّ نذر، مثلا يقول قائل: لله عليَّ نذر أن أصلّي الليلة عشرة ركعات طويلات. بدون مقابلة، هذا إيجاب المرء على نفسه عبادة لم تجب عليه دون أن يقابلها شيء، هذا النوع مطلق، وهذا محمود.
النوع الثاني المكروه: وهو ما كان عن مقابلة، وهو أن يقول قائل مثلا: إن شفى الله جل وعلا مريضي صُمْتُ يوما، إن نجحت في الاختبار صليت ركعتين، إن تزوجت هذه المرأة تصدقت بخمسين ريالا -مثلا- أو بمائة ريالا. هذا مشروط يوجب عبادة على نفسه، مشروطة بشيء يحصل له قدرا، من الذي يحصل الشيء ويجعله كائنا؟ هو الله جل وعلا.
فكأنه قال إن أعطيتني هذه الزوجة، وإن يسرت لي الزواج بها، صليت لك ركعتين أو تصدقت بكذا. إن أنجحتني في الاختبار صمت يوما ونحو ذلك، وهذا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام «إنما يُستخرج به من البخيل» لأن المؤمن المقبل على ربه ما يعبد الله جل

وعلا بالمقايضة، يعبد الله جل وعلا ويتقرب إليه لأن الله يستحق ذلك منه، فهذا النوع مكروه. النوع الأول محمود، وهذا النوع مكروه.

والوفاء بالنذر في كلا الأمرين واجب كما قال النبي ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» فتحصل عندنا أن النذر في أربعة أشياء: نذر محمود -نحن ما نقول نذر مشروع فيفهم أحد أنه واجب أو مستحب، لا، نقول محمود، غير مكروه في الشرع، محمود وهو المطلق الذي ما فيه مقايضة ولا مقابلة-. النوع الثاني مكروه وهو الذي يكون عن مقابلة، الوفاء بالأول بنذر التبرّر والطاعة واجب، الوفاء بالثاني حتى ولو كان مكروها واجب، وهو الذي أثنى الله جل وعلا على أهله في الحالين بقوله (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) لأنه أوجب على نفسه، فلما كان واجبا صار الوفاء به واجبا، فامتثل للوجوب الذي أوجبه على نفسه لأنه يخشى عقابه، فتحصّل من هذه الأربع منها اثنتان واجبتان وهما الوفاء، وواحد محمود، وواحد مكروه، ولهذا صار غالب الحال-إذ كان عبادة- صار غالب الحال هو الحال التي أنه محمود فيها أو واجب.

وبهذا صار النذر عبادة من العبادات التي يرضاها الله جل وعلا ويحبها، إلا في حال واحدة وهي حال نذر المقابلة.

اتضح لكم هذا المقام؟ لأن بهذا التحرير تخلصون من إشكالات عِدَّة، ربما أوردها عليكم خصوم الدعوة والخرافيون في مسألة النذر. ظاهر؟ تأملوها لأنه قد لا تجد هذا التحرير في كثير من الكتب.

قال (ودليل النذر قوله تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) وجه الاستدلال: أن الله جل وعلا امتدحهم بذلك بأنهم يوفون بالنذر، وإذ امتدحهم بذلك دل على أن هذا العمل منهم وهو الوفاء بالنذر أنه محبوب له جل وعلا، فثبت أنه عبادة لله جل وعلا.

والنذر له شقان: الشق الأول النذر والثاني الوفاء به، وكلا الأمرين إذا صُرفت لغير الله جل وعلا فهي شرك.

* من نذر لغير الله، أن ينذر لأصحاب المشاهد والأولياء أو القبور، ينذر للمشهد الفلاني، ينذر مثلا للنبي ﷺ، أو أن ينذرَ لأحد من الموتى، ينذر لفاطمة ﵂، أو ينذر لأحد آل البيت، أو لخديجة، أو ينذر لأحد من الأولياء أو نحو ذلك، يقول: عليَّ نذر للولي الفلاني،

ولو كان غير مقابلة هذا إيجاب على نفسه عبادة لمن؟ لغير الله فصار شركا أكبر.

* **القسم الثاني أن يقول**: إن شفى الله-لاحظ- إن شفى الله مريضي فللولي الفلاني عليَّ نذر بكذا وكذا، فهذا على المقابلة، ولو كان على هذا النحو، فصرفه لغير الله جل وعلا شرك؛ لأن القول الأول منه وهو قوله (إن شفى الله مريضي) هذا ربوبية، وقوله (فللولي الفلاني علي نذر) هذا شرك في العبودية، هو أقر بالربوبية ولكنه أشرك بالعبودية، هذا جهة النذر، الوفاء لأصحاب القبور أو نحوهم، أو الجن، أو الملائكة، هذا كله شرك، فلو حصل منها النذر لغير الله فلا يجوز أن يوفِي به، فإن وفَّى به لغير الله سيكون ذلك شرك بعد شرك، لهذا قال عليه الصلاة والسلام «من نذر أن يعصي الله فلا يعصه»، يدخل في ذلك إذا كان النذر لغير الله جل وعلا، قال (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) مدحهم بذلك، فدل أن وفائهم بالنذر عبادة يحبها الله جل وعلا.

قال ابن الأثير في غريب الحديث (١٧٩/٢) :

والرب في اللغة يطلق على الحفظ والرعاية وعلى الخالق المربي ، والرب يطلق على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم إ.هـ. والمصنف فسر الرب هنا بكلمتين " الخالق والمعبود " وهذا تعريف الرب عند الإطلاق فإنه يدخل فيه معنى الألوهية ، وهذا بإجماع السلف .

كما أن كلمة الله عند الإطلاق : معناه الخالق المعبود أما عند الاقتران فتتضمن قاعدة (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) إي إذا قيل لك من ربك فهو يعنى الخالق المعبود وكذلك الله إذا مرت عليك وحدها ،لكن لو اجتمعا في سياق واحد (الله والرب) فهناك يختلف فتعرف الرب بالخالق والله بالمعبود ، فعند الافتراق يتسع ، يضيق عند الاجتماع .

أما أهل البدع فالرب عندهم هو نفس معنى (الله) ولا فرق بينهما عند اجتماع ولا افتراق فالمعنى واحد واللفظ مختلف ، وقد رددنا عليهم في كتاب الوسيط في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد .

قال المصنف : **" وهو معبودي "** أي من أذل وأخضع له بالطاعات .

قول المصنف " **ليس لي معبود سواه** " ليس : نفي ، وسواه : إثبات ، فجمع بين النفي الإثبات ، والدليل قوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين " " وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم " . فالوجود قسمان : رب ومربوب ، فالرب هو الخالق المعبود والمربوب :

العالم كل ما سوى الله ، ويلاحظ أن المصنف استخدم طريقة السؤال والجواب وهذا الأسلوب استخدمه في الأصل الأول فقط .

قال المصنف " **فإذا قيل لك بما عرفت ربك** " طرح هنا سؤال ، والجواب : حتى تعرف ربك بالأدلة ويكون إيمانك مبنياً على الاستدلال لأنه أقوى وأفضل ومعناه ما هي الوسائل التي عرفت بها الله ؟ " فقل عرفته بآياته ومخلوقاته " والأدلة في معرفة الرب وأنه الخالق المعبود ثلاثة :

١- دليل فطري . ٢- دليل عقلي . ٣ – دليل نقلي .

واختار المصنف الدليل العقلي الذي دلّ علي معرفة الرب فقال "بآياته ومخلوقاته" وليس هو دليل عقلي صرف بل عضده بآيات من القرآن ، فمعرفته من الجهة العقلية بآياته و مخلوقاته وهو ما يسمى بدليل الأثر أو دليل حدوث العالم . وخلاصة هذا الدليل أنه لا بد لكل محدَث من محدِث ولا بد لهذا الوجود من موجد سابق عليه فهذه الآيات والمخلوقات حادثة ولا يمكن أن تكون جاءت من نفسها أو صدفة بل لا بد لها من محدث وهو الله تعالى ، وليس المقصود فقط إثبات وجود الله وأنه الخالق فهذه ربوبية يُقر بها حتى الكفار لكن المراد الربوبية والألوهية ، ثم عظم هذه الآيات يدل على عظم خالقها ، وحسن هذه الآيات وإتقانها يدل على علم وحكمة من خلقها .

هذا الدليل العقلي : وقد بسَّطه المؤلف بهذا التبسيط وهو دليل محكم ولذا قال الأعرابي " الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير .. " ألا يدل هذا الكون على الخالق .

الدليل الثاني الفطري : وهو ما يجده كل مخلوق في نفسه من الاعتراف بالله وبأنه الخالق المعبود وهو مركوز في كل الفطر قال تعالى : { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها } . وفي الحديث : [كل مولود يولد على الفطرة ..] متفق عليه ، أي يعرف أنه خالق واحد معبود .

أما أهل البدع فعندهم أدلة أخرى فلسفية لثبات وجود الله فقط لا أنه المعبود منها ما يُسمى بدليل الأعراض والأجسام .

الدليل الثالث النقلي : وهذه كثيرة في القرآن والسنة التي تدل على أنه الله الخالق المعبود .

قال المصنف " بآياته ومخلوقاته " فرق المصنف بين الآيات والمخلوقات فعطف المخلوقات على الآيات . والقاعدة أن العطف يقتضي المغايرة فالآيات غير المخلوقات والمصنف اتبع النصوص في التسمية ، ففي الآية الثانية سُميت السماوات وما عطف عليها مخلوقات فتقيد المصنف بألفاظ القرآن وإلاّ فالمخلوقات التي ذكر المصنف هي آيات لذا جمعها الله في قوله : { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار الآيات لأولي الألباب) والآيات لتي ذكر المصنف أربع : الليل والنهار والشمس والقمر ، والمخلوقات لتي ذكر المصنف هي السماوات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما بينهما .

ثم ذكر دليلين { ومن ءاياته الليل والنهار .. } الآية ، وجه الدلالة : استدل بهذه الآيات على أنه مستحق للعبادة قوله (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)، وأيضاً عرَف الله بها.

الدليل الثاني هو الآية الثانية : { إن ربكم الله الذي خلق ... } الآية وجه الدلالة : استدل بهذه الآيات على أنه مستحق للعبادة قوله له الخلق والأمر، والأمر أي التشريع والتحليل والتحريم والعبادة وفق أمره تعالى لا شريك له .

قال المصنف **والرب هو " المعبود** " من معاني الرب أنه المعبود و الدليل { يا أيها الناس اعبدوا ربكم } فأصبح ربنا معبوداً ، إلى أن قال (فلا تجعلوا لله أندادا) أي اعبدوه لوحده لا شريك له .

لماذا المصنف هنا ذكر أنواع العبادات في هذا الأصل الأول (معرفة الله تعالى) ؟ وما هو الرابط ؟

فيه عدة احتمالات :

أ ـ لأنه لما ذكر انه تعالى المعبود لذا ذكر العبادات التي يُعبد بها، وذكر أنواع العبادات التي تفعل لهذا الرب المعبود .

ب ـ احتمال لما ذكر كلام ابن كثير حيث قال : الخالق لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة اهـ فذكر أنواع العبادات التي هو مستحق لها .

ج ـ احتمال لما ذكر أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة هنا ذكر أنواع العبادات التي يُفرد بها .

قال المصنف " وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام " . وهذا فيه إشكال كيف ذكر الإسلام والإيمان والإحسان من أنواع العبادات هنا وسوف يذكرها مرة أخرى في مراتب الدين ؟

وحسب فهمي الضعيف أن الإسلام والإيمان والإحسان عادة من صنيع أهل العلم يُذكر في مراتب الدين على ضوء حديث جبريل ، أما إذا ذُكرت العبادة فيقال الصلاة والزكاة والخوف والاستعانة وهكذا ولا يُذكر فيها الإسلام ، فيمكن أن يقال إن المصنف يناقش في ذلك والله اعلم .

ثم يقال إن الإسلام والإيمان والإحسان هذه مراتب للدين بعضها أفضل من بعض وليست أنواع أو قسائم للاستعانة والذبح وغير ذلك . فالخوف مع المحبة قسم وأنواع وليست مع بعضها مراتب .

قال المصنف " أنواع العبادة " الإضافة هنا بتقدير اللام أي أنواع للعبادة . ذكر المصنف هنا أربعة عشر نوعاً من أنواع العبادة ولم يقصد الاستيعاب وإلاّ كانت أكثر من ذلك وابن تيمية في كتاب العبودية أضاف أنواعاً أخرى من أنواع العبادة ، ومن ثم فالعبادة جنس تحتها أنواع .

قال المصنف " أنواع العبادة " هذه الأنواع هي التي يُتَذَلل ويخضع بها لله " التي أمر الله بها " . والعبادات مأمور بها ولكن أحياناً أمر إيجاب وأحياناً أمر استحباب وكما هو معروف في أصول الفقه أن المستحب والمندوب مأمور به ولكن لا على وجه الإلزام ، ومما يدل على أن المندوب مأمور به قوله تعالى : { وافعلوا الخير } .

قال المصنف " التي أمر .. " ليست للوجوب فقط ، بل يدخل العبادات المستحبة ومثّل المصنف لأنواع العبادة فقال " مثل الإسلام والإيمان والإحسان ، وتأتي هذه الثلاثة إن شاء الله في باب معرفة دين الإسلام .

قال المصنف " ومنه الدعاء " والضمير في من يعود على الأنواع أي ومن الأنواع لذا جاءت صيغته مذكر وبعد ذلك قال فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله .

قال المصنف " ومنه الدعاء " فيه إشكال ، حيث جعل الدعاء جزءاً من العبادة وعليه فالعبادة أعم من الدعاء والمشهور عند بعض أهل العلم أن الدعاء أعم من العبادة حيث قالوا الدعاء قسمين دعاء عبادة ودعاء مسألة ، فكيف نوفق بين القولين ؟

ومن هنا نطرح سؤالاً : أيهما أعم " العبادة أعم من الدعاء أم الدعاء أعم من العبادة " ؟ الذي يبدو أن المسألة حسب الاعتبارات والجواب يكون باعتبارات فإن كانت العبادة بمنعى الذل والخضوع والدعاء بمعنى السؤال والطلب ، فهنا العبادة أعم من الدعاء ، وإن كان الدعاء بمعنى الذل والخضوع أي بمعنى التعبد والعبادة بمعنى الصلاة والزكاة أي بمعنى المتعبد به فالدعاء أوسع ، أي أن الدعاء أعم من العبادة ، وهنا المصنف جعل العبادة بمعنى الذل والخضوع وجعل الدعاء بمعنى السؤال والطلب ، ولذا جعل العبادة أعم من الدعاء .

ثم سرد المصنف أنواع العبادة وهي أربعة عشر نوعاً ولم نعُدّ منها الإسلام والإيمان والإحسان لأنها أنواع الدين لا أنواع العبادة . فقال " الدعاء والخوف والرجاء .. الخ ثم قال " وغير ذلك من أنواع العبادة لأنه لم يرد الاستيعاب وإلاّ فهناك غيرها كالصبر وصلة الرحم .. الخ

ويأتي حكم من صرف شيئاً لغير الله ، ثم ذكر المصنف الدليل على أنه يجب صرفها لله تعالى { وأن المساجد لله فلا تدع مع الله أحداً } ، ومعنى المساجد أي السجود يكون لله ، ويقاس عليه بقية العبادات بقياس الشبه وجامع أنها كلها عبادة .

" فلا تدعوا " لا " ناهية ، فنهى أن تصرف لغير الله ، والملاحظة أن لم يقل فلا " تعبدوا " فجاء الدعاء أعم من العبادة كما سبق .

بعدها ذكر المصنف العبادات ثم ذكر حكم من صرف شيء لغير الله فحكمه مشرك كافر ولا يعذر بالجهل ." فمن صرف منها شيء لغير الله فهو مشرك كافر "

" مسألة " حكم من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله .

" من " شرطية عامة باعتبار المعنى تدل على العموم فهي عامة في الأشخاص فيشمل الرجل والمرأة سواءً كان مسلماً أو كافراً إنسياً أم جنياً ، فإنه يكفر .

هل تشمل الصغير والكبير ؟ أما الكبير فتشمله وأما الصغير فلا تشمله لأنه خرج بصارف ، والصارف قوله ﷺ : [رفع القلم عن ثلاثة ، الصغير حتى يبلغ ..] فعليه لو أن الصغير ذبح لغير الله فلا يكون كافراً لعدم قيام الحجة عليه لكنه ليس بمسلم بل مشرك ومن أراد مزيد

بحث فليراجع كتاب المتممة لكلام أئمة الدعوة وكناب الحقائق باب الأسماء التي ليس لها علاقة بالحجة . الثاني الذي خرج من عموم "من" المجنون لنفس الحديث ، وقوله " منها " أي العبادة .

وقوله " فهو مشرك كافر " الفاء داخلة عن جواب الشرط ، وهنا نبدأ في الحكم "

" مشرك كافر " يقصد المصنف هنا من قامت عليه الحجة فهو مشرك كافر ، أما من فعل الشرك وهو حديث عهد بكفر أو عاش ونشأ في بادية بعيدة أو عاش ونشأ في بلاد الكفر فهو مشرك خارج عن الملة لكن لا يكفر كفر تعذيب وعقوبة حتى تقام عليه الحجة وهذا هو قول المصنف في كثير من كتبه وهو قول طلابه وأحفاده وهو قول ابن تيمية وابن القيم بل وقول كل من نحفظ من أهل العلم نقل الإجماع عليه أئمة الدعوة ، ومن أراد مزيد بحث فليرجع إلى كتب أئمة الدعوة والدرر السنية ، وقد يسر الله أن أفردنا هذه المسألة في رسالة مستقلة باسم المتممة لكلام أئمة الدعوة في العذر بالجهل في الشرك الأكبر .

مسألة على قول المصنف فهو مشرك كافر وراجع الوسيط في شرح أول رسالة في مجموعة التوحيد في مبحث الشرك والكفر والفرق بينهما وما يتعلق بذلك .

التفصيل في أنواع العبادة .

فالعبادة الأولى هي الدعاء ، وهل يقصد به المعنى العام أم المعنى الخاص ؟ يقصد به المعنى الخاص وهو السؤال والطلب ، وإذا قلنا أنه هنا السؤال والطلب ظهر إشكال آخر لأن المصنف سوف يذكر من أنواع العبادة الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة وهذه دعاء طلب وسؤال فكيف الجمع ؟ ولكي يصح الجواب فلا بد أن نحمل الدعاء هنا على شيء ليس دعاء استعانة ولا استغاثة ولا استعاذة فلا يبقى إلاّ سؤال الشفاعة في الآخرة أو التوسط في الدنيا وعليه فمعنى الدعاء هنا لما اجتمع مع الاستعانة وما عُطف عليها فهو بمعنى طلب الوساطة .

فمن صرف الدعاء لله فهو موحد ومن صرفه لغير الله فهل يشرك أم أنه غير مشرك ؟ فيه تفصيل :

(إن دعا المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا مشرك كافر) مثال : لو دعا الميت أن يتوسط له يرزق الله ولداً أو أن يعافيه من المرض أو يدفع عنه الشرور ، أو سأله التوسط في طلب الجنة أو المغفرة فهذا الشرك أكبر .

سؤال الأموات والطلب منهم شرك أكبر مطلقاً حتى ولو سألهم ما يقدرون عليه لو كانوا أحياء كأن يعطيك مالاً أو أن يشفع ويتوسط لك عند الله .

ونقول من باب الاستطراد :

سؤال الجنّ ، كسؤال الإنس ، فإن كانوا يسمعون كلامك ، فإن خاطبتهم عن سماع ورؤية ، أو مخاطبة مثل قصة أبي بن كعب أنه كان لهم جرين فيه تمر وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم قال فسلمت فرد السلام فقلت ما أنت جن أم أنس فقال جن فقلت ناولني يدك فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن فقال لقد علمت الجن أنه ما فيهم من هو أشد مني فقلت ما يحملك على ما صنعت قال بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك قلت فما الذي يحرزنا منكم فقال هذه الآية آية الكرسي قال فتركته وغدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ صدق الخبيث قال أبو حاتم اسم بن أبي بن كعب هو الطفيل بن أبي بن كعب صححه ابن حبان .

ومثل أيضا المصروع ، فتسألهم ما يقدرون عليه ، مثل لو سألتهم عن الضالة فهذا فيه خلاف إلا أن الجن فيهم كذب فلا تؤخذ أخبارهم والأقرب المنع لأنه لا يطلب من الجن لو كان عن حضور . قال تعالى : { إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . ... } أما إن كانوا لا يقدرون عليه كسؤالهم السلامة والشفاء ، أو كانوا يقدرون عليه لكن سألتهم لا عن سماع ورؤية فهذا شرك .. قال تعالى : { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس فزاهدوهم رهقا } . ولما روى البخاري عن ابن مسعود قال كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الإنس فزاهدوهم رهقا } مما يُبين المراد قال : وقوله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون لرجال من الجن فزادوهم رهقا) أي كنا نرى أن لنا فضلا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أي إثما وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أي ازدادت الجن عليهم جرأة وقال السدي كان رجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضر أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي قال قتادة فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير ابن الخريت عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي إثما .

قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أي خوفا وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أي إثما وكذا قال قتادة وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي حدثنا القاسم بن مالك يعني المزني عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتي الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله تعالى أعلم .

لو سألت المخلوق ما يقدر عليه كما لو طلبت منه قرضاً فهو جائز لأنه يقدر عليه . ولأن الرسول ﷺ استسلف من رجل بكرا فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره فرجع إليه أبو رافع فقال لم أجد فيها إلا خيارا رباعيا فقال أعطه إياه إن خيار الناس أحسنهم قضاء ، رواه مسلم من حديث أبي رافع .

مسائل : ١- مخاطبة الأموات مثل / وا معتصماه . .. أو يا رسول الله لو خرجت على أمتك فرأيت ما فيها من التمزق .. أو قم يا صلاح الدين ونحو ذلك .. فإن كان عن اعتقاده أنهم ينفعون أو يضرون فهذا شرك أكبر وهو من القسم الثاني .. وإن كانت من باب الشعار في الحرب فلا بأس كما نقله ابا بطين في كتابه التقديس عن بعض الصحابة ، وإن كان مجرد تعبير واستنهاض للهمم فيُبتعد عنه لما فيه من التشبه بألفاظ المشركين ولما فيه من اللبس .

مسألة : وكذلك مخاطبة الموتى من باب العظة والعبرة فهذا جائز وقد كان السلف يفعلونه من باب وعظ أنفسهم .

لو خاطب الجنّ بياء النداء منذراً أو متوعداً لكونهم يؤذونه في بيته فهذه المخاطبة جائزة ، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهم شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان ، رواه مسلم قاله النووي في شرح مسلم باب قتل الحيات وغيرها وفي رواية إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلاّ فاقتلوه فإنه كافر رواه مسلم . وإن كان مجرد توهم فهذا لا يجوز وإن خاطب بقرينه فهذا جائز . فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة قال إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسيا ثم قال النضر بن شميل فذعته بالذال أي خنقته وفدعته من قول الله يوم يدعون أي يدفعون والصواب فدعته إلا أنه كذا قال بتشديد العين والتاء ، رواه البخاري ومسلم وذكره النووي في شرح مسلم في باب جواز لعن الشيطان في الصلاة .

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته ، رواه البخاري

وعن سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبي ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد ، رواه البخاري

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا ، رواه البخاري .

وجاء في المتفق عليه في التثاؤب والحلم أنه من الشيطان وأرشد إلى الاستعاذة . إلى غير ذلك .

مسألة : يأتي على لسان بعض العوام خذوه يا جنّ فما حكمها ؟ إن كان عن اعتقاد فهذا شرك ؟ وإن كان مجرد تخويف فهذا لا يجوز لأمرين : التشبه بألفاظ المشركين ٢- ترويع للمسلم .

فذكر المصنف فيما سبق دليلين الأول على أن الدعاء بالمعنى الخاص عبادة . والدليل الثاني يدل على أن من دعا غير الله فهو مشرك كافر ولذا فكل الأصناف التي ذكرنا أنها شرك دليلها الآية .

افراد العبادات مع دليلها على الترتيب التالي :

١ . الدعاء وفي الحديث : " الدعاء مخ العبادة " والدليل قوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

٢ . والخوف ودليل الخوف قوله تعالى : (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافون وخافون إن كنتم مؤمنين)

٣ . والرجاء ودليل الرجاء قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

٤ . والتوكل ودليل التوكل قوله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

٥ . والرغبة، ٦ . والرهبة، ٧ . والخشوع ، ودليل الرغبة والرهبة، والخشوع، قوله تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)

٨ . والخشية ودليل الخشية قوله تعالى : (فلا تخشوهم واخشوني)، ٩ . والإنابة ودليل الإنابة قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له)

١٠ . والاستعانة ودليل الاستعانة قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي الحديث :" إذا استعنت فاستعن بالله "

١١ . والاستعاذة،، ودليل الاستعاذة قوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق)، (قل أعوذ برب الناس)

١٢ . والاستغاثة ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) .

١٣ . والذبح ودليل الذبح قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له) ومن السنة قوله ﷺ : " لعن الله من ذبح لغير الله "

١٤ . والنذر ودليل النذر قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا) .

ومن أراد بسط هذه الأنواع فليرجع إلى كتاب الوسيط في شرح أول رسالة من كتاب التوحيد فقد يسر الله بسطها هناك وذكر الأدلة والتقسيمات والاحترازات ، ولا نذكر هنا إلا بعض الزوائد البسيطة لإتمام الفائدة .

من الزوائد :

متى يكون الخوف شركاً ؟

أن تخاف من المخلوق ما لا يقدر عليه المخلوق هذا شرك أكبر ، مثاله "تخاف من إنسان أو جن أن يقطعوا نسلك" وهذا لا يقدر عليه إلا الله ، "تخاف أن يصيبك بأمراض " " تخاف أن يصيبك بالفقر أو العاهات الخلقية" هذا كله شرك أكبر لأنها أشياء لا يقدر عليها إلا الله الخوف من الجمادات والأموات مطلقاً أن يصيبه بمكروه ، حتى ولو كان هذا المكروه يقدر عليه الميت لو كان حياً مثل " أن يضربك " هذا شرك أكبر لأنك خفت منه ما لا يقدر عليه .

أن تخاف من مخلوق فيؤدي خوفك منه إلى أن تعمل له عبادة كأن تذبح له كالخوف من شر الجن ، فيذبح لهم إذا سكن بيتاً وخاف أن يؤذوه وذبح لهم حتى لا يؤذوه وحكمه شرك أكبر . والإكراه غير الخوف أما لو أكره على تمزيق المصحف وإلا قتل فلا يكفر .

الشرك الأصغر وهو أن يؤدي خوفك من شخص إلى ترك واجب أو فعل محرم كمن حلق لحيته خوفاً من انتقاد الناس ، أو خاف السخرية أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو ترك صلاة الجماعة خوفاً على المنصب أو جلس عند أناس يسمعون الأغاني فترك الإنكار صيانة لعرضه حتى لا يتكلموا فيه فجاراهم فيه أو قال استحيت هذا شرك أصغر ، وأطال ثوبه وأسبل حتى لا يُعيّر .. الخ .

وهذا القسم جاء خلاف بين أهل العلم فيه وحكمه :

منهم من قال أنه محرم (فقط وليس من باب الشرك) لما جاء فيه من الوعيد ولأنه فعل المحرمات . القول الثاني / أنه شرك أصغر لما روى الإمام أحمد مرفوعاً [إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذا رأيت المنكر لا تغيره ، فيقول ربي خشية الناس ، فيقول الله إياي كنت أحق أن تخشى[5]] وجه الدلالة قال خوفاً من الناس ، أما ما يسمى بالخوف الطبيعي فهذا جائز[6] ، ولا شيء فيه كما لو خفت اللص أو من حيوان مفترس قال تعالى : { فخرج منها خائفاً يترقب } فهذا جائز بشرط أن لا يؤدي إلى فعل محرم أو ترك الواجب .

" مسألة " ما مراتب الأذية ؟ وهل كل أذية يخاف منها فيعمل من أجلها المحرم ويترك الواجب ؟ الجواب أنها مراتب :

---

[5]– هذا موضع الشرك .

[6]– هذا القسم الثالث الجائز .

المرتبة الأولى : أذية شديدة غير متحملة ، فهذا يجوز أن يترك من أجلها الواجب ويفعل المحرم وهي ما تسمى " بالإكراه " كما لو ضرب ضرباً لا يتحمله بشرط ألا يكون متعدي فلا يجوز كمن قال ازن بهذه المرأة فلا يجوز لك ولو قتلت لأن فعلك تعدى إلى غيرك قال تعالى (ولا تز وازرة وزر أخرى) وصح عن النبي ﷺ (لا ضرر ولا ضرار) رواه ابن ماجه .

أما لو كان في حق ذاته كحلق لحيته فيجوز بنفس الشروط أو سجناً طويلاً لا يتحمله أو أخذ مال لا يتحمله .

المرتبة الثانية : أذية فيها مشقة ، لكنها محتملة كالضرب الذي يستطيع أن يتحمله والسجن أياماً معدودة فهذه لا يجوز أن يخاف منها فيفعل من أجلها المحرم أو يترك الواجب .

المرتبة الثالثة :أذية قليلة محتملة كالسب والشتم والتعيير والسخرية فهذه لا يجوز أن يخافها ، فيفعل المحرم ويترك الواجب .

المرتبة الرابعة : ما يسمى بالوهن والجبن كأن نخاف من كل شيء وبعض هذه الأشياء لا حقيقة لها فهذه لا تجوز لأنها مجرد تصورات ذهنية .

" مسألة " الخوف من الفصل من الوظيفة هل هو عذر في ترك الواجب أو فعل المحرم ؟ أما إن كان يجد كسباً غيره كالتجارة وعمل اليد فهذا ليس بعذر إن كان هذا الواجب واجباً فعلياً وإن كان لا يجد فهو عذر لأنه دخل حد الضرورة وأدلتها معروفة .

" مسألة " الخوف من الشيطان والجن كالخوف من الإنس فإن خفت منهم مالا يقدرون عليه فهو شرك أكبر. وإن خفتهم ما يقدرون عليه كالخوف من الإنس. وقد سبق أن نقلنا ما ذكره ابن كثير من كلام أهل العلم على آية (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) الآية .

" مسألة " ما يسمى بالخوف من المواقف ومعناه مثل ما ينتاب الإنسان من الرجفان والقلق لو قام يتكلم بين الناس هذا من الخوف الطبيعي ولا شيء فيه إلا إن تضمن ترك واجب أو فعل محرم كما لو كانوا يفعلون معاصي فجئت تتكلم فخفت الموقف فهذا محرم . وفيه التقسيم السابق أنه محرم أو شرك أصغر والذي تميل إيه النفس أنه من الشرك الأصغر ثم ذكر الدليل : { فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين } .

العبادة الثالثة هي الرجاء : وهو وصف قائم في القلب يؤدي إلى التوقع والأمل والطمع .

" مسألة " متى يكون الرجاء توحيداً ؟ إذا تعلق أمله بالله فهذا توحيد .

" مسألة " متى يكون الرجاء من الشرك ؟ – فيه أحوال :

إذا توقع وطمع من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله مثل (التوقع من المخلوق النصر أو التوقع منه الولد أو الشفاء والسلامة) .

أن يتوقع من الأموات والجمادات والغائبين بغير الوسائل الحسية يتوقع منهم الخير ولو كانوا يقدرون عليه لو كانوا أحياء ، وهذا شرك أكبر .

أن ترجو وتتوقع من المخلوق ما يقدر عليه مع الاعتماد عليه مثل تعتمد عليه أن يعطيك مالاً ، فأنت واثق بأن يعطيك ، أو أن تطمع في مهارة الطبيب ، فتثق بحصول الشفاء وهذا من الشرك الأصغر .

أن يطمع ويتوقع ويرجو الشفاء والخير من الله لكن بوسيلة محرمة كمن لبس حلقة أو خيط على أن تكون سبباً للشفاء أو فعل ما يسمى بالشبكة يطمع من الله أن تكون سبب الألفة والاشتباك بين الزوج والزوجة ، وهذا من الشرك الأصغر كما في حديث عقبه بن عامر مرفوعاً [من تعلق تميمة فقد أشرك] ومن أمثلة ذلك الذبح لله عند القبور ترجو من الله الخير لكنك اخترت هذا المكان لكونه أبرك . ثم ذكر المصنف الدليل { فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل .. }

العبادة الرابعة / التوكل : لغة التفويض .

شرعاً : الاعتماد على الله لجلب الخير ودفع الشر . متى يكون التوكل عبادة ؟ إذا اعتمد وفوّض أمره إلى الله فهذا توحيد { وعلى الله فتوكلوا .. } متى يكون التوكل شركاً ؟ في هذه الحالات :

إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله كالذي يعتمد على المخلوق في نزول المطر وحصول الرزق أو النسل أو اعتمد عليه في الشفاء والسلامة من الأمراض . وهذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله وهي شرك أكبر .

الاعتماد على الأموات والجمادات كأن يثق بأن هذا الميت سوف يعطيه أو يدفع عنه ، وهو شرك أكبر .

الاعتماد على الأسباب شرك أصغر مثل أن يعتمد على مهارة الطبيب في نجاح العملية ومثل الثقة بكثرة الجيش في حصول النصر ، والاعتماد على حذاقة السائق في السلامة من الحوادث ، والاعتماد على المذاكرة في النجاح ، وهذه ظاهرة متفشية عند المسلمين بأن يعتمد على الأسباب .

" مسألة " متى يكون قد اعتمد على الأسباب بالقرائن التالية :

منه ما يتعلق بالقلب فيشعر بالراحة والاطمئنان والسكون لوجود السَّبب فإذا وجد وثق بالنتيجة أنها سوف تترتب ، هذا أهمها .

أن يشعر بالقلق والاضطراب إذا تخلف السبب أن النتيجة لن تترتب مثاله :

لو ذهب بمريض إلى طبيب ووثق أن العملية سوف تنجح وارتاح لذلك ، فإن عمل العملية طبيب آخر فلن تنجح العملية وهذا من الشرك الأصغر . قال تعالى : { وعلى الله فتوكلوا .. } ، أي اعتمدوا . ومفهوم الآية : عدم الاعتماد على الأسباب ، بل نفعل الأسباب لكن نعتمد على الله .

" مسألة " هناك فرق بين الارتياح للأسباب والاعتماد على الأسباب ، فلو أن شخصاً أصلح سيارته وأعدها إعداداً جيداً للسفر ثم شعر بالارتياح فهذا لا شيء فيه أما لو وثق ألا يصيبه شيء لأن السيارة سليمة وجيدة فهذا من الاعتماد على الأسباب .

" مسألة " ما حكم الألفاظ التالية : توكلت على الله وعليك ؟ هذه لا تجوز وهي من الشرك الأصغر لقوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقد صح عن ابن عباس في قول لولا الله وفلان أنها من الشرك فهذه مثلها وصح عن السلف أن قول أعوذ بالله وبك من الشرك فهذه مثلها .

" مسألة " ما حكم الألفاظ التالية : توكلت عليك ، متكل عليك ، فيها خلاف بين المتأخرين من أهل العلم فيما أعلم ، فمنهم من أجاز هذه الكلمة وجعله بمعنى التوكيل والوكالة وقال الأصل الجواز .

القول الثاني : إنها لا تجوز لقوله تعالى : { وعلى الله فتوكلوا } منطوقاً ومفهوماً وحديث عند أحمد [إنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى خطيئة وعورة وذنب] وحديث أبي بكرة قال وقال رسول الله ﷺ دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين

وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت رواه : أبو داود وصححه ابن حبان ، وهي ألفاظ شركية وإنما يقول مثلاً : توكلت على الله ثم وكلتك ، أو يقول وكلتك فلا مانع . بقي حديث سهل بن سعد الساعدي قال النبي ﷺ من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة ، رواه البخاري فقد يقول قائل أن لفظة توكلت عليك تجوز لهذا الحديث ؟ والجواب أن توكل هنا ليس بمعنى اعتمد بل بمعنى ضمن وتعهد فلا يتوجه الاستدلال . ومثله حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال

خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وليبدأ أحدكم بمن يعول تقول امرأته أنفق علي وتقول أم ولده إلى من تكلني ... الحديث وتكلني في هذا الحديث بمعنى إلى من تعهد إليّ أو إلى من تسلمني وليست بمعنى الاعتماد .

" مسألة " ما الحكم إذا عطفها (متوكل على الله ثم عليكم) الظاهر أنه لا يجوز لأن المحذور في اللفظة نفسها سواء أفردها أم عطفها .

" مسألة " ما حكم الثقة بالنفس ؟ فيها تفصيل :

إن كان (معنى يجب أن تثق بنفسك) بمعنى أن تعتمد عليها فذا لا يجوز لأنه من الاعتماد على الأسباب ، وإن كان معناها أي أنك مجرب لهذا الأمر وتعرف من نفسك التجربة وأنه سهل عليك فهذا جائز .

" مسألة " ما حكم قولنا هذا الرجل موثوق يجب أن تثق به فيه تفصيل إن كان المقصود أنه أمين ولا يخون ويقوم بالعمل كما ينبغي فلا شيء فيه وجائز . أما إن كان بمعنى الاعتماد عليه وأن النتيجة سوف تحصل فهذا من الشرك الأصغر .

العبادة الخامسة... الرغبة / في المصباح المنير هي السعة يقال رغب الشيء أي اتسع اهـ . فعلى هذا هي الإرادة الواسعة والقوية وتأتي بمعنى الحرص هو الإرادة القوية وتأتي بمعنى العطاء الكثير ، فإذا كانت في الدعاء فالرغبة فيه إطالته وكثرته والسعة فيه ويسمى دعاء رغبة والإطالة في العبادة تسمى عبادة رغبة .

" مسألة " متى تكون الرغبة توحيداً ؟

كثرة الإقبال على الله وسعة الإقبال على الله دعاءا وعملاً وعبادة يكون توحيدا.

" مسألة " متى تكون الرغبة شركاً ؟ تكون إذا أكثر إقبال على شخص معين في قضاء الحوائج المحبوبة ، فهذا يعتبر شركاً أكبر ، مثال : الذي يتردد على القبور ويقبل عليها إذا انتابه شيء من الحوائج المحبوبة فهذا يكون عبادة من دون الله كالذي يكثر طلب حوائجه من الجن والجمادات سواء فيما لا يقدر عليه إلا الله أو غير ذلك .

أما لو كثر الإقبال على المخلوقين في طلب الحوائج المحبوبة وهم يقدرون عليها فإن اعتمد عليهم فهذا شرك أصغر وإن لم يعتمد عليهم فهذه من الأمور التي تنقص التوحيد لحديث (لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون) ، أما الدليل فقد جمع ثلاث عبادات { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً } ، ظاهر استدلال المصنف أن الرغبة حالة من حالات الدعاء وهي وصف لبيان نوع الدعاء أنه دعاء رغبة هذا على تفسير الدعاء بالمعنى العام أي دعاء العبادة ودعاء الطلب وهناك آيات نص في عبادة الرغبة كقوله { وإلى ربك فارغب } { إنا إلى ربنا راغبون } .

العبادة السادسة .. عبادة الرهبة / تعريفها لغة : مأخوذة من الرهابة وهو العظم الذي على رأس المعدة فيقال جمل رهب إذا كان طويل العظام ، ويقال للعابد من النصارى راهب لأنه يطيل ويديم الخوف وهذا ما ذكره العسكري في الفروق اللغوية ص ٢٠٠ ، وعلى ذلك فالرهبة : الخوف الطويل والخوف الشديد .

ما الفرق بين الخوف والرهبة ؟ الفرق زمني . فإذا اضطرب قلبك وقلقت فترة قصيرة هذا يسمى خوفا أما لو طال الاضطراب والقلق وامتد فإنه يسمى رهبة وهناك فرق آخر أن الخوف توقع الضرر المحتمل الذي قد يقع وقد لا يقع ، ولذا إذا تذكرت أنه سيقع قلقت وإذا ذكرت أنه لا يقع اطمأننت .

أما الرهبة : توقع الضرر المتيقن به . ولذا يطول الخوف فالمحكوم عليه بالقتل يقيناً . هذا يسمى راهب لن الضرر متيقن فتجده دائم الخوف حتى يقتل أما الذي لا يتوقع القتل في حقه فهذا يسمى خوفاً فقط .

متى تكون الرهبة عبادة ؟ إذا طال خوفه من الله .

متى تكون الرهبة شركاً ؟ إذا طال خوفه من صاحب القبر مثلا فهذا شرك أكبر . ظاهر الاستدلال كما في الآية السابقة أعلاه عند المصنف أن الرهبة حالة من حالات الدعاء ،

وهناك آيات أعم ، مثل { وإياي فارهبون } أما التوضيح بالنسبة للخوف والرهبة بالنسبة للشرك الأكبر . أنك إذا قلقت واضطربت من صاحب القبر أو من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذه عبادة خوف وهي من الشرك الأكبر . فإن قلقت واضطربت من صاحب القبر أو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مع نيتك أن ضرره سيصل إليك فهذه عبادة رهبة وهي من الشرك الكبر أو طال زمن خوفك منه فهذا عبادة رهبة لصاحب القبر .

العبادة السابعة ... الخشوع / قال صاحب المصباح المنير : مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت إ.هـ. فيكون الخشوع بمعنى السكون والهدوء في القلب والجوارح وفي الصوت وفي النظر والمشي أي سكون الجوارح .

متى يكون الخشوع عبادة ؟ إذا وقف أمام الله ساكناً هادئاً في الجوارح فإنه هذا يسمى خشوعاً ولذا فالمصلى خاشع في الهيئة ، فإنه يقف في الصلاة مطأطئ الرأس ينظر إلى مكان سجوده وهذا خشوع وإذا مشى إلى الصلاة مشى بهدوء وغض للصوت والنظر وهذا خشوع في المشي إلى الصلاة .

متى يكون الخشوع شركاً ؟ إذا وقف أمام قبر أو شخص هادئ الحركات ساكن الجوارح فهذا خشوع وإن لم تطلب منه شيئاً ، وهو من الشرك الأكبر ؛ ومثله لو مشى إلى قبر ولى من الأولياء هادئ الجوارح ساكن القلب هذه عبادة خشوع ، ولذا نجد عباد القبور عند قبورهم هادئين ساكنين ؛ ومثله المريد والصوفي أمام شيخه تجده هادئا مطأطئ الرأس ساكن الجوارح مع ما في قلبه من خشوع ، وهذه عبادة خشوع ، وهذا من الشرك الأكبر ، الدليل { وكانوا لنا خاشعين } . فالأصل في الخشوع عمل بالقلب وتدل عليه الجوارح .

العبادة الثامنة .. الخشية : وهي الخوف من الشخص ، فإذا خفت من شخص معين بغض النظر عن العقوبة التي سوف يوقعها بك فهذه تسمى خشية ، ولذا فهناك فرق بين الخوف والخشية ، فالخوف : هو القلق والاضطراب من العقوبة والمكروه ؛ والخشية : هو الخوف من الشخص ذاته ، فإذا أراد زيد أن يقتلك فاضطربت وقلقت من القتل هذا يسمى خوفا ، أما لو خفت من زيد لذاته بغض النظر عن نوع العقوبة فيقال خشية ، وهذا يدلى عليه من القرآن قوله تعالى : { يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب } فجعل الخشية لله والخوف للحساب ، قوله { الذين هم من خشية ربهم مشفقون } ،

متى تكون الخشية توحيداً ؟ إذا تعلقت خشيتك بالله .
متى تكون الخشية شركاً ؟ إذا اضطرب قلبك من صاحب القبر أو من جماد بغض النظر عما سوف يفعل بك .
العبادة التاسعة .. الإنابة : قال في المفردات : هي الرجوع للشيء مرة بعد مرة ، ومنه ينتابه أي يقصد مرة بعد مرة .
متى تكون الإنابة توحيداً ؟ إذا كان يرجع إلى الله في الملمات مرة بعد مرة ، يقال أناب إلى الله .
متى تكون الإنابة شركاً : إذا قصد القبر مرة بعد مرة ، في الملمات يقال أناب إلى صاحب القبر وإن كان الرجوع إليه مرة واحدة كان شركاً أكبر لكن التكرار أشد شركاً . ما الفرق بين الرغبة والإنابة ؟ فالرغبة هي كثرة الرجوع والتردد ، وكذلك الإنابة لكن الرغبة الرجوع في الأمور المحبوبة ، والإنابة الرجوع في الملمات والمكروهات .
هل الإنابة بمعنى التوبة ؟ التوبة أخص من الإنابة ، فالتوبة رجوع خاص بصفة معينة وهي الرجوع مع الإقلاع والندم ؛ أما الدليل في التفريق بين التوبة والإنابة قوله تعالى { فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب } ، أما دليل الإنابة { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } .
العبادة العاشرة والحادية عشر والثانية عشر .... فهي عبادات متقاربة ولذلك نجعل الكلام فيها واحداً ... الاستعانة / لغة : مأخوذة من العون والمعاونة والمظاهرة يقال فلان عوني أي معين ، والمعين هو الظهير فتكون الاستعانة المعونة ، واصطلاحاً : طلب المعونة من الله .
الاستعاذة / لغة : مأخوذة من العوذ وهي الالتجاء للقبر والتعلق به والاستنصار لذا سميت المعوذتين لأنها تعصمان من السوء فهي طلب الالتجاء . شرعاً : الالتجاء إلى الله .
الاستغاثة / لغة : مأخوذة من الغوث ، فأغاثه بمعنى أعانه ونصره وكشف الشدة عنه ، ولذا سمى المطر غوثاً لأنه يكشف شدة القحط ، ويلاحظ أن هناك قاسما مشتركا بين التعاريف . (فالاستغاثة ، والاستعانة ، والاستعاذة) هي المعونة والنصرة لكنها تختلف باعتبار الحالة والزمن ؛ فإذا وقع عليك الشر وطلب النصرة بإزالته فهذه تسمى استغاثة ، فنداء الغريق يسمى استغاثة ، أما إذا لم يقع عليك الشر حتى الآن لكنه على الطريق أن يقع عليك فطلب أن لا يقع فهذه الاستعاذة ، أما في الأمور العادية إذا لم يقع عليك شر ولا تتوقع شراً فإنه يسمى استعانة .
متى تكون توحيداً ؟ إذا استعان واستغاث واستعاذ بالله تعالى .

متى تكون شركاً ؟ في الحالات الآتية :
إذا استعان أو استعاذ أو استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله ، مثل الاستعانة في رفع القحط وهنا لا يقدر عليه إلا الله ونحو ذلك . قال تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) .
أما الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه مع الاعتماد عليه ، كما لو وقعت في شدة فاستعنت بالسلطان ، أو كدت تغرق في البحر فاستغثت بالناس لكنك معتمد عليهم فهذا شرك أصغر ، وعلامة الاعتماد أن ترتاح إنهم سوف ينقذونك وتثق أن الإنقاذ سوف يحصل من السلطان أو من الناس كالذي يستعين بالجيش ويطمئن أن النصر سوف يحصل ، فهذا من الشرك الأصغر .
أما إن كانت المخاطبة عن غير حضور ولا سماع فهذه طريقة جاهلية كما قال تعالى { وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن } فكانوا إذا نزلوا وادياً خاطبوهم عن غير حضور وهذا من الشرك الأكبر حتى لو سألتهم ما يقدرون عليه كما لو تعطلت سيارتك فقلت يا جن أعينوني . أما لو كان لا يقدر عليه إلى الله فهذا شرك أكبر . وقد سبق أن نقلنا كلام ابن كثير عن هذه الآية . ولما روى البخاري عن ابن مسعود قال كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم .
حكم الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة بالجن :
إن استعنت بهم واستغثت في شيء لا يقدر عليه إلا الله فذا شرك أكبر فأي شيء لا يقدر عليه إلا الله فصرفه لغيره شرك أكبر . ولحديث (إذا استعنت فاستعن بالله) الحديث رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح .
إذا استعنت بهم في شيء واستغثت بهم لا عن حضور فهذا من الشرك الأكبر قال تعالى { وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً } سبب نزولها أن قريشا إذا نزلوا بوادي قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه .
إذا استعنت بهم وهم يسمعونك عن حضور لكن في الأمور التي يقدرون فهذا اختلف أهل العلم فيه :
القول الأول : أنه يجوز في الأمور المباحة كما لو سألتهم عن ضالة معينة أو يحملون لك شيئاً ويضعونه وهم حاضرون يسمعون الكلام فلا بأس لفعل سليمان عليه الصلاة والسلام فقد كان الجن يخدمونه كما هو معروف قال تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن

يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) .

ومثل قصة أبي بن كعب أنه كان لهم جرين فيه تمر وكان مما يتعاهده فيجده ينقص فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم قال فسلمت فرد السلام فقلت ما أنت جن أم أنس فقال جن فقلت ناولني يدك فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت هكذا خلق الجن فقال لقد علمت الجن أنه ما فيهم من هو أشد مني فقلت ما يحملك على ما صنعت قال بلغني أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك قلت فما الذي يحرزنا منكم فقال هذه الآية آية الكرسي قال فتركته وغدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ صدق الخبيث قال أبو حاتم اسم بن أبي بن كعب هو الطفيل بن أبي بن كعب صححه ابن حبان ، وهذا أجازه ابن تيمية رحمه الله تعالى فيما ذُكر عنه .

القول الثاني : أنه لا يجوز في الأمور المباحة سداً للذريعة وهو الذي تميل إليه النفس

أما في الأمور المحرمة كأن يؤذون شخصاً أو يقتلونه فهذا حرام لا يجوز قال تعالى { ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } .

العبادة الثالثة عشر ... الذبح :

الذبح لغة : الشق قال في المفردات للقرآن : أصل الذبح شق حلق الحيوانات وذبحت الفأرة شققتها .

الذبح إصطلاحاً : ذبح القرابين تقرباً إلى الله وتعظيماً وتذللاً بطريقة مخصوصة .

ذبح العبادة : وهو إراقة الدماء على وجه التقرب والتعظيم ، أما كلمة الذبح فقط ، فهي إراقة الدماء .

متى يكون الذبح توحيداً ؟ إذا ذبح تعظيماً لله وتقرباً .

متى يكون الذبح لغير الله شركاً ؟ إذا ذبح لغير الله تقرباً وتعظيماً ومعنى تقرباً : أي حتى ينفعه لجلب خير أو دفع شر ؛ فهدفك من وراء الذبح له أن ينفعك دنيوياً أو أخروياً ؛ أو يدفع شراً أو آفة عنك ، فأصبح يقصد القرب المعنوي إما تعظيماً : فمعناه هو أن يقوم في قلبه عظمته ومكانته فيدفعك هذا التعظيم والإجلال إلى أن تذبح له وهو عدة صور :

١ — كالذبح للجن تخلصاً من شرهم أو لكي يساعدوك في شيء ومثله الذبح للجن لفك السحر والعين هنا تكون مشرك شرك أكبر . لحديث (لعن الله من ذبح لغير الله)

٢ – الذبح على عتبات البيوت إذا تم بناؤها أو عند تأسيس البيت لكي يسلم من شر الجن والحسد والعين ومثله ، الذبح عن تأسيس أي شيء كحفر بئر ونحو ذلك .
٣ – الذبح للأموات والأولياء على أضرحة قبورهم إما تعظيماً لهم أو إجلالاً أو لكي ينفعوه في لدنيا أو في الآخرة أما الذبح للأموات من باب الصدقة والأضحية فهذا الذبح يقصد به إهداء الأجر لهم لا أن الذبح ذاته لهم . لحديث (دخل النار رجل في ذباب .... الحديث)
٤ – الذبح للسلطان والأمير تعظيماً ، وللعظماء والكبراء تعظيماً لهم لأنهم كبراء ، أو تقرباً لهم كي ينفعوك في مال أو منصب ونحو ذلك ، وهذا من الشرك الأكبر لمفهوم قوله تعالى (فصل لربك وانحر) مفهوم المخالفة ، ونقل الشيخ سليمان الحفيد في تيسر العزيز الحميد عن علماء بخارى أن الذبح عند طلعة السلطان أنه مما أهل به لغير الله . وهي مثل لو انتظروا حتى إذا دخل أو طلع السلطان سجدوا له ، وصورتها أن تؤخذ الذبيحة فتذبح إذا نزل من الطائرة أو إذا دخل من الباب أو قاعة أو عند قدومه أو عند طلعته ، وعلامة ذلك : أن تذبح في وجوههم ولا يهمك بعد ذلك لحم هذه الذبيحة ، فيهمك أن يعلموا أن الذبح لهم ، أما لو ذبحت لهم في مكان آخر كالمسلخ مثلا ثم أتيت باللحم لأكله من باب الضيافة فهذا جائز في الأصل ، وقد يكون محرماً كان فيه إسراف ، وقد يكون مستحباً إذا كان من باب إكرام الضيف لورود أحاديث تحث على ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام : [ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه] في الصحيحين من حديث أبي هريرة .
الذبح في المواليد كمولده عليه الصلاة والسلام ومولد الأولياء تعظيماً لهم . هذا شرك أكبر .
ومن الشرك الأكبر الذبح ويذكر عليها غير اسم الله مثل قوله : (باسم الشعب أو باسم المليك أو باسم الأمة أو باسم المسيح) أو يذكر اسم الله ويذكر معه غيره وهذا شرك أكبر .
قال تعالى (فصل لربك وانحر) وقوله (فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون)
وكل هذه الأقسام الستة السابقة شرك أكبر .
" مسألة " هل ينقسم الذبح إلى شرك أكبر وشرك أصغر ؟ - لا ينقسم الشرك في الذبح لأنها عبادة ومن صرف عبادة لغير الله فهو شرك أكبر .
- أما الشرك الأصغر فهو ما كان دون صرف العبادة .
" مسألة " الصور التالية من الذبح تعتبر جائزة لأنه ذبح لله وقصد معاني شرعية جائزة :

١- الذبح للضيوف من باب الكرامة والضيافة . ٢- الذبح للأهل من باب النفقة عليهم . ٣- الذبح للوالدين والأقارب من باب إهداء الأجر والثواب إليهم . ٤- ذبح الأضاحي والعقيقة ونحوه .

٥- ذبح الهدي وهو واجب على المتمتع والقارن. ٦- ذبح الفداء على مرتكب المحظورات .

العبادة الرابعة عشر ... النذر / لغة : أن توجب على نفسك ما ليس بواجب . اصطلاحا : إلزام المكلف نفسه شيئاً ليس بواجب تعظيماً للمنذور له وتقرباً.

متى يكون النذر توحيداً ؟ أما التقرب إلى الله بالنذر بهذا المعنى فاختلف فيه أهل العلم ، فبعضهم يكره ابتداء النذر وهو المذهب .

القول الثاني : وهو اختيار ابن تيمية أن ابتداء النذر حرام لكن إذا فعله الإنسان وجب الوفاء به هذا إذا كان النذر ليس معصية . أما الدليل على تحريم ابتداء النذر حديث ابن عمر [لا يأتي بخير إنما يستخرج به من مال البخيل] متفق عليه .

" مسألة " متى يكون النذر شركاً ؟ إذا لزم نفسه شيئاً لغير الله تعظيماً ما دام في قلبك إجلاله واحترامه فدفعك إلى أن تنذر له ، وتقرباً وهو التماس الخير منه بهذا النذر وله صور .

كأن يقول إن شفى الله مريضي فلقبر الوالي الفلاني كذا من الغنم أو المال .

أن يقول : للقبر الفلاني كذا من المال أو الشيخ الفلاني إن نجحت العملية أو سلمت من المرض .

إذا ضاع له شيء فيقدم طيباً أو ذهباً لقبر الوالي حتى يجده .

وكل هذه الصور شرك أكبر . ومناطه القول أو الفعل وليس الاعتقاد .

ثم ذكر المصنف الأدلة على ذلك وهي : ودليل النذر قوله تعالى : (يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا) .

الأصل الأول فى سؤال وجواب

٤٦-عرف الأصل؟ وإلى ماذا أشار المصنف بهذه الأصول الثلاثة؟

ج:الأصول: جمع أصل ، وهو ما يبنى عليه غيره ، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه ، وأصل الشجرة الذي يتفرغ منه الأغصان.

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

٤٧-معرفة الله تكون بأسباب اذكرها؟

ج:أولا: النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته ، وحكمته ، ورحمته قال الله تعالى: ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ {سورة الأعراف، الآية: ١٨٥}. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {سورة البقرة ، الآية: ١٦٤}.

ثانيا:ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمه التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها ، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ {سورة النساء، الآية: ٨٢} .

ثالثا:ومنها ما يلقى الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله جبريل عن الإحسان ؟ قال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

٤٨-ما معنى كون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان؟

ج:معنى كونه صالحاً لكل زمان ومكان: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ومكان ، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهي عن كل عمل سيء، فهو يأمر بكل خلق فاضل ، وينهى عن كل خلق سافل.

٤٩-ما معنى التربية؟ وتربية الله لعباده على قسمين اذكرها؟

ج:التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربى.

التربية تنقسم إلى قسمين:

أولا: تربية عامة: وهي تشمل جميع المخلوقات من المؤمن والكافر والحيوانات فربوبية الله عامة لجميع المخلوقات بالخلق والرزق والملك والتدبير.

ثانيا: تربية خاصة: وهي خاصة بالمؤمنين وذلك بتربيتهم على الإيمان والتقوى والخير والصلاح.

٥٠-عرف العالَم ؟ ولماذا سمو بذلك؟

ج:العالم كل من سوى الله ، وسُمو عالماً ؛لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.

٥١-عرف الآية وكم أقسامها؟

ج:وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

أقسامها:

الأول: آيات كونية: فالكونية هي المخلوقات.

الثاني: آيات شرعية: هي الوحي الذي أنزله الله على رسله.

٥٢- ما معنى الرب؟مع الدليل؟

ج:الرب: هو المعبود والدليل قوله تعالى:﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

٥٣-عرف التقوى؟

ج:التقوى :هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

٥٤-اذكر شيئا من أنواع العبادة التي أمر الله بها؟

ج:الإسلام ، والإيمان، والإحسان؛ ومنه الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

٥٥-ما حكم من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى؟ مع ذكر الدليل؟

ج:من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ {سورة المؤمنون، الآية: ١١٧}.

٥٦-حديث(الدعاء مخ العبادة) ماذا تعرف عن صحة الحديث؟ وهل هناك حديث آخر يقوم مقامه؟

ج: الحديث ضعيف لم يثبت وسبب ضعفه،أن في سنده ابن لهيعة، وهناك حديث آخر صحيح يقوم مقامه وهو حديث النعمان ابن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«الدعاء هو العبادة».

٥٧-كم أقسام الدعاء؟مع تعريف كل قسم؟

ج:نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

دعاء المسألة: هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه ؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة

ودعاء العبادة: أن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ {سورة غافر، الآية: ٦٠}.

٥٨-دعاء المسألة له أقسام اذكرها؟

ج:الأول: أن يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهذا شرك بالله تعالى كقولك: يا فلان اشفني؛لأن الشفاء لا يقدر عليه إلا الله.

الثاني: أن يدعو غير الله فيما يقدر عليه فهذا جائز كقولك: يا فلان أعطني القلم أو يا فلان أطعمني.

٥٩-عرف الخوف؟ مع ذكر أنواعه؟ مع تعريف كل نوع؟

هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرراً أو أذى ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأولى: خوف طبيعي: كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾ {سورة القصص، الآية: ١٨} لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً ؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قوله تعالى: ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ {سورة آل عمران، الآية: ١٧٥} .

والخوف من الله تعالى يكون محموداً ، ويكون غير محموداً .

فالمحمود: ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود: ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى. وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر ، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.

٦٠-عرف الرجاء؟ مع ذكر أقسامه؟

ج:الرجاء هو:طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

أقسامه:

الأول: الرجاء المتضمن للذل والخضوع وهذا لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما اصغر ، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته ، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

الثاني: رجاء غير متضمن للذل والخضوع ،وهذا يجوز صرفه لغير الله تعالى كقولك: يا فلان أرجوك أن تعمل لي كذا وكذا.

٦١-عرف التوكل؟واذكر أنواعه؟

ج:التوكل على الشيء الاعتماد عليه. «والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار» وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾

أنواع التوكل:

الأول: التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فر ق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً عدوا لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة ، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿ يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٨٧} ووكل النبي صلى الله عليه وسلم ،على الصدقة عمالاً وحفاظاً ، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقى من

المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

٦٢-عرف كلا من: الرغبة- الرهبة- الخشوع؟

ج: (١) الرغبة : محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

(٢) والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.

(٣) الخشوع: الذل لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

٦٣-هل يغلب جانب الرجاء على الخوف أم هناك تفصيل؟

ج:والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها ، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء : يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر

ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل ،وفي حال الصحة يكون

نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله ، والخوف على اليأس من رحمة الله تعالى.

٦٤-عرف الخشية؟مع ذكر أقسامها؟

ج:الخشية نوع من الخوف، لكنها تفارق الخوف بأنها خوف مع علم، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، فالخشية خوف مع علم.

وأقسام الخشية هي أقسام الخوف.

٦٥-عرف الإنابة؟ وما الفرق بينها وبين التوبة؟

ج:الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة.

والفرق بينها وبين التوبة: أنها أرق من التوبة لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ .

٦٦-ينقسم الإسلام إلى قسمين اذكرهما مع تعريف كل قسم؟

ج:وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني: وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: ﴿ وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ {سورة آل عمران، الآية: ٨٣} .

الثاني: إسلام شرعي: وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

٦٧-عرف الاستعانة؟واذكر أنواعها؟

ج:الاستعانة: طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه ، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿ إياك ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بِرٍّ فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ {سورة المائدة، الآية: ٢}.

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ {سورة البقرة ، الآية: ١٩٥}

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر الغائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك؛ لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيًا في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلواة ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٥٣}.

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ {سورة الفاتحة، الآية: ٤} وقوله ﷺ : «إذا استعنت فأستعن بالله».

٦٨-عرف الاستعاذة واذكر أنواعها؟

ج:الاستعاذة : طلب الإعاذة، والإعاذة: الحماية من مكروه فالمستعيذ محتمي بمن استعاذ به ومعتصم به.

والاستعاذة أنواع:

الأول: الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق ﴾إلى آخر السورة، وقوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس* من شر الوسواس الخناس ﴾ إلى آخر السورة.

الثاني: الاستعاذة بصفةٍ ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، وقوله : «أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»، وقوله : في دعاء الألم «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، وقوله: « أعوذ برضاك من سخطك» ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ {سورة الأنعام ، الآية: ٦٥} فقال: «أعوذ بوجهك»

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ {سورة الجن، الآية: ٦}

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن : «من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه»

متفق عليه، وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «فمن كان له إبل فليلحق بإبله» الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضاً عن جابر ﷺ أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة الحديث، وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث».الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان ، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

٦٩-عرف الاستغاثة واذكر أنواعها؟

ج:طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك ، وهو أقسام :

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك» فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة النمل ، الآية: ٦٢}.

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿ فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ {سورة القصص، الآية: ١٥}.

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العله، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

٧٠-عرف الذبح؟ وله وجوه متعددة اذكرها؟

ج:هو:إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص .وله وجوه متعددة:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له ﴾ .

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو إستحباباً لقوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف «أو لم ولو بشاة»

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾{سورة يس، الآيتين: ٧١، ٧٢} وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

٧١-عرف النذر؟ وما حكمه؟

ج:النذر: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما ، أو طاعة لله غير واجبة.

حكمه: مكروه ، وقال بعض العلماء: إنه محرم؛ لأن النبي ﷺ ، نهى عن النذر وقال : «إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل» ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي ﷺ : «من نذر أن يطيع الله فليطعه».**هذا نهاية الكلام على الأصل الأول ويليه الكلام على الثان**

الأصل الثانى

معرفة دين الإسلام بالأدلة

الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دينُ الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعةِ، والخُلوصُ مِنَ الشِّرْكِ وأهلِهِ؛ وهو ثلاثُ مراتب: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ.

فأركانُ الإسلامِ خمسةٌ: شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ.

فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى ؟شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ؟[آل عمرا:١٨]، ومعناها لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ وحده؛ (لا إله) نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ اللهِ (إلا الله) مُثْبِتًا العبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ، وتفسيرُها الذي يوضِّحُها قولُه تعالى ؟وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ(٢٧)وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ؟[الزخرف:٢٦-٢٨]، وقولُه تعالى ؟قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ؟[آل عمران:٢٦].

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ قولهُ تعالى ؟لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ؟[التوبة:١٢٨]، ومعنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللهِ: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ ما عنْهُ نهى وزَجَرَ، وأنْ لا يعبدَ اللهَ إلاَّ بما شَرَعَ.

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى ؟وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ؟[البينة:٥].

ودليلُ الصيامِ قولُه تعالى ؟يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ؟[البقرة:١٨٣].

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى؟وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ؟[آل عمران:٩٧].

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فهذه الرسالة تسمى ثلاثة الأصول وأدلتها، وقد ذكر -رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة- الأصل الأول، فيما مرّ معنا وهو معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد ربه، يعني به معرفة العبد معبوده؛ لأن الرب هنا بمعنى المعبود، والربوبية بهذا الموقع بمعنى العبادة، لأن الابتلاء وقع فيها، هذا أصل من الأصول، والمقبور أو الميِّت يُسأل أول سؤال عن ربه، يعني عن معبوده الذي كان يعبده، من هو؟ فإن كان يعبد الله وحده لا شريك له، أجاب بأن معبودي ربي الله يعني وحده لا شريك له، وإن كان يعبد مع الله آلهة أخرى والعياذ بالله، قال: ربي الله، وربي فلان، وربي فلان، وربي فلان. من المعبودات المختلفة، يعني معبودي فلان، ومعبودي فلان، ومعبودي فلان، مع الله جل وعلا فيسأله منكر ونكير عن دينه: ما دينك؟ فلهذا كان لزاما أن يتعلم العبد دينه بأدلة ذلك، حتى يخرج عن التقليد، ويكون اعتقاده بهذا عن علم ومعرفة وبصيرة، لا على وجه المتابعة للناس، ولهذا جاء في بعض طرق السؤال وأما المنافق أو قال الفاجر فيقول ها، ها، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. وهذا يدل على أنه يرى معهم، على التقليد، وأن التقليد لا يسوغ في أصول الدين، هذه الأصول الثلاثة، التقليد في دين الإسلام، التقليد في العبادة، التقليد في الشهادة بأن مُحَّد رسول الله، لا يكفي؛ فإذا قال قائل: أنا مسلم بحكم أني في بلد إسلام. وهو لم يعتقد هذه الأمور اعتقادا عن علم، ولو لمرة في حياته، ولو كانت قبل البلوغ فإنه لا يخلص من التبعة، فلا بد أن يعتقد ما يجب اعتقاده عن معرفة، وهي هذه الأصول الثلاثة، وعن معرفة وعلم ودليل، ولهذا الشيخ رحمه الله كما ترى توسّع في الأدلة، كل مسألة يذكرها يذكر دليلا عليها، لأن المتعلم لهذا يخرج به عن رِقَّة التقليد لمن علّمه، فيكون اعتقاده كان عن دليل، ولهذا ينبغي تعليم الصغار المميزين هذه الرسالة أو الكبار، يُعلَّمونها بأدلتها لا على وجه التفصيل كما نذكر في هذا الشرح، لكن نتعلم أن العبادة معناها كذا ودليلها كذا، فيعتقدها بدليلها، يعلم أن الله جل وعلا هو الذي فرض هذا الشيء، وهذا دليل المسألة، فيخرج عن رِبقَة التقليد بهذه المسائل العظام.

قال هنا رحمه الله تعالى (**الأصل الثاني: معرفة دين الاسلام بالأدلة**) ما هو الإسلام؟ قال (وهو الاستسلامُ للهِ بالتوحيدِ، والانقيادِ له بالطاعةِ، والخُلوص من الشرك) وهذه العبارة،

وهي الأخيرة (والخلوص من الشرك) الصواب أنها (والبراءة من الشرك وأهله) هذا هو الموجود في النسخ المعتمدة، أما (والخلوص من الشرك) فهذه ليست في النسخ المعتمدة، وهي في هذه الطبعة التي بين يدي، والصحيح في النسخ المعتمدة أن (الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله) ومن المعلوم أن (البراءة من الشرك وأهله) أدل على المراد من لفظ (الخلوص من الشرك)، لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله، ولهذا كان الأصح أن يُجعل بدل (الخلوص من الشرك) في هذه النسخة، ما هو في النسخ المعتمدة الأخرى وهي أن (الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله) وهذا هو الذي يناسب الاستدلال الذي استدل به الشيخ وهو قوله تعالى في سورة الزخرف (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) فذكر البراءة وهو الذي يناسب هذا التعريف.

والإسلام يُراد به تارة الإسلام العام، ويراد به تارة الإسلام الخاص؛ يأتي هذا في القرآن وهذا.

فالإسلام العام: يراد به الإسلام الذي خوطب به جميع الناس من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الله جل وعلا الأرض ومن عليها، بل خوطب به جميع المخلوقات كما قال جل وعلا ؟أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ؟[آل عمران:٩٨] أسلم له كل شيء كما قال ورقة بن نفيل في ما أحسب قال: وأسلمتُ وجهي لمن أسلمني له المزن تحملُ عذبًا زلالاً فالإسلام هذا العام، (الاستسلام لله) استسلام لله عن طواعية واختيار، هذا الإسلام العام الذي خوطب به جميع الخلق، حصل التكليف على آدم وبنيه قال جل وعلا؟وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ؟[الأحزاب:٧٢]، يعني حمل الإنسان الأمانة، وهي أمانة التكليف بالإسلام، قال جل وعلا؟إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ؟[آل عمران:١٩]، وهذا هو الإسلام العام الذي دعا إليه كل رسول وكل نبي من آدم عليه السلام إلى مُحَمَّد ﷺ، الجميع يدعو إلى الإسلام، وهذا الإسلام يسميه العلماء الإسلام العام؛ الذي يشترك فيه جميع الرسل.

أما الإسلام الخاص: فهو القسم الثاني، وهو المراد ها هنا، فمعرفة دين الإسلام لا يريد دين الإسلام العام، وإنما بعد بعثة مُحَمَّد ﷺ صار المقصود بالإسلام الذي طُلب من الناس أن

يدينوا به، وأن يعتقدوه، هو الإسلام الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وهو دين الإسلام الخاص، حتى صار الإطلاق؛ إذا أطلق الإسلام لا يراد به إلا دين الإسلام الذي بعث به نبينا مُحَّد ﷺ؛ الذي يشمل عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام.

ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا أكبّه الله في النار»، (لا يسمع بي) يعني ببعثتي برسالتي، وبما أرسلت به، ثم لا يؤمن بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، وفي الرواية الأخرى «أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني»، المراد أمة الدعوة، «ثم لا يؤمن بي إلا أكبه الله في النار»، فمن كان على دين الإسلام العام، وقد بُعث النبي ﷺ فإنه لا يقبل منه، لا يقبل بعد بعثة النبي ﷺ من أحد إلا أن يتبع دين الإسلام الخاص، يعني الذي بُعث به النبي عليه الصلاة والسلام، وهو المراد ها هنا، وهو الذي يحصل به الابتلاء في القبر والفتنة في القبر، يحصل الابتلاء والفتنة بدين الإسلام الذي بُعث به مُحَّد ﷺ.

قال(**هو الاستسلام لله بالتوحيد**) الاستسلام أن يكون فاعله؛ فاعل الاستسلام كهيئة المستسلم، والمستسلم لغيره تابع له لا يفعل إلا ما يريد، خلُص قلبه إلا من رغبة من استسلم له، ولو قال وهو الإسلام لله بالتوحيد لصح تعريفه، فالاستسلام هنا بمعنى الإسلام، وله أسلم، ؟وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ؟[الزمر: ٥٤]، كلها بمعنى الاستسلام والإسلام؛ الإسلام لله والاستسلام لله بمعنى واحد قيَّدَها في هذا الموضع بقوله (بالتوحيد) والتوحيد يشمل توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، والمقصود الأخص من هذه الثلاثة توحيد العبادة لأن الخصومة وقعت فيه، ومعلوم أن توحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قال (**والانقياد له بالطاعة**) الانقياد لله جل وعلا بالطاعة، يعني أن يكون منقادا غير ممانع ولا متولٍّ عن طاعة الله جل وعلا، إنما ينقاد ويذعن، كما قال جل وعلا ؟قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ؟[النور: ٥٤]، أمر بطاعة الله وطاعة رسوله، يعني الانقياد لله وللرسول،فيما أمر الله جل وعلا به وفيما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، قال فإن تولوا وأعرضوا ولم يذعنوا ولم ينقادوا (فَإِنَّمَا عَلَيْهِ) يعني على الرسول (مَا حُمِّلَ) ما حمل إياه وهو الرسالة، (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) وهو الاستجابة لله وللرسول، فإذن

هنا الانقياد له، بالطاعة لله جل وعلا، بطاعته وطاعة رسوله ﷺ الذي بعث بهذا الإسلام الأخير.

قال (**والبراءة من الشرك وأهله**)، فُسّرت البراءة بعدة تفسيرات أصلٌ وفروعه؛ أصل البراءة البُغض في القلب، يعني بغض الشرك وأهله، ويتبع ذلك؛ يتبع بُغضَهم معاداتُهم وتكفير من كفره الله جل وعلا ورسوله؛ تكفير المشركين ومقاتلتهم عند مشروعية ذلك، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت أيضا، فإن الكفر بالطاغوت هو بُغضه ومعاداة أهله، وتكفير أهل الطاغوت؛ وهم أهل عبادة غير الله جل وعلا، وقتالهم عند مشروعية ذلك، البراءة من الشرك أصلها البغض، يتبع البغض أشياء، أولا المعاداة، ثانيا التكفير ومعلوم أن التكفير تَبَعٌ للعلم، ثم قتالهم عند مشروعية ذلك وذلك أيضا مستلزم للعلم، فتلخص أن على العامة وهم من ليسوا علماء عليهم من البراءة، أصلها وهو البُغض، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم، البغض لا بد أن يُبْغِض فإن لم يبغض الشرك فإنه ليس بمسلم، إذا كان يحب الإسلام وأهله، ويحب التوحيد وأهله، ولكن لا يبغض الشرك وأهله فإنه ليس بمسلم. لكن قد يبغض الشرك وأهل الشرك باعتبار الأصل، لكنه يحب بعض المشركين لغرض من أغراض الدنيا، فهذا ليس بمشرك، وإنما ناقص إسلامه، كما أوضحت لكم فيما سبق في تقسيم الموالاة إلى موالاة وتولي، المقصود من هذا أن مسألة البراءة هذه؛ من الشرك وأهله، أصل البراءة البغض يتبعها أشياء المعاداة التكفير المقاتلة وكلها تبع للعلم، ويتنوع ذلك بحسب الناس، وأسهل ما يكون في الموحدين، عند الموحدين، عند عامتهم، معاداة المشركين، ولو لم يكن عندهم من الحجة أو من بيان تكفيرهم، ومن إقامة الدلائل على مشروعية مقاتلة أهل الشرك، فإنه قائم في قلبه بغضهم ومعاداتهم، وهذا به يحصل الإسلام.

إذن تعريف الإسلام شمل ثلاثة أشياء:

أولا: الاستسلام لله بالتوحيد.

ثانيا: الانقياد لله بالطاعة.

الثالث: البراءة من الشرك وأهله.

نلاحظ أنه بهذا شمل هذا التعريف معنى الشهادتين كما سيأتي.

هذا الدين؛ دين الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ثلاث مراتب، قال الشيخ رحمه الله (**وهو**

ثلاث مراتب الإسلام) هذه مرتبة في دين الإسلام نتيجة هذه المرتبة أن يحكم لأهلها بأنهم مسلمون، (والإيمان)، ونتيجة هذه المرتبة أن يحكم لأهلها بأنهم مؤمنون، (والإحسان)، ونتيجتها أن يحكم لأهلها أنهم محسنون، فالمحسن والمؤمن والمسلم، الجميع من أهل دين الإسلام، لكن لكل مرتبتُه الخاصة به، هم درجات عند الله.

فالإسلام: هو إقامة الأعمال الظاهرة؛ الشهادتين مع الأركان الأربعة المعروفة؛ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، مع بعض الإيمان الذي يُصحح هذا الإيمان الظاهر.

والإيمان: الإيمان بأركانه الستة؛ لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره مع بعض الإسلام الظاهر مع بعض العمل الظاهر الذي معه يصح هذا الإيمان الباطن.

والإحسان: هو مقام المراقبة لله جل وعلا.

قال**(وكل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة)** ذكرها ثم ذكر الأدلة على ذلك فقال (فدليل الشهادة قوله تعالى ؟شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ؟[آل عمرا:١٨]) وجه الاستدلال: أن الله جل وعلا شهد بذلك لنفسه، وشهد له بذلك الملائكة، وهم عُمَّار السماء، وشهد له بذلك أيضا أولوا العلم من الثقلين، قال جل وعلا (قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فبعد أن شهد بذلك لنفسه، وأخبر بشهادة ملائكته له بذلك، بشهادة أولي العلم له بذلك، أخبر مرة أخرى بمضمون ذلك فقال (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) واضح ظاهر وجه الاستدلال من هذه الآية.

ما معنى لا إله إلا الله؟ قال (معناها لا معبود بحق إلا الله وحده)، لا إله إلا الله، أربع كلمات: (لا) ثم (إله) ثم (إلا) ثم (الله)، معنى (لا) هذه حرف لنفي الجنس، وهي من أخوات إنَّ، أو تعمل عمل إنَّ كما قال ابن مالك

عَمَلَ إنَّ اجْعَلْ لِلا فِي نَكِرَة ويكون اسمها نكرة، كما قال هنا لا إله، إله؛ الإله فعال بمعنى مفعول يعني معبود، إله بمعنى مألوه يعني معبود؛ لأن الإلهة بمعنى العبادة، والألوهة بمعنى العبودية، وأصلها من أَلَهَ يَأْلَهُ، إِلَهَةً، وألوهة؛ إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء؛ إذا عبد عابد ما يعبده خائفا راجيا محبا فإنه يكون قد أَلهه، قال الراجز برجزه المشهور:

لله درّ الغانيات المُدّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي يعني من عبادتي التأله هو العبادة يعني (لا

إله) كما قال هنا، معناها لا معبود، فسر الإله بمعنى المعبود، لأن ذلك الذي يقتضيه لسان العرب، وكذلك هو الذي جاء في القرآن، قال جل وعلا ؟الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(١)أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ؟[هود:١-٢]، والذي جاء من عند الله جل وعلا هو لا إله إلا الله قال هنا (أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) فتفسير الإله بالمعبود، هذا موافق للقرآن وموافق للغة العرب، وبه تعلم أن من فسر الإله بالرب يعني بأنه القادر على الاختراع، كما هو تفسير أهل الكلام المذموم والأشاعرة والماترودية ونحوهم، فإن هذا من أبطل ما يكون؛ لأنه مناقض للغة العرب وتردُّه لغة العرب، ومناقض للقرآن ويردُّه القرآن والسنة، فإن مادة الإله غير مادة الرب، والإله هو المعبود كما أوضحت لكم في الاشتقاق، يقولون معنى (لا إله) أي لا قادر على الاختراع إلا الله، ولهذا لا يكفرون من أشرك مع الله جل وعلا إله آخر في العبادة، يقولون ما دام أنه مقر بتوحيد الربوبية، وبأن الله جل وعلا هو المتوحّد في أفعاله؛ برَزقه وإحيائه وإماتته، وفي تدبيره الأمر، وفي ملكه، وفيما يفعل، فإن هذا مؤمن.

وهذا باطل، وبعضهم يفسر الإله بتفسير آخر يرجع إلى معنى الربوبية، يقول أحد كبار وأئمة الأشاعرة، وهو السَّنوسي في كتابه المعروف بأم البراهين في العقائد الأشعرية يقول: فالإله هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه. يقول فمعنى لا إله إلا الله لا مستغنيا عما سواه، ولا مفتقرا إليه كلّ ما عداه إلا الله. فصار معنى كلمة التوحيد عندهم؛ توحيد الله جل وعلا، توحيد الله جل وعلا في ربوبيته. وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المشركين قد أخبر الله جل وعلا في كتابه بأنهم مقرون بهذا الذي جعله معنى كلمة التوحيد، يقول معنى لا إله إلا الله لا مستغنيا عما سواه، ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله. أرأيتم أبا جهل وصحبه ألم يكونوا موقنين بأنه لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله؟ هم يؤمنون بذلك كما بينه الله جل وعلا في القرآن في آيات كثيرة جدا كقوله؟وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ؟[العنكبوت:٦١]، ؟وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ؟[الزخرف:٨٧]، ؟قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ؟إلى آخر الآية قال ؟فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ؟[يونس:٣١]، ؟قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟[المؤمنون:٨٦]، ؟قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٨)سَيَقُولُونَ لِلَّهِ؟[المؤمنون:٨٨-٨٩] إلى آخر ما جاء

في هذه الآيات.

إذن فتفسير لا إله إلا الله بأنها لا معبود إلا الله هذا التفسير ليس تفسيرا اجتهاديا، وإنما هو تفسير قرآني لهذه الكلمة قال جل وعلا ؟مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(١)أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ؟[هود:١-٢]، فمن زعم أن هذا التفسير من اجتهادات إمام هذه الدعوة، فهذا مناقض أو راد أو جاهل بالقرآن العظيم، فإن الذي فسر الإلهية بهذا المعنى هو الله جل وعلا في كتابه في غير ما آية، قال جل وعلا ؟وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ؟[المؤمنون:٢٣] وهذا واضح (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) أتى بعد أمرهم بعبادة الله جل وعلا وحده دون ما سواه، وهذا مبين كثير في الكتاب والسنة والنبي ﷺ قال لحصين بن عبد الرحمن: «كم إله تعبد؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن ذا الذي تعد لرغبك ولرهبك؟» قال: الذي في السماء. فهذا معنى الإله، وهذا معنى لا إله، أي لا معبود، فهذا التفسير تفسير من القرآن، تفسير جاء من الله جل وعلا ومن نبيه ﷺ، ليس تفسيرا اجتهاديا من أئمة هذه الدعوة كما زعمه الخرافيون وأعداء التوحيد.

إذن هنا قال (معناها لا معبود بحق إلا الله) الكلمة الثانية (إله) الكلمة الثالثة (إلا) و(إلا) هذه عند بعض العلماء أداة استثناء، وعند بعضهم أداة حصر، فصار معنى (لا إله إلا الله) لا معبود إلا الله، خبر (لا) أين هو؟ لا معبود إلا الله، يعني لا معبود موجود إلا الله؟ لا معبود بحق إلا الله؟ لا معبود يُعبد إلا الله؟ خبر (لا) أين هو؟ قال العلماء: خبر لا محذوف، ذلك لأن العرب ترى في لغتها أن لا النافية للجنس يحذف خبرها إذا كان واضحا. ومن الواضح أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة أخرى يعلمون أن هناك آلهة كثيرة موجودة، لهذا لا يصح أن يقال: أن خبر (لا إله) موجود؛ لأنهم قالوا ؟أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟[ص:٥] لو كان خبر (لا إله) موجود، قالوا له هذه الآلهة موجودة، فكلمتك هذه ليست بصحيحة، لكن الخبر معلوم لأنه زبدة الرسالة، وهو ما قدره الشيخ هنا (بحق) أو يقدر (حق) بدون الباء، وذلك لأن خبر (لا) إذا حذف قُدر بالمناسب الذي يعلم، وإذا حذف الخبر كان لأجل العلم به ولوضوحه، كما قال ابن مالك في الألفية في آخر باب لا النافية للجنس يقول: وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ يعني باب لا النافية للجنس؛

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَرِ إِذَا الْمُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَر إذا ظهر المراد مع الحذف فإنه

يُحذف، ولهذا لا يحذف خبر لا النافية للجنس إلا إذا كان واضحا، إذا كان الخبر واضحا، وهنا الخبر واضح لأنه هو زبدة الرسالة؛ زبدة ما بعث به النبي ﷺ، بل هو عين ما بعث به النبي ﷺ، أن يكون تقدير الكلام: لا معبود حق إلا الله؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام بُعث لتوحيد الله جل وعلا بالعبادة ولإبطال عبادة غيره، وأنه لا معبود حق إلا الله وأن كل معبود سوى الله جل وعلا فعبادته بالباطل والظلم والطغيان والتعدي من الخلق. إذن هنا حُذِف لأنه معلوم، فصار تقديره لا إله حق -أو لا إله بحق- إلا الله، وذلك لأن الله جل وعلا قال ؟ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ؟[لقمان:٣٠]، وفي الآية الأخرى ؟ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ؟[الحج:٩٢] قال (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)، فلما كانت هذه الآية وقد جاءت في القرآن في سورتين مشتملة على أن عبادة الله حق، وأن عبادة غيره باطلة، ناسب أن يكون المحذوف هنا كلمة (حق) أو كلمة (بحق)؛ لا إله بحق أو لا إله حق، لأنها هي التي دلت عليها الآيات.

إذن فصار معنى لا إله إلا الله لا أحد يستحق العبادة إلا الله جل وعلا، لا معبود بحق إلا الله، هناك معبودات غير الله عز وجل، ولكنها معبودات بحق أو بالباطل؟ معبودات بالباطل، وصار التقدير هذا من أنسب ما يكون.

قال (**معناها لا معبود بحق إلا الله وحده**) فسر ذلك بقوله (لا إله نافيا جميع ما يعبد من دون الله) يعني الذي يقول لا إله إلا الله، ماذا يقول حين يقول لا إله؟ يقول أنفي جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله تقول وأُثبت العبادة لله وحده، لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات؛ نفي لاستحقاق العبادة عما سوى الله وإثبات للعبادة المستحقة لله جل وعلا.

قال رحمه الله هنا (لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه) عدم الشَّرِكَة في الملك تتنوع أحيانا؛ تكون -الشركة في الملك يعني مطلقا دون إضافتها إلى الله طبعا- الشركة في الملك تكون:

* بأن يكون لكل شريك قسم خاص ليس مشاعا، له قسم خاص مما اشتركا فيه؛ اشتركت أنا وأنت في ملك إبل مثلا لك خمسون و لي خمسون معروفة، هذه خمسيني معروفة بأعيانها، وهذه خمسون لك معروفة بأعيانها، أو اشتركت أنا وأنت في كتب معروفة، هذه الكتب لك

وهذه الكتب لي، هذه شركة، كل من الشريكين له قسمه استقلالا.

* الثاني أن تكون شركة مشاعة؛ للشريكان شركة مشاعة، هذا وهذا مشتركان في ملك لا يتميز منه أحدهما عن الآخر، بل هو لهما جميعا.

الله جل وعلا بَيَّن في القرآن أنه لو كان له شريك في الملك -في ملكه- لابتغى إليه سبيلا، قال جل وعلا ؟لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا؟[الإسراء:٥٢]، ولو كان معه آلهة؛ معبودات تستحق العبادة فعلا، ما الذي يلزم من ذلك؟ يلزم أنه لهم نصيبا في ملك الله، بأنه لا يستحق العبادة إلا من يملك النفع والضر (لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)، قال ؟سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؟[الإسراء:٤٣]، ليس مع الله أحد في ملكه، بل هو المتوحد في ملكه، ينتج من ذلك ويلزم أنه هو المستحق للعبادة وحده، لهذا قال له هنا (لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه)، لهذا يقول العلماء: إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلهية، الإقرار أن الله عز وجل ليس له شريك في ملكه لا على وجه الاستقلال ولا على وجه الإشاعة؛ شيوع، هذا يلزم منه لزوما أكيدا أن الله جل وعلا وهو واحد في استحقاقه العبادة، لا يستحق العبادة إلا هو، هو وحده المستحق للعبادة لا شريك له، كما أنه هو وحده له الملك لا شريك له، كما جاء في آية الأنعام ؟قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ؟[الأنعام:١٦٢-١٦٣] قد بينت لكم معناها، وأن معناها (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) لله استحقاقا (وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ) ملكا (لَا شَرِيكَ لَهُ) في عبادته و(لَا شَرِيكَ لَهُ) في ملكه (وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) هذا معنى الآية، وهذا التفسير للشيخ لكلمة التوحيد تفسير ضابط ظاهر.

أيضا قال (وتفسيرُها الذي يُوضِّحُها قوله تعالى ؟وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ(٢٧)وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ؟[الزخرف:٢٦-٢٨])، قال (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) ماذا قال إبراهيم؟ المقول سيأتي، قال (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(٢٦)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) اشتملت كلمته هذه على نفي وإثبات؛ على بُغض ومحبة، فشقها الأول؛ جزؤها الأول نفي وبغض قال(إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) هذا فيه نفي ما دام أنه تبرأ منها في نفي لاستحقاقها العبادة، ومن معنى البراءة

البغض، أو معنى البراءة البغض، فاشتمل قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ) على النفي والبغض، ثم أتى بالإثبات والمحبة فقال (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)؛ أُثبت له العبادة، ثم أتى بما يدل على المحبة فقال (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ)، محبة فيها الرجاء. هذه كلمة وهي معنى لا إله إلا الله لأنه اشتملت على براءة وعلى ولاء، اشتملت على بغض و على محبة، اشتملت على نفي وعلى إثبات. قال (وَجَعَلَهَا) يعني تلك الكلمة (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) يعني في ولد إبراهيم، ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، والأنبياء من بعده جاؤوا لتقرير هذه الكلمة، قال (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يرجو أن يرجع إليها عقبه من بعده، (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يعني إليها، أيضا يفسرها قوله تعالى ؟قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ؟[آل عمران:٦٤]، قل -يا محمد- يا أهل الكتاب؛ يا أهل التوراة ويا أهل الإنجيل ويا أهل الزبور، (تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) إلى كلمة وسط، كلمة عدل بيننا وبينكم، نعلم أنه قد جاء بها رسولكم، وقد جاء بها محمد ﷺ، ما هذه الكلمة؟ ؟أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا؟[آل عمران:٦٤]، وجه الاستدلال: أن هذه الكلمة بيننا وبينهم وهي كلمة التوحيد، تفسيرها أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا، هذا واضح؛ التفسير لكلمة التوحيد، قال مؤكدا معناها ؟وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟[آل عمران:٦٤]، يعني آلهة من دون الله، لأنهم ما ادعوا في الخلق أنه رب، بمعنى أنه يخلق استقلالا، ويرزق استقلالا، ويحيي ويميت استقلالا، هذا ما أُدعي، وكان تفسير الربوبية هنا بالإلهية، قال ؟فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ؟[آل عمران:٦٤]، آخر الآية يبين أن من ترك ما دل عليه أولها فإنه ليس بمسلم، لأنه قال (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) إذْ خالفناكم، وإذْ لم تذعنوا لهذه الكلمة سواء التي بيننا وبينكم (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا)، فأنتم لستم من أهل الإسلام.

قال بعد ذلك (ودليل شهادة أن محمدًا رسول الله قوله تعالى ؟لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ؟[التوبة:١٢٨])، (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ) هذا قسم، اللام هذه هي التي تسمى الموطئة للقسم، دائما تصحب قد؛ (لَقَدْ)، نعلم أن ثم قسما محذوفا: والله لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ، هنا المقسِم هو الله جل وعلا، أقسم بأنه قد جاءكم رسول، وهذا لتأكيد الكلام وتعظيمه بأنفس السامع؛ لأنه أُكد بالقسم، والمقسِم هو الله، والمقسَم به هو الله جل وعلا، على مجيء الرسول لنا من

أنفسنا، (مِنْ أَنفُسِكُمْ) يعني من جنسكم، من بني جلدتكم، يتكلم بلسانكم وتعقلون عنه، هذا واضح الدلالة على الشهادة بأن مُحَّدا رسول الله، لأن معنى شهادة أن مُحَّدا رسول الله أن تعتقد أن مُحَّدا أرسله الله جل وعلا بدين الإسلام، تعتقد ذلك اعتقادا يصحبه قول وإخبار عنه، وهذه الآية واضحة الدلالة على المراد.

بيّن معنى شهادة أن مُحَّدا رسول الله، قال (ومعنى شهادة أن مُحَّدا رسول الله طاعته فيما أمر) هذا التفكير والمعنى بالمقتضى، يعني معناها التي تقتضيه؛ تقتضي طاعته فيما أمر، إذن فمعنى شهادة أن مُحَّدا رسول الله طاعته فيما الأمر، كونك شهدتَّ أنه مرسل من عند الله، معنى ذلك أنه إذا أمرك فإن الآمر هو الله جل وعلا، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داوود وغيره، الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام «ألا إن ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله» إذا اعتقدت أن هذا الذي جاء به مُحَّد ﷺ لم يأتِ به من عنده وإنما هو رسول، فمعنى ذلك أن تطيعه فيما أمر، هذا مقتضى لكونك شهدت بأنه رسول الله، فإن لم تطعه فيما أمر اعتقادا أنه لا يطاع، كان ذلك تكذيبا لشهادته، فمن قال أشهد أن مُحَّدا رسول الله، وهو يعتقد أنه لا تلزمه طاعة الرسول ﷺ، فحاله حال المنافقين؛ شهادته مردودة، كاذب في شهادته، وأما إذا اعتقد أنه تجب عليه طاعة الرسول ﷺ فيما أمر وخالف لغلبة هوى، فهذا يكون عاصيا قد نقص من تحقيقه لشهادة أن مُحَّد رسول الله بقدر مخالفته.

قال (**وتصديقه فيما أخبر**) ما أخبر به النبي ﷺ من الغيب وحي من عند الله، ولا يتخرّف عليه الصلاة والسلام، لهذا ما أتى من أخبار الغيبيات، يعني الكلام على الله جل وعلا، أسمائه وصفاته وأفعاله، عن الجنة والنار، عن أخبار الغيب، عن قصص الماضين، هو كله بوحي من الله جل وعلا، فمقتضى أنك شهدت أنه رسول الله أن تصدقه فيما أخبر، وألا يكون في قلبك شك، في أن ما أخبر به حق، وأن كل خبر أخبر به النبي ﷺ نقول: عليه الصلاة والسلام فيه صادق. ولو كنا لا نرى ذلك الشيء، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه قال: حدثني الصادق الصدوق. يعني به رسول الله ﷺ، فالمؤمن يصدق رسول الله بما أخبر به، سواء عقل ذلك أو لم يعقله، وسواء أدرك ذلك بنظره أو لم يدركه، فقد كان الصحابة يتناقلون فيما بينهم الأخبار الكثيرة عن رسول الله ﷺ بأن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل، وكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث يقول لأصحابه، ولمن

ينقل عنه الحديث من تلامذته، يقول: فإذا لقيه أحدكم فليقرئه مني السلام. تصديق لا يصاحبه شك، إذا كان المؤمن يعتقد أنه رسول الله، فمعنى ذلك أن كل خبر أخبر به فهو حق، بلا شك وبلا ريب عليه الصلاة والسلام.

قال **(ومن معناها اجتناب ما عنه نهى وزجر)** والأصل في النهي والزجر التحريم؛ لأنها نهي زاجر كما هو مقرر في الأصول، فما نهى عنه الرسول ﷺ أو زجر عنه أو حرمه فإنه يجب اجتنابه طاعة له عليه الصلاة والسلام، كما قال جل وعلا ؟وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا؟[الحشر:٧]، وما أتاكم الرسول من الأوامر أو من الأخبار فخذوه امتثالا للأمر وتصديقا بالخبر، وما نهاكم عنه فانتهوا، ما نهاكم عنه يجب عليكم أن تتركوه طاعة لله جل وعلا ولرسوله، وهنا نقول مثل ما قلنا أولا أن من لم يجتنب ما نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وزجر، اعتقادا أنه لا يجب عليه الانتهاء، يعني لم يلتزم ذلك، لم يلتزم أنه مخاطب بهذه المنهيات، فهذا قدح في الشهادة، فلا يكون شاهدا بأن مُحَّمدا رسول الله، وإن كان يقولها بلسانه، وإن التزم ذلك، قال: نعم، نلتزم بالذي نهى عنه النبي ﷺ ويجب تركه. لكن غلبته نفسه وخالف ذلك قليلا كانت المخالفة أو كثيرا في نفسه أو في غيره، فإن ذلك يكون نقصا في شهادته ومعصية لله ولرسوله.

قال (وألا يعبد الله إلا بما شرع) يعني لا يُعبد بالبدع والأهواء والمحدثات، وإنما يُعبد الله جل وعلا بالطريق وعلى الطريق التي بينها نبيه ﷺ، لا يُعبد الله جل وعلا بالأهواء والآراء والاستحسانات المختلفة، إنما يُعبد الله جل وعلا عن طريق واحدة وهي طريق الرسول صلى الله عليه وسلم بما شرعه هذا الرسول، فإذا اعتقد المسلم ذلك كمُلت له شهادته بأن مُحَّمدا رسول الله وصار مسلما حقا.

بعد ذلك قال(ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى ؟وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ؟[البينة:٥]) بين أن هذه الأشياء مأمور بها، وهي دليل على أنها من دين الإسلام، ثم ذكر دليل الصيام، ثم ذكر دليل الحج وهذه واضحة ظاهرة.

بهذا يتبين المرتبة الأولى من الأصل الثاني؛ ألا وهي مرتبة الإسلام، وأعظم أركان الإسلام الشهادتان، فعلى طالب العلم أن يكون معنى الشهادتين واضحا في قلبه، واضحا في

ذهنه، فاهما له، بحيث يستطيع أن يعبر عن ذلك بأيسر عبارة وبتنوع العبارة، لأن أعظم ما يدعا إليه ما دلت عليه الشهادتان، فعلى طالب العلم أن يعوّد لسانه على تفسير الشهادتين بتنويع العبارة، وعلى حفظ الأدلة التي فيها معنى الشهادتين، وعلى تفسير ذلك، وإذا دَرَبَ على ذلك، فسوف يرى أنه ستفتح له أبواب بفضل الله جل وعلا وبرحمته بمعرفة التوحيد وحسن التعبير عنه، وأما أن يترك طالب العلم نفسه لفهم ما دلّت عليه، دون أن يمرن نفسه على تأدية المعنى وتعليمه لأهله وللصغار، ولمن حوله ولمن يلقاه ممن لا يعلم حقيقة معنى هذه الكلمة، فإن هذا تضيعه النفس ولا يصدق على فاعله أنه طالب العلم؛ لأن العامي هو الذي يفهم ذلك؛ يفهم ذلك فهما، لكن لا يستطيع أن يعبر عن فهمه بالتعبير العلمي الصحيح، وأما طالب العلم فعليه أن يهتم بأصل الأصول هو تفسير الشهادتين، ومر معنا بعض ما يتصل بتفسيرها.

أسأل الله جل وعلا أن يلهمني وإياكم الرشد والسداد، وأن يجعل ألسنتنا لاهجة بالثناء عليه وبذكره، وجوارحنا مقيمة على طاعته، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد.

مرتبةُ الإيمانِ:

الإيمانُ، وهو بضعٌ وسبعونَ شعبَة، فأعلاها قولُ لا إله إلاّ الله، وأدْناها إماطةُ الأذَى عنِ الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنَ الإيمانِ، وأركانُهُ سِتَّة: أنْ تؤمنَ بالله، وملائكَتِهِ، وكتبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، والدليلُ على هذه الأركانِ الستَّةِ قولُه تعالى ؟لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ؟[البقرة:١٧٧]، ودليلُ القَدَرِ قوله تعالى ؟إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ؟[القمر:٤٩].

هذه المرتبة الثانية، وهي مرتبة الإيمان، والإيمان أصله:

في اللغة: كما سبق أن ذكرت لكم هو التصديق الجازم، فهو تصديق وجزم.

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل واعتقاد، أو نقول الإيمان في الشرع قول وعمل؛ لأن القول هو قول اللسان وقول القلب، والعمل عمل القلب وعمل الجوارح.

فإذا قال من قال من أهل السنة: إن الإيمان قول وعمل. فهو بمعنى من يقول: قول وعمل واعتقاد.

لأن القول ينقسم إلى قول اللسان وقول القلب:

* قول اللسان: هو النطق والإقرار ظاهرا بنطقه.

* وقول القلب: النية.

عمل القلب وعمل الجوارح:

* عمل القلب: أقسامه كثيرة، منها أنواع الاعتقادات، ومنها أنواع العبادات القلبية؛ الخشية والخوف والرجاء، فالعلم أنواع العلميات هذه من أعمال القلب، وكذلك عبادات القلب المتنوعة هذه أعمال قلبية.

* وكذلك عمل الجوارح.

وهذا بمعنى قول من قال: إن الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمان، وينقص بطاعة الشيطان.

قال أهل العلم إن هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل الابتلاء به، فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع، وصارت حقيقتها الشرعية هو ما وصفت لك من أن الإيمان

يشتمل على قول اللسان والعمل بالأركان والاعتقاد وأنه يزيد وينقص.

الإيمان كثيرا ما يأتي في القرآن ويراد به اللغوي، وكثيرا ما يأتي في القرآن ويراد به الشرعي، بمثل الألفاظ الأخرى كالصلاة فإنها تأتي ويراد بها اللغوي؛ الصلاة اللغوية وهي الدعاء والثناء، ويأتي ويراد بها الصلاة المعروفة ومما ذكره بعض أهل العلم المحققين، ومما ذكره بعض أهل العلم من ذوي التحقيق:

* أن الإيمان اللغوي في القرآن كثيرا ما يُعدّى باللام كقوله تعالى ؟وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ؟[يوسف:١٧]، كقوله ؟فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ؟[العنكبوت:٢٦]، ونحو ذلك من الأمثلة وما سبق أن ذكرت لك.

* والإيمان الشرعي المنقول عن أصله اللغوي الذي يراد به العمل والقول والاعتقاد هذا يُعدى كثيرا بالباء ؟آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ؟[البقرة:٢٨٥]، إلى آخر الآية قال؟فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا؟[البقرة:١٣٧]، ونحو ذلك من الآيات وكقوله ؟وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا؟[النساء:١٣٦].

هذا الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويراد به تارة الاعتقادات الباطنة، وهو الذي يناسب المرتبة الثانية، لأن المرتبة الأولى هي الإسلام، وهي ما يشمل العمل الظاهر كما جاء في حديث جبريل، فقد جاء في بعض طرقه أنه ذكر عليه الصلاة والسلام لجبريل أن من الإسلام بعد الحج الغُسل من الجنابة، ومنه الذكر، ونحو ذلك مما هو من جنس الأعمال الظاهرة. وأما الإيمان: فهو العقائد الباطنة؛ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر.

الشيخ رحمه الله تعالى هنا قال (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وهذا يعني به اسم الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام؛ لأن الإيمان أوسع من الإسلام، والإسلام بعض الإيمان، وأهل الإيمان أخص مرتبة من أهل الإسلام، لهذا الإيمان يشمل الإسلام وزيادة، بهذا المعنى ولهذا المعنى قال الشيخ رحمه الله (وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله) ومن المعلوم أن قول لا إله إلا الله أنه أول أركان الإسلام؛ شهادة لله بالتوحيد بقول لا إله إلا الله مع توابع ذلك هذا الركن الأول، فهنا عدَّ قول لا إله إلا الله أعلى شعب الإيمان، وهذا لأن الإيمان يشمل الإسلام وزيادة، وهذا قد جاء مبينا في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري

ومسلم وغيرهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال «الإيمان بضع وستون أو قال بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» فذكر أن أعلى شُعب الإيمان لا إله إلا الله، وقوله شُعب هذا تمثيل للأيمان بالشجرة التي لها شعب ولها فروع، وقد مثل عليه الصلاة والسلام بأعلى الشعب وبأدنى الشعب، ومثّل بشعبة من الشعب، وهذه الثلاث التي ذكرها عليه الصلاة والسلام متنوعة:

* فالأول وهو أعلاها قول: قول لا إله إلا الله.

* وأدناها إماطة الأذى عن الطريق هذا عمل.

* والحياء شعبة من الإيمان، الحياء عمل القلب.

فذكر في هذا قول لا إله إلا الله، وهذا قول باللسان، ولا شك أنه يتبعه اعتقاد بالجنان، وذكر الحياء أيضا وهو عمل بالقلب، وذكر إماطة الأذى عن الطريق وهو عمل الجوارح، فتمثيله عليه الصلاة والسلام لذلك لأجل أن يُستدل لكل واحد من هذه الثلاثة؛ لكل شعبة من هذه الشعب على نظائرها:

فيُستدل بكلمة التوحيد بقول لا إله إلا الله على الشعب القولية.

ويُستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية؛ عمل الجوارح.

ويُستدل بذكره الحياء على الشعب القلبية.

وهذا من أبلغ ما يكون من التشبيه والتمثيل، وذلك لأن التنويع -كما نوع عليه الصلاة والسلام- يجعل الناظر يُعدّي هذا الذي ذكر إلى أمثال تماثلها كثيرة، ولهذا العلماء اختلفوا في شعب الإيمان بِعَدِّها، عَدَّها جماعة وصنفوا فيها مصنفات كما صنف الحليمي كتابه، الشيخ البيهقي كتابه، كتاب الإيمان؛ المنهاج في شعب الإيمان وهو مطبوع، وتلاه على ترتيبه وعلى نصقه البيهقي موسعا داعما بالأدلة في كتابه شعب الإيمان، ونحو ذلك، عدُّوها على اجتهاد منهم، وهذا الاجتهاد يختلف فيه العلماء، فمنهم من يعد خصالا من شعب الإيمان، ومنهم من يعد أخرى، وسبب ذلك اجتهادهم في قياس ما لم يذكر على ما ذكر، فيجعل بعضا منها قولية، ويجعلون بعضا منها عملية، ويجعلون بعضا منها لعبادات القلب، وهم يقسمونها في الغالب أثلاثا: فيجعلون للقوليات نحوًا من خمس وعشرين شعبة، ويجعلون للعمليات نحوًا من خمس وعشرين شعبة، ويجعلون لأعمال القلوب نحوًا من سبع وعشرين أو خمس وعشرين

شعبة، يزيدون و ينقصون.

المقصود أن هذا اجتهاد، اجتهاد من العلماء، لكن هذا التمثيل يدل على ما ذكرت لك من استيعابه للأقوال وأعمال الجوارح وأعمال القلوب، إذن فيدخل في هذه الشعب، شعب الإسلام: إقام الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، الحج، الجهاد، الغسل، الطهارة، ونحو ذلك، يدخل فيها الأعمال الاجتماعية التي أُمر بها؛ صلة الأرحام، بر الوالدين إلى آخره، يدخل فيها أعمال القلوب من الخشية والإنابة والحياء والمحبة والرجاء والخوف والرهب والرغب إلى آخر هذه الأمثلة، فكل هذه من الإيمان ودليل ذلك الحديث الصحيح الذي جاء في الصحيحين.

بعد أن ذكر ذلك قال رحمه الله تعالى (وأركانه ستة أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)

الإيمان بالله يشمل: الإيمان بوجود الله؛ بأن الله واحد في ربوبيته، وأنه واحد في إلهيته لاستحقاقه العبادة، أنه واحد في أسمائه وصفاته، يعني ليس كمثله شيء في أسمائه، وليس كمثله شيء في صفاته كما قال تعالى ؟لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ؟[الشورى:١١]، فبيان قوله أن تؤمن بالله هو شرح التوحيد كله.

قال **(وملائكته)** الملائكة جمع ملك، وهو المرسل لأن أصلها (مَأْلَكَ) من (أَلَكَ) يعني أرسل رسالة خاصة، أَلَكَ يألك أَلُوكَةً، والمرسل مألك أو مَلْأَك، وأصلها مألك؛ لأنها من أَلَكَ، خُففت الهمزة كما تخفف كثيرا فصارت ملَك، وجمعها ملائكة، لهذا ظهر في الجمع الهمز؛ لأن أصله في المفرد موجود، الملك جمعه ملائكة ظهر الهمز، ومفرد الملائكة ملأك إلى آخره. يعني المرسلون الموكلون بما وكلهم الله جل وعلا به.

هذا الركن من أركان الإيمان تحقيقه يكون بأن يؤمن المسلم بأن لله جل وعلا ملائكة، خلق من خلقه جل وعلا، جعلهم موكلين بتصريف هذا العالم، يأمرهم فينفذون ؟بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ؟[الأنبياء:٢٦]، ؟لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ؟[التحريم:٦]، فمن أيقن أن هذا الجنس من خلق الله موجود، وآمن بذلك، وأن منهم من ينزل بالوحي إلى الرسل، يبلِّغهم رسالات الله فقد حقق هذا الركن من أركان الإيمان، ثم بعد ذلك يكون الإيمان التفصيلي على نحو ما فصلت لكم في شرح الأربعين، يكون الإيمان التفصيلي، وهذا

يختلف فيه الناس بحسب العلم، لكن المقصود هنا أن تحقيق هذا الركن من أركان الإيمان يكون بتحقيق ما ذكرت، وبعد ذلك الإيمان بكل ما جاء بالكتاب والسنة من أوصاف الملائكة ومن أحوالهم؛ صفة خلقهم ومقامهم عند ربهم، وأنواع أعمالهم وأعمال ما وكلوا به، فكله من الإيمان التفصيلي، من علم شيئا من النصوص في ذلك وجب عليه الإيمان، لكن تحقيق الركن يكون بالمعنى الأول.

كذلك الإيمان بالرسل، إذا آمن المسلم بأن الله جل وعلا أرسل رسلا؛ بعثهم بالتوحيد، يدعون أقوامهم إلى التوحيد، وأنهم بلغوا ما أمروا به، وأيدهم الله بالمعجزات، بالبراهين والآيات الدالة على صدقهم، وأنهم كانوا أتقياء بررة، بلّغوا الأمانة وأدوا الرسالة. بهذا يكون آمن بالرسل جميعا، ثم يؤمن إيمانا خاصا بمحمد ﷺ بأنه خاتم الرسل، وأنه جل وعلا بعثه بالحنيفية السمحة، بعثه بدين الإسلام الذي جعله خاتم الأديان وآخر الرسالات، القسم الثاني الإيمان التفصيلي بالرسل على نحو ما أوضحت لكم، فيه مقامات كثيرة في ذلك، يتبع العلم التفصيلي بأحوال الرسل وأسمائهم وأحوالهم مع أقوامهم وما دعوا إليه وكتبهم ونحو ذلك.

قال بعدها (وكتبه) الكتب قبل الرسل (وكتبه ورسله) الإيمان بالكتب أيضا إيمان إجمالي، يتحقق الإيمان بهذا الركن بأن يؤمن العبد أن الله جل وعلا أنزل كتبا مع رسله إلى خلقه، جعل في هذه الكتب الهدى والنور والبينات وما به يصلح العباد، وأن هذه الكتب التي أُنزلت مع الرسل كلها حق؛ لأنها من عند الله جل وعلا، والله جل وعلا هو الحق المبين، وما كان من جهة الحق فهو حق، ويوقن بذلك يقينا تاما، ثم يوقن ويؤمن إيمانا خاصا بآخر هذه الكتب ألا وهو القرآن، فكما أنه يؤمن بالكتب السابقة التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى ونحو ذلك، يؤمن بها إيمانا عاما على ما أنزله الله جل وعلا على أنبيائه ورسله، فإنه يؤمن به إيمانا خاصا بهذا القرآن، وأنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وأنه حجة الله على الناس إلى قيام الساعة، وأنه به نُسخت جميع الرسالات وجميع الكتب من قبل، وأنه حجة الله الباقية على الناس، وأن هذا الكتاب مهيمن على جميع الكتب وما فيه مهيمن على جميع ما سبق، كما قال جل وعلا في وصف كتابه ؟وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ؟[المائدة:٤٨]، وأن ما فيه من الأخبار يجب تصديقها، وما فيه من الأحكام يجب امتثالها، وأن من حكم بغيره فقد حكم بهواه، ولم يحكم بما أنزل الله. هذا كله من الإيمان

الخاص بالقرآن.

قال بعد **ذلك (واليوم الآخر)** هذا هو الركن الخامس؛ الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بيوم القيامة، وتحقيق هذا الركن يكون بأن يوقن هذا العبد يؤمن بغير شك بأن ثَم يوم يعود الناس إليه، يُبعثون فيه وإليه، يحاسبون فيه، وأن كل إنسان مَجْزِيٌّ بما فعل، لأن الأمر ليس منتهيا بالموت، بل ثَم يوم يجتمع فيه الناس فيقتص من الظالم إلى المظلوم ويحاسب الناس على أعمالهم، كما قال تعالى ؟وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ؟[الزمر: ٧٠]، إذا آمن بهذا القدر، وأن هناك يومٌ سيكون، وأنه سيبعث من جديد، فإنه قد حقق هذا الركن.

بعد ذلك الإيمان التفصيلي باليوم الآخر هذا يتبع العلم بما جاء في الكتاب والسنة من أحوال يوم القيامة، من أحوال القبور، أحوال ما يكون يوم القيامة، الإيمان بالحوض، بالميزان، الإيمان بالصحف، الإيمان بالصراط، الإيمان بأحوال الناس في العرصات، أحوال الناس بعد أن يجوزوا الصراط يعني المؤمنين الذين يدخلون الجنة، وما يكون بعد أن يجوزوا الصراط، ومن يدخل الجنة أولا، وأحوال الناس في النار ونحو ذلك، أحوال الظُّلمة، أحوال الجسر، هذه كلها أمور تفصيلية لا يجب الإيمان بها على كل أحد، إلا من سمعها في النصوص فإنه يجب عليه الإيمان بما سمع، لكن لو قال قائل: أنا لا أعلم هل ثَمَّ حوض أم لا؟ لا أدري هل ثم ميزان أم لا؟ ونحو ذلك، يُعرف بالنصوص فإن عرف فأنكر وكذَّب فيكون مُكذِّبا بالقرآن وبالسنة، أما تحقيق هذا المقام الذي هو اليوم الآخر، يؤمن بأن ثم يوم يعود فيه الناس، فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. فلو سألت أحدا قلت له: هل ثم يوم آخر يعود فيه الناس؟ قال: بلا شك هناك يوم القيامة يُبعث فيه ويحاسب الناس، فيه أهوال. وسكت، بهذا حقق الركن وهو الإيمان باليوم الآخر، إذا سألته هل تؤمن بالحوض؟ قال: أُوشْ الحوض؟ أنا ما أعرف هذا الحوض. هل تؤمن بالميزان؟ أنا ما أعرف. يُعرَّف النصوص الدالة على ذلك، لأن هذا من العلم التفصيلي الذي إنما يجب العلم به بعد إخباره بما جاء في النصوص عليه.

السادس قال (وبالقدر خيره وشره) الإيمان بالقدر، تحقيق هذا الركن أن يعلم ويعتقد؛ يؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت بخلق الله، قد سبق به قدر، وأن الله جل وعلا عالم بهذه الأحوال وتفصيلاتها بخلقه قبل أن يخلقهم، وكتب ذلك، وإذا آمن أن كل شيء قد سبق به قدر الله فيكون حقق هذا الركن، والإيمان بالقدر؛ الإيمان الواجب يكون على مرتبتين:

*** المرتبة الأولى الإيمان بالقدر السابق لوقوع المقدر: وهذا يشمل درجتين:**

الأولى العلم السابق: فإن الله جل وعلا يعلم ما كان وما سيكون وما يكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، علم الله السابق بكل شيء بالكليات و بالجزئيات، بجلائل الأمور وبتفصيلات الأمور، هذا العلم السابق كما قال جل وعلا في آخر سورة الحج ؟أَلَمْ تَعْلَمْ(١١) أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟[الحج:٧٠]، وقال جل وعلا ؟وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ؟[الأنعام:٥٩]، فبيَّن الله جل وعلا أن علمه بالأشياء سابق، وأنه يعلم كل شيء؛ الكليات والجزئيات، الأمور الجلية وتفاصيل الأمور، هذا العلم الأول، وهذا العلم لم يزل الله جل وعلا عالما به، علمه جل وعلا بهذه الأشياء بجميع تفاصيل خلقه، عِلْمُه بها أَوَّل يعني ليس له بداية.

الدرجة الثانية الكتابة: أن يؤمن العبد أن الله جل وعلا كتب ما الخلق عاملون، كتب أحوال الخلق وتفصيلات ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك عنده في كتاب جعله في اللوح المحفوظ، كما قال جل وعلا (وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) فأثبت أنه في كتاب وقال جل وعلا ؟وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ؟[القمر:٥٣]، يعني قد سُطِّر وكُتِب في اللوح المحفوظ، وقال جل وعلا ؟أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ؟[الحج:٧٠]، بيّن أن كل شيء إنما هو في كتاب، وهذا قد جاء أيضا في صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال:«قدر الله مقادير الخلائق يعني بالكتابة قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

هاتان الدرجتان في المرتبة الأولى؛ المرتبة الأولى تسبق وقوع المقدر، هذه المرتبة الأولى تحوي درجتين.

* المرتبة الثانية أيضا تحوي درجتين وهي تواكب أو تقارن وقوع المقدر:

أولى الدرجتين الإيمان بأن مشيئة الله جل وعلا نافذة: وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، فليس ثم شيء يحدث ويحصل في ملكوت الله جل وعلا إلا وقد شاءه الله جل وعلا، وقد أراده الله جل وعلا كونا، سواء في ذلك طاعات المطيعين أو عصيان العاصين، سواء في

ذلك إيمان المؤمنين أو كفر الكافرين، فكل شيء يحصل في ملكوت الله إنما هو بإذنه ومشيئته وإرادته الكونية؛ لأن المشيئة ما تنقسم، التي تنقسم الإرادة، بإذنه ومشيئته وإرادته الكونية، ومشيئة الله إذا أطلقت يُعنى بها الإرادة الكونية، الإرادة تنقسم إلى إرادة كونية وإرادة شرعية، فأما المشيئة فهي مشيئة الله جل وعلا في كونه، هذه الدرجة الأولى هذه تواكب وقوع المقدر، فلا يمكن أن يعمل العبد شيء يكون مقدرا من الله جل وعلا إلا وهذا الشيء قد شاءه الله جل وعلا.

الدرجة الثانية أن يؤمن بأن الله جل وعلا خالق كل شيء: كل شيء مخلوق الله جل وعلا خالقه؛ أعمال العباد، أحوال العباد، السماوات، الأرض، من في السماوات ومن في الأرض، ما في السماوات وما في الأرض، الجميع الذي خلقه هو الله جل وعلا، فإذا أراد العبد أن يعمل شيئا فإنه لا يكون إلا إذا شاءه الله جل وعلا، وخلق الله جل وعلا ذلك الشيء، طاعات المطيعين خلقها الله جل وعلا، عصيان العاصين خلقه الله جل وعلا، إذا توجه العبد بإرادته إلى أن يفعل شيء إذا شاءه الله كونا وقع بعد خلقه له، إذا لم يشأه ولو أراده العبد لم يقع، كما قال جل وعلا ؟وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟[التكوير:٢٩]، قال ؟وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا؟[الإنسان:٣٠]، مرتبة الخلق عامة.

إذن هذا الإيمان الواجب يصح أن نقول أنه إيمان تفصيلي، مرتبة قبل وقوع المقدر، العلم الأزلي؛ العلم الأول، والكتابة التي هي قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ثم ما يواكب وقوع المقدر وهو أنّ العبد عنده إرادة وعنده قدرة؛ إذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقدرة التامة حصل منك الفعل، توجهت إلى الفعل حصل منك الفعل لكن لا يحصل منك إلا بعد أن يشاء الله جل وعلا ذلك منك، وإلا بعد أن يخلق الله جل وعلا ذلك الفعل منك، الفعل فعل العبد حقيقة، لكن الخالق لهذا الفعل هو الله جل وعلا، لما؟ لأن من العبد لا يكون إلا بإرادة جازمة وبقدرة تامة، والإرادة والقدرة قد خلقها الله جل وعلا، الله جل وعلا خلق ما به يكون الفعل ويخلق الفعل نفسه إذا توجه إليه العبد.

فحصل بهذا الإيمان التفصيلي الواجب بالقدر.

وبهذا البيان تتضح لك أركان الإيمان الستة؛ الإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

القدر أدلته في القرآن أدلة عامة بذكر القدر، وأدلة مفصلة لكل مرتبة من مراتب القدر، فمن الأدلة العامة ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى وهو قوله تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) وجه الاستدلال: مجيء (كُلَّ شَيْءٍ) يعني ليس ثم مخلوق من مخلوقات الله إلا وقد خلق بقدر سابق من الله جل وعلا، لا يخرج شيء عن هذه الكلية (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) و(كُلَّ) من ألفاظ الظهور في العموم، ومنه قوله تعالى ؟وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا؟[الفرقان:٢]، وكل دليل فيه ذكر مرتبة من المراتب التي ذكرت يصلح دليلا على القدر لأنه دليل لبعضه.

هذا ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى في بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين ألا وهي مرتبة الإيمان.

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو أنْ تعبدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ، والدليلُ قولُهُ تعالى ؟إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ؟[النحل:١٢٨]، وقولُهُ تعالى ؟وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٢١٧)الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ(٢١٩)إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ؟[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]، وقولُهُ تعالى ؟وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ؟[يونس:٦١] الآية.

الإحسان الذي هو مرتبة من المراتب؛ إحسان العابد أثناء عبادته؛ وهو مقام المراقبة؛ مراقبة العابد لله جل وعلا؛ لربه جل وعلا أثناء عباداته، بل في أحواله كلها، لأنه إذا راقب ربه، بأنه قد علم أن الله جل وعلا مطلع عليه، كأنه يرى الله جل وعلا، فإن هذا يدعوه إلى إحسان العمل، وأن يجعل عمله أحسن ما يكون، وأن يجعل حاله في إقبال قلبه، وإنابته، وخضوعه، وخشوعه، ومراقبته لأحوال قلبه، وتصرفات نفسه، يجعل ذلك أكمل ما يكون لحسنه وبهائه، لأنه يعلم أن الله جل وعلا مطلع عليه.

هذا المقام -مقام المراقبة- ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. أن تكون عابدا لله على النحو الذي أمر اللهُ جل وعلا به وأمر به رسولُه، وحالتك أثناء تلك العبادة التي تكون فيها مخلصا موافقا للسنة، حالتك أن تكون كأنك ترى الله جل وعلا، فإن لم تكن تراه، فلتعلم أن الله جل وعلا مطلع عليك، عالم بحالك، يرى ويبصر ما تعمل، يعلم ظاهر عملك وخفيه، يعلم خلجات صدرك، ويعلم تحركات أركانك وجوارحك.

وبضعفه تضعف المراقبة لله جل وعلا، إذن فمقام الإحسان -مرتبة الإحسان- تعظم بعظم مراقبة الله جل وعلا، وتضعف بضعف مراقبة الله جل وعلا، فالعبد المؤمن أثناء عبادته إذا كان يعبد الله جل وعلا مخلصا على وَفق السنة، وحاله كأنه يرى الله عالم بأنه مطلع عليه يراه، هذه تجعله يحسن عمله، بل يجعل عمله وحاله أثناء العمل أحسن ما يكون.

(والدليل قوله تعالى ؟إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ؟[النحل:١٢٨]) وجه الاستدلال أن الله جل وعلا ذكر ها هنا معيته للذين اتقوا ولمن هم محسنون قال (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) وهذه المعية تقتضي في هذا الموضع شيئين:

الأول: أنه جل وعلا مطلع عليهم، عالم بهم، محيط بأحوالهم، لا يفوته شيء من كلامهم، ولا من أحوالهم، ولا من تقلباتهم.

والثاني: أنه جل وعلا معهم ناصر لهم بتأييده، ونصره وتوفيقه، المعية ها هنا معية خاصة بالمؤمنين، ومعلوم أن المعية الخاصة للمؤمنين تُفسر بما تقتضيه، وهو أنها معية نصر وتأييد وتوفيق وإلهام ونحو ذلك، وهذا متضمن للمعية العامة، وهي معية الإحاطة والعلم ونحو ذلك.

إذن وجه الاستدلال:

أولا: أنه ذكر المعية.

الثاني: أنه ذكر معيته للمحسنين فقال (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) والمحسنون ها هنا جمع المحسن، والمحسن اسم لفاعل الإحسان، ففاعل الإحسان اسمه محسن، والإحسان هو الذي نتكلم عليه؛ المرتبة الثالثة.

فإذن وجه الاستدلال من جهتين: أولا ذكر المعية، الثانية ذكر المحسنين.

(وقوله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ(٢١٧)الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) وجه الاستدلال من هذه الآية أنه ذكر رؤية الله جل وعلا لنبيه حال عبادة نبيه، وأنه يراه في جميع أحواله حين يقوم وتقلّبه في الساجدين من صحابته أثناء صلاته بهم عليه الصلاة والسلام؛ قال واصفا نفسه جل وعلا (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) وهذا دليل الشق الثاني من ركن الإحسان وهو قوله (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، دليل الرؤية ها هنا قوله (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ(٢١٨)وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) يعني في المصلين.

قال أيضا (وقوله تعالى ؟وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ؟[يونس:٦١]) وجه الاستدلال قوله تعالى هنا (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) وشهود الله جل وعلا بما يعمله العباد من معانيه رؤيته جل وعلا لهم وإبصاره جل وعلا بهم، رؤيته جل وعلا من معانيه كونه جل وعلا شهيدا، قال جل وعلا هنا (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) هذا الاستدلال ظاهر؛ لأن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك.

قال جل وعلا هنا (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ) أي شأن تكون فيه (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ) أنواع تلاوتك للقرآن، وأحوال ذلك في الصلاة، خارج الصلاة، وأنت على جنبك، وأنت قائم، أحوال ذلك (وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) أحوال عملكم، كل ذلك منكم الله جل وعلا شهيد عليه، يرى أحوالكم فيه على تفصيلاتها، شاهد وشهيد عليكم، يرى أعمالكم، يسمع كلامكم، ويبصر أعمالكم جل وعلا، وهذا دليل أيضا ظاهر الاستدلال.

والدليلُ مِنَ السُّنَّة حديثُ جبريل المشهور عن عمر ﷺ قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ ذات يوم، إذا طلع علينا رجلٌ شديدٌ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ، فاسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: «يا مُحَمَّدُ؛ اَخْبِرْنِي عَنِ الإسلام» فقال رسولُ الله ﷺ: « الإِسْلَامُ أن تَشْهَدَ أَن لا إلَهَ إلاَّ ا لله، وَأَنَّ مُحَمَدَ ا رَسُولُ ا لله، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا»، قال: «صَدَقْتَ». فعجبنا له: يسأله ويُصَدِّقُه ! قال: «فأخبرني عن الإيمان ؟»، قال:«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُ لِهِ وَاليَوْمِ الآخِرْ،وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال: «صدقت». قال: «فأخبرني عن الإحسان؟» ، قال: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهْ فَإِ نَّهُ يَرَاكْ». قال: «فَ أَخْبِرْ نِي عَنْ السَّاعة؟» قال: «مَا المسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال: «فَ أَخْبِرْ نِي عَنْ أَمَارَاتِهَا ؟» قال: «أَنْ تَلِ دَ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ». ثُمّ انْطَلَق. فَلَبِثتُ مَلِيا، ثمّ قال:« يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلت: الله ورسوله أعلَم، قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمُ يُعَلِمُكُمْ دينَكُمْ ».

ثم ذكر رحمه الله الدليل من السنة، وهو حديث جبريل المشهور عن عمر ﷺ، وهو الذي

شرحناه في الأربعين النووية، وهو ثاني الأحاديث النووية الأربعين، وبهذا يتم ذكر الأصل الثاني من أصول دين الإسلام، ألا وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

ملخص ذلك: ذكر الشيخ أن الأصل؛ الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة، عرّف الإسلام، وذكر أركانه، وذكر معنى الشهادتين، معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فسّر التوحيد وأدلة ذلك شهادة أن مُحَمَّدا رسول الله، وبين معنى الشهادة بأن مُحَمَّدا رسول الله، ثم بين أدلة أركان الإسلام الباقية، ثم ذكر المرتبة الثانية وهي الإيمان كما ذكرنا لكم هذا اليوم، ثم ذكر المرتبة الثالثة وهي الإحسان، ودلائل ذلك كله على نسق ووضوح يسهل معه الفهم ويسهل معه الإفهام.

ولهذا ينبغي لنا أن نحرص على هذه الرسالة؛ تعليما لها للعوام، وللنساء في البيوت، وللأولاد ونحو ذلك، على حسب مستوى من يخاطب في ذلك، وقد كان علماؤنا رحمهم الله تعالى يعتنون بثلاثة الأصول هذه تعليما وتعلما، بل كانوا يلزمون عددا من الناس بعد كل صلاة فجر أن يتعلموها، أن يحفظوا هذه الأصول ويتعلموها، وذلك هو الغاية في رغبة الخير، ومحبة الخير لعباد الله المؤمنين، إذْ أعظم ما تُسدي للمؤمنين من الخير، أن تُسدي لهم الخير الذي ينجيهم حين سؤال الملكين للعبد في قبره، لأنه إذا أجاب جوابا حسنا -جوابا صحيحا- عاش بعد ذلك سعيدا، وإن لم يكن جوابه مستقيما ولا صحيحا عاش بعد ذلك، والعياذ بالله على التوعد بالشقاء والعذاب.

أسأل الله جل وعلا أن يُنَوِّر بصائرنا، وأن يقينا الزلل والخطل، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شر أنفسنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد.

كان الأولى تقديم معرفة الرسول ﷺ على هذا الأصل لأنه لا بد من معرفة الله ثم المبلغ عنه وهو الرسول ﷺ ثم معرفة ما جاء به الرسول من عند الله .

الدين لغة : يطلق على الملك والعمل والجزاء والحساب . اصطلاحاً : ما شرعه الله من الأحكام والأصول والأركان على لسان رسوله .

" دين الإسلام " يقصد بالإسلام هذا المعنى العام ، فيدخل فيه الإيمان والإحسان والإسلام بالمعنى الخاص .

" بالأدلة " الباء للمصاحبة : أي أن معرفتك بالإسلام مصاحبة بالدليل ومرّ علينا مسألة التقليد في الإيمان وهل يجب بالأدلة ثم عرف المصنف الدين فقال : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله . شرح التعريف قوله الاستسلام لله أي الانقياد والخضوع .

" بالتوحيد " بإفراده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات ويكون المعنى أن تذل وتخضع لله بما يستحق من لأسماء والصفات ومن الربوبية والعبادة.

" والانقياد له بالطاعة " الانقياد هي الملاينة يقال انقاد إذا لان .

" بالطاعة " اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه وتكون بمعنى العبادة هنا ، وفيه إشكال في تعريف المصنف لم يدخل صراحة الاعتقاد في التعريف أي الإيمان ، لأننا عرفنا أن الدين يشمل الإسلام وهو العمل الظاهر والاعتقاد الباطن وهو الإيمان . وإتقان الظاهر والباطن وهو الإحسان ؟ . الجواب أن المصنف هنا ذكر الإسلام فقط لأنه بعد قليل سوف يذكر الإيمان فلما اجتمعا افترقا .

" والبراءة من الشرك وأهله " من باب عطف الخاص على العام وإلاّ فإن البراءة من الشرك تدخل في الاستسلام لله بالتوحيد لأن معنى التوحيد هو النفي وهو البراءة والإثبات وهو الاستسلام بالتوحيد ، لكن أفردها المصنف لأهميتها . أما معنى البراءة : فبرئ بمعنى تخلص وترك . ومنه يقال برئت من المرض إذا تخلصت منه ويقال استبرأت المرأة إذا لم يكن في رحمها شيء ويقال برئ من الدين إذا سقط وتخلص منه .

اصطلاحا : فهو البغض والعداوة والابتعاد عن الشرك والمشركين اعتقادا وعملاً وسكناً وقسّم **المصنف البراءة إلى قسمين** :

١- **البراءة من العمل** وهو البراءة من الشرك والكفر وهذا فرض لازم . كالبراءة من الديمقراطية ومن البرلمانات ومن الحداثة ومن العلمانية ... الخ .

٢- **البراءة من العامل** وهو الذي أشار إليه المصنف بقول " وأهله " البراءة من المشركين والكفار ، مثل أن تكره وتبغض وتعاد وتكفر العلمانيين والقوميين والحاثيين والرافضة وتبرأ من أعمالهم وتبغضهم وتعاديهم وتخرجهم من الملة .

أما كيف البراءة من هذين القسمين فكالتالي :

١- **البراءة القلبية** وهي أن تبغض المشركين والشرك بقلبك وتكرههم وتتمنى زوالهم كبغض النصارى واليهود والهندوس والشيوعيين والعلمانيين والبراليين والحداثيين والرافضة . وحكم هذا القسم فرض لازم ولا يمكن أن يسقط عن المسلم لأنه متعلق بالقلب والدليل على ذلك حديث أبي مالك الأشجعي : [من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه ، وحسابه على الله تعالى] رواه مسلم . وكذلك الآيات التي عن إبراهيم في البراءة من قومه .

٢- **براء اللسان** من الجنس للشرك وأهله بأن تبغض الكفار ودينهم باطل وأنهم كفار .والدليل قوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون } قل : أي بلسانك { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون } وهذا باللسان أنه براء من دينهم.

لكن أقل الفرض ألازم ما تعلق بالجنس والنوع بأن يذكر من الألفاظ ما يدل أنه لا يريدهم ولا يرتاح لهم ونحو ذلك وأنهم على مخالفة أو ضلال ... الخ .

٣- **براءة الجوارح** وذلك بالابتعاد وبمجاهدتهم بالجوارح وتكسير معبوداتهم ومساجدهم الشركية الضرارية وقتلهم ، والدليل قوله تعالى : { يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم } . وقوله عليه الصلاة والسلام : [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ..] رواه مسلم . وهذا القسم يجب مع القدرة ويسقط مع العجز .

" مسألة " ما حكم مساكنة المشركين ؟ هي أقسام :

مساكنتهم محبة لهم ولدينهم فهذا كفر وهو مخالف ومناقض للبراءة من المشركين لما جاء في حديث عن جرير بن عبد الله قال أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا

رسول الله لم قال لا تراءى ناراهما قال أبو داود رواه هشيم ومعمر وخالد الواسطي وجماعة لم يذكروا جريرا ، رواه أبو داود أول كتاب الجهاد باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود .

وهناك مساكنة نصرة ومظاهرة ومساكنة متابعة وموافقة وكل هذه الخمس مخرجة من الدين لأنها تولي فحكمها حكمه . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم)

مسألة : لو ساكنهم وهو يبغضهم ويبغض دينهم ولا يتولاهم لكن جلس لحاجة مع أنه يصرح بالتبرؤ منهم ويستطيع أن يجهر بدينه فهذا جائز.

أن يساكنهم من باب القهر والضرورة لأنه مجبر كما لو كانت هذا بلده وهو بلد كفر لكن أسلم ، ومع ذلك لا يستطيع التصريح بالبراءة منهم ومن دينهم فهذا يحرم مساكنتهم ويجب الهجرة مع الاستطاعة وإذا لم يستطيع فعليه أن يبتعد ويقلل من مخالطتهم ويصبر حتى يأتي فرج الله .

قوله : " وهو أي الدين ثلاث مراتب " وهذا يعني أنها مراتب بعضها أعلى من بعض فهي ليست أقسام ولا قسائم فالإسلام مع الإيمان ليس قسم منه ولا قسيم إنما هي درجات ومراتب ودوائر بعضها أوسع من بعض .

قال المصنف وكل مرتبة لها أركان ويأتي إن شاء الله تفصيل ذلك وأكثر الأركان ستة وأقلها ركنان .

المرتبة الأولى .... الإسلام :

لغة : مشتق من التسليم يقال استسلم فلان إذا انقاد وخضع ، ومشتق من المهادنة يقال تسالم بني فلان أي تهادنوا . اصطلاحا : له معنيان ، المعنى الخاص والمعنى العام .

فإن ذكر الإيمان مع الإسلام فهنا يعرّف الإسلام بالتعريف الخاص وهو الانقياد والخضوع لله بالأعمال الظاهرة كالتوحيد والصلاة و .. الخ . وإذا لم يذكر الإيمان مع الإسلام فإن تعريف الإسلام يكون واسعاً ويكون : الإسلام مطلق الانقياد لشرع الله عملا واعتقاداً وهذا معنى الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا والعكس .

وهنا يجب أن تعرفه بالتعريف الخاص فلا تدخل الاعتقاد في التعريف لأنه بعد قليل سوف يذكر الإيمان فاجتمعا هنا .

قوله : " كل مرتبه لها أركان وأركان الإسلام خمسة " الركن لغة : هو جانب الشيء الأقوى .

اصطلاحا : ما كان داخلاً في الشيء وما تتوقف عليه صحته ، بمعنى أن الإسلام متوقف على هذه الأركان ، وهي :

١ ـ التوحيد وهو شهادة أن لا إلَه إلاّ الله، وأن مُحَّداً رسول الله ٢ ـ إقام الصلاة ٣ ـ إيتاء الزكاة ٤ ـ صوم رمضان ٥ ـ حج بيت الله الحرام .

قال المصنف : خمسة والدليل من السنة : حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : " بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إلَه إلاّ الله، وأن مُحَّداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، من استطاع إليه سبيلاً، والدليل قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) .

ثم بدأ المصنف يذكر أدلة كل ركن :

١ ـ أ ـ ودليل الشهادة قوله تعالي : (شهد الله أنه لا إلَه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إلَه إلاّ هو العزيز الحكيم) ومعناها : لا معبود بحق إلاّ الله ؛ وحد النفي من الإثبات : لا إلَه نافياً جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه .

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني) وقوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) .

١ ـ ب ـ ودليل شهادة : أن مُحَّداً رسول الله، قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ومعنى شهادة أن مُحَّداً رسول الله : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

و الدليل قوله تعالى : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم .. } ومعناها لا معبود بحق إلا الله وهذا تفسير أهل السنة والجماعة لمعنى لا إله إلا الله .

وأما الأشاعرة والجهمية والرافضة والباطنية والصوفية والقبورية فإنهم يفسرونها

بـ " لا رب إلا الله " أي لا خالق ولا متصرف إلا الله ، وهذا انحراف خطير لأنهم يفسرون الألوهية بمعنى الربوبية فيقال لهم الكفار مقرون بربوبية الله فعلى كلامهم إن الكفار أتوا بـ " لا إله إلا الله " وهذا يرده الإجماع .

وأما الفلاسفة فيقولون لا موجود إلا الله فمن أثبت وجود الله فإنه موحد وعلى هذا الكلام فإبليس من الموحدين لأنه يثبت وجود الله . أما عند العلمانيين فهو الإقرار بربوبية الله وبعض الأمور الشخصية أما التشريع والحكم والأمر والنهي فليس لله .

" أركانها " أي أركان لا إله إلا الله : ركنان : أ- نفي . ب- إثبات .

النفي قال المصنف : " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله .

الإثبات : قال المصنف " إلا الله " مثبتاً العبادة لله ثم ذكر المصنف الدليل على النفي والإثبات وهو قوله تعالى : { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنه براء مما تعبدون } . وهذا موضع النفي . "إلا الذي فطرني" موضع الإثبات الدليل الثاني قوله تعالى : { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله } . فموضع النفي "ألا نعبد" وموضع الإثبات " إلا الله "

" شهادة أن محمداً رسول الله [٧] " دليلها : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم .. } أما معناها قال المصنف : " طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع " إ.هـ .

التعريف " طاعته فيما أمر " ومعنى الطاعة الموافقة على وجه الاختيار .

" فيما أمر " به على وجهين أي أوامره على قسمين :

١ – أن يأمر به على وجه الإلزام وهذا الواجب .

٢ – أن يأمر به لا على وجه الإلزام وهذا المستحب .

[٧]– مبنية على قول وعمل واعتقاد وهذا معناها .

" تصديقه " في كل ما أخبر به ونسبته إلى الصدق في الأمور الحاضرة والمستقبلة والمعينة وكل شيء .

" اجتناب ما نهى عنه وزجر " لعله يقصد الكبائر وما ورد فيه وعيد و زواجر ، لأن العطف يقتضي المغايرة . توحيد الإتباع فلا يعبد الله إلا بما جاء عن رسوله ﷺ .

٢ . " الركن الثاني إقام الصلاة " والدليل قوله تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة } .

وهذا من أركان الأساس وتارك الصلاة يكفر سواءا جحودا أو امتناعا أو كسلاً والدليل { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين } . ومفهوم الآية إذا لم يقيموا الصلاة فليسوا إخواننا بل هم كفار . وحديث جابر عند مسلم [بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة] وهذا اللفظ [ترك الصلاة] لفظ عام يشمل التارك جحوداً والتارك كسلاً أو امتناعا ، وعليه إجماع الصحابة والتابعين ، ولا يُلتفت لخلاف من بعدهم بعد أن صح الإجماع ، ونقل الإجماع شقيق بن عبد الله وإسحاق بن راهويه وقال وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى زماننا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر اهـ التمهيد ٤ / ٢٢٥ .

وابن حزم في المحلى . وقال ابن حزم في الفصل في الملل ٣ /١٢٨ فروينا عن عمر بن الخطاب ﷺ ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة ﷺ وعن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين ﷺ أن من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فإنه كافر مرتد اهـ

ونقل إجماع الصحابة إن ترك الصلاة تكاسلاً أنه يكفر نقل ذلك الأمام مُحَّد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة الجزء الثاني .

ويكفر إذا ترك صلاة واحدة إذا خرج وقتها وهو متعمداً لفعليه عالما فإنه يكفر ، وإن تركها خفية أو يصلي أحيانا ويترك أحيانا ولم يظهر ذلك فإنه يكافر كفر نفاق مخرج من الملة .

٣ . الركن الثالث أداء الزكاة والدليل : { ويؤتوا الزكاة } .

وإذا تركها جحوداً كفر إجماعاً ، وكذا امتناعا وهو إجماع الصحابة في عهد الصديق وصح من قول ابن مسعود ورواه ابن حزم في الفصل ٣ /١٢٨ عن ابن عباس .

وإن تركها كسلاً وبخلاً فيكفر كفر نفاق قال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا لله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) قال ابن كثير يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين فما وفي بما قال ولا صدق فيما ادعى فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة عياذا بالله من ذلك اهـ وعن أبي هريرة ﷺ قال أمر رسول الله ﷺ بالصدقة فقيل منع بن جميل فقال النبي ﷺ ما ينقم بن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله رواه البخاري ومسلم ، وقال تعالى (الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) .

أما حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت تستن عليه كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قال سهيل فلا أدرى أذكر البقر أم لا قالوا فالخيل يا رسول الله قال الخيل في نواصيها أو قال الخيل معقود في نواصيها قال سهيل أنا أشك الخير إلى يوم القيامة الخيل ثلاثة فهي لرجل أجر ولرجل ستر ولرجل وزر فأما التي هي له أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله ويعدها له فلا تغيب شيئا في بطونها إلا كتب الله له أجرا ولو رعاها في مرج ما أكلت من شيء إلا كتب الله له بها أجرا ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر حتى ذكر الأجر في أبوالها وأرواثها ولو استنت شرفا أو شرفين كتب له بكل خطوة تخطوها أجر وأما الذي هي له ستر فالرجل يتخذها تكرما وتجملا ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها

وأما الذي عليه وزر فالذي يتخذها أشرا وبطرا وبذخا ورياء الناس فذاك الذي هي عليه وزر قالوا فالحمر يا رسول الله قال ما أنزل الله علي فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه مسلم ، فالحديث ليس في مانع الزكاة المفروضة بدليل : أ . انه ذكر الخيل والحمير وليس فيها زكاة سائمة كالإبل والبقر كما في هذا الحديث .

ب . أن قوله في الحديث زكاته يقصد الحقوق الواجبة ويدل عليه الرواية الأخرى عند مسلم وهي : عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا لم يؤد المرء حق الله أو الصدقة في إبله وساق الحديث بنحو حديث سهيل عن أبيه ، ويفسرها حديث جابر بن عبد الله الأنصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل قال أبو الزبير سمعت عبيد بن عمير يقول هذا القول ثم سألنا جابر بن عبد الله عن ذلك فقال مثل قول عبيد بن عمير وقال أبو الزبير سمعت عبيد بن عمير يقول قال رجل يا رسول الله ما حق الإبل قال حلبها على الماء وإعارة دلوها وإعارة فحلها ومنيحتها وحمل عليها في سبيل الله رواه مسلم

وفي لفظ عند مسلم من حديث عن جابر عن النبي ﷺ قال ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن قلنا يا رسول الله وما حقها قال إطراق فحلها وإعارة دلوها ومنيحتها وحلبها على الماء وحمل عليها في سبيل الله ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو

يفر منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل

رواه مسلم .

وكذا رواه أبو داود وقال باب في حقوق المال عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعله الله يوم القيامة يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يقضي الله تعالى بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب غنم لا يؤدي حقها إلا جاءت يوم القيامة أوفر ما كانت فيبطح لها بقاع قرقر فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضت أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب إبل لا يؤدي حقها إلا جاءت يوم القيامة أوفر ما كانت فيبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها كلما مضت عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله تعالى بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قال ابن كثير في تفسير سورة المعارج : وقال الإمام أحمد عن أبي هريرة مرّ رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه إليّ فردوه فقال نبئت أنك ذو مال كثير فقال العامري إي والله إن لي لمئة حمراء أو مئة أدماء حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل واظلاف الغنم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ما ذاك يا أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها قلنا يا رسول الله ما نجدتها ورسلها قال في عسرها ويسرها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها أو رسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين

الناس فيرى سبيله وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله قال العامري وما حق الإبل يا أبا هريرة قال أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الإبل وتطرق الفحل)

قال ابن كثير وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به .

قال ابن كثير وطريق أخرى لهذا الحديث قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم وفيه الخيل الثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر إلى آخره .

قال ابن كثير ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام والغرض من إيراده ههنا قوله حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة اهـ .

ولأن الزكاة قرينة الصلاة فيقال فيها ما قيل في الصلاة تماما كما سبق وهو مذهب أبي بكر وابن مسعود ووافقهم الصحابة .

٤ . الركن الرابع الصوم والدليل { يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام .. } . وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك في تارك الزكاة والصيام .

٥ . الركن الخامس الحج والدليل : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين } .

قال ابن حزم في الفصل ٣ /١٢٨ وروينا عن عمر ﷺ مثل ذلك في تارك الحج . أي في كفر تارك الحج .

أما الدليل العام على كفر من ترك الفرائض والاركان الخمسة السابقة : قال عبد الله بن أحمد حدَّثنا سويد بن سعيد الهرويّ قال : سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء . فقال : يقولون الإيمان قولٌ وعملٌ ، والمرجئة أوجبوا الجنَّة لمن شهد أَنَّ لا إله إلا الله مصرَّاً بقلبه على ترك الفرائض وسمُّوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم ، وليس بسواء لأَنَّ ركوب المحارم من غير استحلالٍ معصية، وترك الفرائض متعمِّداً من غير جهل ولا عذر هو كفر .اهـ السنَّة لعبد الله بن أحمد .

قال الحميديّ في أصول السُّنَّة : ، إنَّما الكفر في ترك الخمس التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بُنِيَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت .

و إن كانت طائفة ممتنعة ذات شوكة رفضت أن تلتزم الزكاة ، أو تلتزم الصوم أو الحج فإنها تقاتل على الكفر كما أفتى بذلك ابن تيمية – رحمه الله – وهو قتال على الردة واستدل بمقاتلة الصحابة لمانعي الزكاة .

مسألة : انتهى المصنف من ذكر الأركان الخمسة المعروفة ، فهل هناك أركان غيرها ؟ .

بعض أهل العلم يزيد ما جاء في حديث الحارث الأشعري حدثه أن النبي ﷺ قال آمركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب قال مُحَّد بن إسماعيل الحارث الأشعري له صحبة وله هذا الحديث ، ورواه ابن حبان وصححه ثم قال : الأمر بالجماعة بلفظ العموم والمراد منه الخاص لأن الجماعة هي إجماع أصحاب رسول الله ﷺ فمن لزم ما كانوا عليه وشذ عن من بعدهم لم يكن بشاق للجماعة ولا مفارق لها ومن شذ عنهم وتبع من بعدهم كان شاقا للجماعة والجماعة بعد الصحابة هم أقوام اجتمع فيهم الدين والعقل والعلم ولزموا ترك الهوى فيما هم فيه وإن قلّت أعدادهم لا أوباش الناس ورعاعهم وإن كثروا اهـ

وعن أبي ذر قال رسول الله ﷺ من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، رواه أبو داود.

وبعض العلماء يزيد ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعضهم يزيد ركن النصح ، لأن الرسول ﷺ بايع عليهما .

وقال أبو قاسم الأصبهاني في كتابه المحجة ٢ / ٥٠٧ فصل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنان وثيقان من أركان الدين يجب على المرء أن لا يهملهما .

والذي يظهر لي أنها أركان لقيام المجتمع الإسلامي وباعتبار إقامة كيان للمسلمين ودولة فلا بد من هذه الخمسة .

قال المصنف المرتبة الثانية " الإيمان " وهو لغة : التصديق { وما أنت بمؤمن لنا } .

اصطلاحا : فالإيمان له معنيان : معنى عام وخاص ، فإذا تفرد عن الإسلام فيفسر بالمعنى العام ويكون الإيمان قول باللسان وعمل (سواءً بالجوارح أو القلب) واعتقاد بالجنان . أي هو الخضوع والإتيان بالدين كله عملاً واعتقاداً . والسلف يفسرون الإيمان بكلمات أقلها اثنتان . قول وفعل . وأكثرها ست كلمات . قول وعمل واعتقاد ونية ومتابعة وإخلاص .

وأما إن اجتمع مع الإسلام فيفسر بالتفسير الخاص : وهو التصديق والاعتقاد بما جاء من شرع الله . وعلى ذلك فالإيمان يطلق على العمل الباطن والإسلام على الأعمال الظاهرة .

" مسألة " أركان الإيمان تعريف الركن ما لا يصح الإيمان إلا به وهي أركان ستة .

قال المصنف وأركانه : ستة، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر ، والقدر خيره وشره كله من الله .

قال المصنف " وهو يضع وسبعون شعبة " البضع من الثلاثة إلى التسعة والشعبة هي الطائفة والخصلة .

" أعلاهاً أي أعلى الشعب بمعنى الإيمان العام وإلاّ فإن قول لا إله إلا الله إسلام لأن الإسلام الأعمال الظاهرة . ومنه القول ، إلا إن قصد بالقول هنا قول القلب .

أما أعلاها : بالمعنى الإيمان الخاص فهو اعتقاد ما في شهادة أن لا إله إلا الله لأن الإيمان بالمعنى الخاص هو الاعتقاد .

" أدناها " بالمعنى العام " إماطة الأذى عن الطريق " والحياء شعبة من الإيمان " وهذا بالمعنى الخاص لأن الحياء عمل قلب واعتقاد . والمصنف هنا ذكر ثلاث جهات وذكر عمل كل جهة فجهة اللسان مثل لا إله إلا الله وجه الجوارح مثّل لها بإماطة الأذى ، وجهة القلب مثّل لها بالحياء .

أما الأركان فهي ستة كالتالي :

١ . " أن تؤمن بالله " ومعناه التصديق بأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته.

٢ . " الإيمان بالملائكة " وهو التصديق بوجودهم وبما وكل إليهم من أعمال .

٣ . الإيمان بالكتب بما نزل الله من كتب على رسله .

٤ . الإيمان بالرسل وهو التصديق بما أرسل الله من رسل والإيمان بهم . " ورسله " ويدخل فيه الأنبياء فيجب الإيمان بهم ، والرسل هنا يقصد المعنى اللغوي . وهناك فرق بين الرسول والنبي .

الرسول .. لغة : المرسل أي المبعوث . اصطلاحا : من بعثه الله إلى قوم كفار وجاءهم بشرع جديد ولا يلزم من كونه رسولا أن ينزل عليه كتاب بل قد يكون على كتاب من قبله فإسماعيل رسول وهو على شريعة أبيه إبراهيم .

قولنا : أتى بشرع جديد : أي جديد على الكفار وإن كان موجوداً عند آخرين . والنبي .. لغة : مأخوذ من النبأ ومأخوذ من الارتفاع . وأما في الاصطلاح فالمشهور أنه من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ وهذا التعريف خطأ وعليه انتقادات بل الصحيح أن النبي أوحي إليه وأمر بالتبليغ ويدل على ذلك قوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي } أي وما أرسلنا من نبي . وقوله تعالى { فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين } فالنبي يبعث وأمر بالتبليغ ومن السنة حديث جابر [أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ثم قال وبعثت إلى الناس عامة وكل نبي يبعث إلى قومه خاصة] وهو في الصحيح .

أما الفرق بين الرسول والنبي فالفرق من وجهين : من جهة المرسل إليهم . فالرسول مرسل إلى الكفار ، والنبي إلى المؤمنين . ومن جهة الشرع فالرسول أتى بشرع جديد والنبي على شريعة من قبله وأفضل الرسل هم أولوا العزم الخمسة (مُحَمَّد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام) وأفضل الخمسة مُحَمَّد ثم إبراهيم وأما الثلاثة فمسكوت عن التفضيل بينهم

فيما أعلم ، ويحتمل أن يُنزّل تفضيلهم على مقتضى حديث الإسراء حسب طبقاتهم في السماء ويحتمل على حديث الشفاعة الطويل ، والله اعلم .

٥ . " الإيمان باليوم الآخر " أي التصديق باليوم الآخر وبالحساب والعقاب والجنة والنار وعذاب القبر .

٦ . أن تؤمن بالقدر خيره وشره أي أن تصدق بما قضاه الله وقدره . وكيفيه الإيمان بالقدر : أن تؤمن أن الله علم بالشيء قبل وجوده ومشيئته له وكتابته له في اللوح المحفوظ وأن الله أوجده .

قوله : " شره " ظاهره أن القدر فيه شر ولكن هذا فيه تفصيل أما باعتبار فعل الله وقضائه وقدره فكله خير ليس فيه شر لحديث [والشر ليس إليك] أما باعتبار الناس ففيه شر فالكفر والمعاصي وإبليس شر [٨] . إذا فهو باعتبار فعل الله خير وأما باعتبار فعل الخلق فهو شر . والدليل على أركان الإيمان : قوله تعالى { ليس البر أن تولوا .. } ودليل القدر : { إنا كل شيء خلقناه بقدر } .

قال المصنف المرتبة الثالثة .. الإحسان : تعريفه لغة : مشتق من الحسن ويطلق على الإتقان والإجادة . واصطلاحاً : فهو إتقان الظاهر والباطن أي إتقان الإسلام والإيمان. وهو أعلى المراتب فإذا أتقن الإنسان وأحسن في إسلامه وأتقن كذلك إيمانه فإنه يكون من المحسنين .

مسألة : أركان الإحسان : قال المصنف له ركن واحد وعرف المصنف هذا الركن " أن تعبد الله كأنك تراه " تعبد الله عبادة متقنة مجردة . ومعنى أن تعبد الله أي تذل وتخضع لله في أعمالك الظاهرة واعتقاداتك الباطنة .

وهذا الركن له مرتبتان :

(أ) مرتبة الاستحضار وتعريفها أن تعبد الله كأنك تراه [٩] فتستحضر في عبادتك أنك بين يدي الله .

(ب) مرتبة الإطلاع وأشار إليها المصنف بقوله : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " أي أن تعبد الله وتشعر أنه مطلع عليك ويراقبك وهذا يورث أن تحسن العبادة .

---

[٨]– ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها .

[٩]– وهي مرتبة المحبة والتطلع والشوق وهي أكمل .

" مسألة " أي المرتبتين أفضل ؟ الأفضل الأولى : الاستحضار ولذلك بدأ بها في الحديث .
ثم ذكر المصنف الدليل على ذلك فبدأ بالدليل على المرتبة الأولى وهو قوله تعالى : { إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون } .. (أي متقنون) الأعمال والاعتقادات .
أما الدليل على المرتبة الثانية فذكر المصنف دليلين : { وتوكل على الله العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم } أي يطلع عليك ويراقبك وهذا يورث الإحسان في الإسلام والإيمان .
والدليل الثاني قوله تعالى : { وما تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه } أي تشهر أن الله يشاهدك وهذا يورث الإحسان في الأعمال والاعتقادات .
قال المصنف والدليل من السنة أي على مراتب الدين الثلاثة حديث جبريل المشهور : [إذ طلع علينا رجل] فيه أن الملائكة قد تتشكل في صورة رجال بإذن الله وقد جاء جبريل على هيئة دحية الكلبي . وفي الصحيح أن الملك جاء إلى الرجل في صورة أعمى وصورة أبرص وصورة أقرع .
" شديد بياض الثياب " على غير المعتاد للمسافر أن تكون ثيابه بيضاء .
" شديد سواد الشعر " أي أن بدنه ومظاهره نظيفة وهذا أول ما أشكل على الصحابة لكونه مسافراً ونظيفة خلاف عادة المسافر .
" فجاء يتخطى الرقاب حتى جلس إلى الرسول ﷺ " فتخطي الرقاب يكره إلا لحاجة .
"حتى جلس عند الرسول ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه " . جلس كما يجلس المصلي في الجلسة بين السجدتين والضمير في كفيه وفخذيه يعود على جبريل .
قوله " فقال يا مُحَّد .. " ناداه باسمه مع أن الله قال : { لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً } . ولم يذكر الصلاة والسلام على الرسول وهذا يؤيد القول الثاني أن الصلاة والسلام على الرسول عند ذكر اسمه سنة مؤكدة ، ويكون صارفاً لقوله تعالى : { صلوا عليه وسلموا تسليماً } .
ثم طرح على الرسول عدة أسئلة ، سأله عن الإسلام فأجابه الرسول ﷺ أن الإسلام هو الذل والخضوع لله بالأركان الخمسة وهي الشهادتان والصلاة والصوم والزكاة والحج ، فقال : صدقت وهذا التعجب الثاني من الصحابة لأن السائل عادة لا يصحح الجواب .

ثم طرح السؤال الثاني وسأل عن الإيمان فأخبره أن الإيمان هو الذل والخضوع لله بالاعتقادات الباطنة قال صدقت وهذا التعجب الثالث . وهذا فيه التعجب من الأشياء التي تخالف العادة . فطرح السؤال الثالث : قال أخبرني عن الإحسان فقال له : أن تذل وتخضع لله بإتقان الإسلام والإيمان لله ، ثم سأله السؤال الرابع فسأله عن الساعة : فلم يجبه لرسول عن هذا السؤال لأنه سأل عن وقتها ووقت الساعة لا يعلمه إلا الله

السؤال الخامس : سأله عن علامات الساعة فأخبره عن علامتين والجامع بين العلامتين أن فيها انعكاس للأمور فيكون أسفل الشيء أعلاه . الأولى أن تلد الأمة ربتها بحيث يصير المربي وهي الأم مربياً عندما تكثر السراري [10] ، العلامة الثانية أن يكون فقراء الناس هم أعالي الناس ثم بعد ذلك أخبر الصحابة عن السائل أنه جبريل أتاكم يعلمكم الدين] .

قوله في الحديث " الله ورسوله أعلم " تقال في حياة الرسول ﷺ أما بعد وفاة الرسول ﷺ فيقال الله أعلم إذا سئل عما لا يعلم .

١٠- الإماء .

قال رحمه الله تعالى (**الأصل الثالث معرفة نبيكم مُحَّد ﷺ**) الأصل الأول: معرفة العبد ربه يعني معبوده، والأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، والأصل الثالث: معرفة النبي مُحَّد ﷺ، والمراد ها هنا بالمعرفة العلم به على نحو ما أوضحت لكم في الكلام على الأصل الأول، فمعرفة نبيكم مُحَّد ﷺ معناه العلم به وبحاله؛ العلم بنسبه، وأنه من العرب، بل من أشرف العرب قبيلةً، وأنه كان في عمره له كذا وكذا، نبئ وأرسل، قام داعيا يدعو إلى التوحيد، وينذر عن الشرك، وما يتصل بذلك من المباحث.

فحقيقة هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي ﷺ، وهذا العلم متعلق لتكون الشهادة بأن مُحَّدا رسول الله على علم ومعرفة، فإنه إذا قال أشهد أن مُحَّدا رسول الله، فإذا قيل له من مُحَّد هذا؟ فلم يعرفه، كانت شهادته مدخولة، ولهذا فإن معرفة هذا الأصل يكون به الجواب بتوفيق الله على سؤال القبر الثالث؛ ألا وهو من نبيك؟ يشهد المسلم أن مُحَّدا رسول الله، لكن هذه الشهادة يتبعها أن يكون عالما وعارفا بمحمد هذا من هو عليه الصلاة والسلام.

فقال رحمه الله تعالى موضحا هذا الأمر (وهو مُحَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم)

تسميته عليه الصلاة والسلام بمحمد:

* قال طائفة من أهل العلم: لم يُسمّ قبله عليه الصلاة والسلام في العرب أحد بهذا الاسم، وإنما كانت العرب تسمي أحمد، وتسمي حَمْد، وكل ذلك مشتق من الحمد، يعني رغبة في أن يكون هذا الولد من ذوي الحمد، يعني ممن يحمده الناس على خصاله.

* وقال آخرون: بل العرب تَسَمَّت بمحمد، لكن قليل، إمّا اثنان أو ثلاثة، وهذا الثاني صحيح، إن صح النقل عن أهل التاريخ بتسمية أولئك النفر بمحمد، ممن هم في عصره عليه الصلاة والسلام، أو قبل ذلك بقليل.

مُحَّد معناه كثير الخصال التي يستحق عليها الحمد، فذو العرش محمود وهذا مُحَّد؛ ذو العرش الله جل وعلا صفاته وأفعاله وأسمائه كلها يُحمد عليها؛ يُثنى عليه بها، وتسمية المولود بمحمد تسمية جد النبي عليه الصلاة والسلام له بمحمد، على رجاء أن يكون من أهل خصال الخير، التي يكثر من أجلها حمد الناس له عليها، وهذا كان وصار ظاهرا، فإنه عليه الصلاة والسلام خصاله كلها، وصفاته كلها يُحمد عليها، لأن خصاله عليه الصلاة والسلام خير، حتى ما كان منه قبل البعثة قبل النبوءة وقبل الرسالة. وقد كان كثير صفات الخير، فإذن

التسمية بمحمد تسمية من قبيل التفاؤل، كانت العرب تعرف ذلك، كانوا يسمون خالدا تفاؤلا بأن يكون من أهل المكث الطويل في الدنيا؛ يعني من أهل الأعمار الطويلة، كانوا يسمون عاصيا تفاؤلا بأن يكون على أعدائهم من ذوي العصيان، كانوا يسمون صخرا ليكون شديدا كالصخر على أعدائهم... وهكذا، فكثير من العرب إذا سموا رأوا المعنى، وتسمية النبي عليه الصلاة والسلام لوحظ فيها ذلك، على رجاء أن يكون عليه الصلاة والسلام أن يكون كثير الصفات التي يحمد عليها، وكان ما أمّله جده في تسميته بمحمد، أمّل ما أمّله، فأعظم ذلك أنه كان عليه الصلاة والسلام رسولا منزلا من عند الله جل وعلا.

مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، وقريش أفضل العرب وصفوتهم، فأفضل قبائل العرب قريش، وهذا كما جاء في الحديث «إن الله اصطفى قريشا من كنانة»، وأفضل قريش بنو هاشم، وأفضل بني هاشم مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، فكما جاء في الحديث الصحيح قال بعد ذلك «فأنا خيار من خيار من خيار». قريش من العرب، والمراد بالعرب العرب المستعربة، لأن العرب قسمان عند أهل النسب:

عرب عاربة: وهؤلاء انقرضوا إلاّ قحطان في اليمن.

وعرب مستعرِبة: وهم الذين لم يكونوا أصلا من العرب، لكنهم دخلوا وصاروا عربا بانفتاق لسانهم عن العربية، وبتكلمهم بالعربية، وأكثر قبائل العرب من هذا الجنس؛ العرب المستعربة وهم العرب، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:«أول من فُتِق لسانُه بالعربية الفصحى إسماعيل عليه السلام» وذلك كما هو معلوم أن إسماعيل لما أتى به أبوه إبراهيم، وأتى بأمه وجعله في مكة، ناسب العرب فصار مُلْهَما من عند الله جل وعلا بالانفتاق؛ بانفتاق اللسان عن العربية الفصحى، وهذا كما جاء في الحديث على أن كثير من أهل النسب ينازعون في هذا الأخير.

قال (والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل) يعني أن قبائل العرب، القبائل المعروفة؛ قريش، وهذيل، بنو تميم، بنو دوس إلى آخره، أن هؤلاء جميعا من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، النسَّابون يصلون بالنسب تارات بأنساب القبائل إلى إسماعيل، ولكن المعروف عند العرب في عهد النبي ﷺ وقبله، أنهم يمكنهم وصل أنسابهم إلى عدنان، وأما بعد ذلك إلى إسماعيل فإنه لا يثبت ولا يمكن التصديق به.

العرب كثيرون، فالنبي عليه الصلاة والسلام بعث من العرب كما قال جل وعلا ؟لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ؟[التوبة:١٢٨] (مِنْ أَنفُسِكُمْ) يعني من جنسكم، من قبائلكم من جنسكم العربي، ؟عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ؟[التوبة:١٢٨] وقال جل وعلا ؟لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟[آل عمران:١٦٤]، ونحو ذلك من الآيات، فإذن النبي عليه الصلاة والسلام ابنٌ لعبد الله، وهو والده الأدنى، وابن لإسماعيل بن إبراهيم، وهو والده الأعلى، وهذان وهما عبد الله وإسماعيل هما الذبيحان، فقد جاء في حديثٍ ضعيف السند لكنه صحيح المعنى، أنه قال «أنا ابن الذبيحين» المراد بالذبيحين عبد الله لأنه كما تعلمون قصة أبيه لما استقصم فنذر أن يذبح إن خرج....(١٢) فنذر أن يذبح ولده، ثم حصل قصة ما هو معروف فصار ذبيحا، يعني قد كاد أن يذبح، إسماعيل كذلك، فهو الذي جاء فيه قول الله جل وعلا ؟يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى؟[الصافات:١٠٢] وهذا هو الصحيح، فإن الابن الذي استسلم لأبيه، صابرا، محتسبا، مطيعا، لأبيه ومطيعا لربه جل وعلا، هو إسماعيل أبو العرب.

واليهود تزعم أن الذبيح هو إسحاق، وهذا باطل، ذلك لأن الله جل وعلا قال في سورة الصافات هذه ؟فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ(١٠١)فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى؟[الصافات:١٠١-١٠٢]، فوصف هذا الابن بأنه حليم، وهذا الوصف بالحلم في القرآن لإسماعيل عليه السلام، وأما إسحاق فإنه يوصف بأنه عليم؛ قال (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) هذا من صفة إسماعيل، ولهذا في هذه الآيات بعدها قال ؟وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ؟[الصافات:١١٣] فبشّر إسحاق بعد ذلك، فالصحيح أن النبي ﷺ هو ابن الذبيح عبد الله والده الأدنى، وهو ابن الذبيح إسماعيل والده الأعلى، وأما القول بأن الذبيح إسحاق، فإن هذا باطل، وإنما دسه اليهود في المسلمين، حتى كثُر في كتب التفسير، حتى يأخذوا هذا الفخر وهو أن إسحاق عليه السلام هو الذي صبر، واحتسب واستسلم وابتلي بهذا البلاء العظيم.

قال (والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) الخليل هو إبراهيم كما قال جل وعلا ؟وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا؟[النساء:١٢٥]، ووُصف بالخُلَّة إبراهيم ونبينا مُحَّد ﷺ، فإبراهيم هو خليل الله، وموسى كليم الله، وأمّا مُحَّد عليه الصلاة

والسلام نبيُّنا فإنه اجتمع فيه الوصفان اللذان خُصَّ بهما إبراهيم وموسى، فهو خليل الله، كما أن إبراهيم خليل الله، وهو كليم الله، كما أن موسى كليم الله، كلّمه الله جل وعلا ليلة المعراج. قال هنا (وله من العمر ثلاث وستون سنة) يعني من مبدأ ميلاده إلى وفاته عليه الصلاة والسلام عمره ثلاث وستون سنة، ولد عليه الصلاة والسلام عام الفيل، العام المعروف، وعاش أربعين سنة، ثم بعد ذلك نُبئ وبعدها أُرسل، ولما مضى عليه بعد ذلك عشر سنين عرج به كما ذكر، وبعد ذلك بثلاث سنين ترك مكة إلى المدينة مهاجرا، فصار عمره إذن حين الهجرة ثلاثا وخمسين سنة، ومكث في المدينة عشرة أعوام وأشهر، وصار عمره ثلاثا وستين سنة عليه الصلاة والسلام، فصَّل ذلك فقال (منها أربعون قبل النبوة) النبوّة تسبق الرسالة، (أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا) قال بعض أهل العلم: أنه عليه الصلاة والسلام مكث ثلاث سنين نبيا، ثم عشرون سنة نبيا رسولا، لأنه كما قال الشيخ هنا (نبئ ب(قرأ) وأرسل ب (مدثر)) قال (أربعون قبل النبوة) ثم قال(نبئ) وهذان لفظان مختلفان الأول النبوة، والثاني قال نُبئ، نبئ من النبوءة بالهمز، ونُبِّيَ من النبوة، وفرق بين النبوة والنبوءة، وفرق بين النبي والنبيء لغة، أما من حيث الشرع فالنبي والنبيء واحد، وهما قراءتان مشهورتان سبعيتان متواترتان بالقرآن كله ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ﴾[التحريم:٠١]، القراءة الأخرى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ﴾[التحريم:٠١]، والنبيين، والقراءة الأخرى والنبيئين ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾[الأحزاب:٠١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ اتَّقِ اللَّهَ﴾[الأحزاب:٠١]، قراءتان مشهورتان، أشهر من يقرأ بالنبي عاصم وأشهر من يقرأ بالنبيء نافع، النبوة من الارتفاع، كأنه صار في نَبْوَة من المكان، يعني في مرتفع منه، وسبب هذا الارتفاع الإنباء، والنبوءة من الإنباء أنبأه فصار نبيئا، يعني منبئا قال (نبئ بإقرأ) هذا من الإنباء، (نُبِّيَ بإقرأ) لا يصلح؛ لأن نبي من الارتفاع، ليس من الإنباء والإخبار والإيحاء، نبي من الارتفاع فيقال: نبوة فإذا أردت الفعل تقول نبئ، أنبئ لأنه من الإنباء فإذن نقول يأيها النبي، السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، لأنه صار مرتفعا عن غيره من أهل الأرض بما أوحى الله جل وعلا إليه، أو النبوءة وهي التي هنا قال (نبئ) بمعنى أوحي إليه منبئا به، نبئ بإقرأ، قبل ذلك قال (ثلاث وعشرون نبيا رسولا)يعني يريد بعضا منها نبيا، وبعضا منها نبيا رسولا.

مرّ معنا الفرق بين النبي والرسول، وأن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، أو أمر بتبليغه لقوم موافقين، معلوم أنه إذا قلنا لم يؤمر بتبليغه، أن هذا على سبيل الوجوب، لكن قد يبلغ ولا يكون التبليغ واجبا عليه، فالنبي هو من أوحي إليه بشرع، يعني بدين، وأمر بتبليغه أو لم يؤمر بتبليغه. إذا قلنا لم يؤمر بتبليغه يعني وجوبا، وقد يبلغ ذلك استحبابا، فالنبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يرسل بالمدثر بلغ ما أوحى الله جل وعلا إليه، بلغه خاصته كأبي بكر، وكخديجة، ونحو ذلك. وهذا التبليغ على التعريف ليس على سبيل الوجوب، بل هذا من جهة الاستحباب، لأن هذه فترة النبوة، فإذا كان تعريف النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، يعني وجوبا، أو أمر بتبليغه لقوم موافقين فإنه يكون تبليغه فيما لو بلغ يكون على وجه الاستحباب، ليس على وجه المطالبة من الله جل وعلا له بذلك، وقد يطالَب؛ يؤمر بتبليغه، فإذا أمر بتبليغه لقوم يخالفونه، لقوم مشركين، فإنه يكون ذلك الأمر إرسالا، ولهذا قال (نُبِّئَ بِ(اقرأ)) قال جل وعلا بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ؟اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ؟[العلق:١٠] كما هو معروف في حديث عائشة المشهور أنها قالت –وهذا في أول الصحيح–: أول ما بُعث به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يتحنث؛ أي يتعبد الليالي ذوات العدد. وساقت خبر إتيانه بالوحي، ورجوعه إلى خديجة، وما حصل في ذلك. فنبئ باقرأ جاءه الوحي، فقال«ما أنا بقارئ»، قال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ» ظنّ عليه الصلاة والسلام أن جبريل يريد أن يقرأ شيئا مكتوبا، فقال: «ما أنا بقارئ»، يعني لست من أهل القراءة، خلافا لما قد يظن، أو ما حمل عليه بعضهم أن قوله «ما أنا بقارئ»، لست بقارئ يعني لن أقرأ، ولم يرفض هذا الطلب عليه الصلاة والسلام، لكن قال «ما أنا بقارئ»، يعني لست بقارئ، لست من أهل القراءة، لأنه لا يقرأ ولا يكتب عليه الصلاة والسلام، فقال له مرة أخرى: اقرأ. قال: «ما أنا بقارئ»، ثم جاءه في الأخيرة ككل مرة غطّه، ثم قال ؟اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ؟[العلق:١-٤]، فنزل بها رسول الله ﷺ من غار حراء الذي كان يتحنث فيه يرجف بها فؤادُه، حتى أتى خديجة، فقصّ عليها الخبر، فقالت له: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الدهر، وتصل الرحم. أو كما قالت، ثم قالت لورقة بن نوفل ما قاله لها

عليه الصلاة والسلام، وقص عليه -عليه الصلاة والسلام- الخبر، فقال: هذا والله هو الناموس الذي كان يأتي موسى. الناموس يعني ملك الوحي الذي كان يأتي موسى ليتني كنت فيها -يعني في مكة- حيا، إذ يخرجك قومُك، قال: أو مخرجي هم؟ قال: لم يأتِ أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي. فما لبث ورقة أن توفي وفتر الوحي. أو كما جاء في الحديث، حديث عائشة المعروف المخرج في الصحيحين، وهو في أوائل صحيح البخاري.

(نبئ بـ(اقرأ)) فمكث فيها مدة، وهذه المدة فتر فيها الوحي، ثم بعد ذلك أرسل بالمدثر، أنزل الله جل وعلا عليه ؟يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنذِرْ؟[المدثر:١-٢]، فصار الواجب هنا الإنذار، والإنذار يكون كما سيأتي، يكون لقوم وقعوا في شيء ينذرون عنه، فصار هذا علامة على الرسالة، (قُمْ فَأَنذِرْ) أنذر من؟ جاء مبينا في الآية الأخرى حيث قال ؟وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ؟[الشعراء:٢١٤]، هذه كانت بداية الإرسال وبداية الإنذار عليه الصلاة والسلام.

(وأُرسِل بـ(المدثر))؛ أرسل يعني صار رسولا بنزول أول سورة المدثر عليه.

(وبلده مكة) هو من أهل مكة عليه الصلاة والسلام؛ فقد كان يقول في مكة «إنك لأحب بلاد الله إلي ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت منك» بلده مكة، وكان عليه الصلاة والسلام يحبها، وذكر لما هاجر إلى المدينة أو قبل ذلك -وَهْمٌ مني الآن- قال: «إني لأعرف حجرا بمكة ما لقيته إلا سلَّم علي» كانت أحجار مكة تحبه عليه الصلاة والسلام، وهذا الحجر بخصوصه أنطقه الله للسلام عليه، عليه الصلاة والسلام قال: «إني لأعرف حجرا بمكة ما مررت عليه إلا سلم علي» يعني بصريح السلام: السلام عليك يا رسول الله.

(وبلده مكة) وهذه البلد هي التي نبئ فيها، وهي التي أرسل فيها، وهي التي بها عشيرته وقومه وأهله وقرابته، وبعثه الله جل وعلا ينذر ويبشر ؟يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١)قُمْ فَأَنذِرْ؟[المدثر:١-٢]، أوضح الشيخ هنا قال (بعثه الله بالنذارة عن الشرك يدعو إلى التوحيد)، (قُمْ فَأَنذِرْ) ينذر عن أي شيء؟ ينذر عن الشرك ، يخوّف، الإنذار إعلامٌ فيه تخويف عن شيء يمكن تداركه، لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار، هناك عندنا ثلاثة ألفاظ: إعلام، إنذار، إشعار:

الإعلام: مجرد إيصال العلم؛ خبر.

الإنذار: إعلام فيه تخويف، وهناك فترة يمكن تصحيحها.

الإشعار: إعلام فيه تخويف، لكن مدة استدراكه قليلة كما قال الشاعر:

أنذرتَ عمرا وهو في مَهَل قبل الصباح فقد عصى عمرُو فدل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكن الاستدراك بها، (ينذر عن الشرك) أيضا يخوف من النار، يخوف من عذاب الله، يخوف من سخط الله كما قال جل وعلا ؟فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ؟[فصلت:١٣] فإذا الإنذار يكون عن الشرك، وعما يكون عقابا لأهل الشرك من أنواع العقوبات، في الدنيا بالهلاك والاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب والنكال، (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) الإنذار والنهي عن الشرك مقدم هنا، قدمه على الدعوة إلى التوحيد، وهذا التقديم هو المفهوم من كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وهو المفهوم من قوله تعالى (قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، (قُمْ فَأَنذِرْ) يعني أنذر عن الشرك، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)كما سيأتي معناه، أن معناه عظمه بالتوحيد، فإذن قال (بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) هو معنى لا إله إلا الله، ذكر العلماء أن ثمَّ مناسبة ها هنا وهي أن الإنذار عن الشرك هذا فيه تخلية، والدعوة إلى التوحيد تحلية، ومن القواعد المقررة أن التَّخْلِيَة تسبق التَّحْلِيَة، لهذا النهي عن الشرك والإنذار عن الشرك إخراج لكل ما يتعلق به القلب؛ لأنه قال لا يتعلق القلب بأي أحد من هذه الآلهة، ثم إذا خلا القلب من التعلق بأحد، أمره بأن يتعلق بالله جل وعلا وحده دون ما سواه.

قال هنا (والدليل قوله تعالى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) الْمُدَّثِّرُ هو المتغطي؛ المتدثر بأغطيته وأكسيته وملابسه أو نحو ذلك. قال(قُمْ فَأَنذِرْ) هذا للوجوب، قال الشيخ رحمه الله (ومعنى (قُمْ فَأَنذِرْ) ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظمه بالتوحيد) يعني أن قوله تعالى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) معناه خُصَّ ربك بالتكبير، لأنه قدم المفعول؛ أصل الكلام: كبِّر ربك. فقدَّم المفعول على العامل فيه وهو الفعل، فدل على الاختصاص، فقال (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) قال الشيخ معنى (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي عظّمه بالتوحيد، وهذه لاشك من الشيخ رحمه الله تعالى من العلم الغزير العظيم الذي يحتاج إلى إيضاح وبسط، ذلك أن التكبير جاء في القرآن وله خمسة موارد:

١- فتكبير الله جل وعلا يكون في ربوبيته، يعني اعتقاد أنه أكبر من كل شيء يُرى أو يُتوهم أو يُتصور أنه موجود، هو أكبر من كل شيء في ربوبيته، في ملكه، في تصريفه لأمره، في

خلقه، في رزقه، في إحيائه، في إماتته، إلى آخر معاني الربوبية هذا الأول، قال جل وعلا ؟وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا؟[الإسراء:١١١]، الله أكبر يشمل هذا المعنى، ويشمل غيره من معاني التكبير التي ستأتي، إذن قوله هنا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يدخل فيه أولا اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في مقتضيات ربوبيته.

٢- الثاني أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلهية والعبادة وحده دونما سواه، فإن العبادة صُرفت لغير الله، وهو جل وعلا أكبر وأعظم وأجل من كلِّ هذه الآلهة التي صرفت لها أنواع من العبادة، فالتكبير يرجع إلى الربوبية وهو الأول، وهذا التكبير يرجع إلى استحقاقه إلى الإلهية.

٣- وتكبير وهو الثالث اعتقاد -كما قال (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)- أنَّ ربك أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته، فإنه في أسمائه أكبر من كل ذوي الأسماء، الأشياء لها أسماء، لكن أسماء الله جل وعلا أكبر من ذلك، أكبر يرجع الكبر هنا لأي شيء؟ لما فيها من الحسن، والبهاء، والعظمة، والجلال، والجمال ونحو ذلك، وكذلك في الصفات، فصفاته عُلا، كما قال جل وعلا ؟وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟[الروم:٢٧]، وقال جل وعلا ؟وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى؟[النحل:٦٠] يعني له الاسم الأعلى، وله النعت الأعلى، وقال جل وعلا ؟وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؟[الإخلاص:٤]، وقال جل وعلا ؟هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا؟[مريم:٦٥]، ونحو ذلك، فهو جل وعلا أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته.

٤- كذلك قوله (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يعني في قضائه وقدره الكوني، فالله جل وعلا في قضائه وقدره الكوني أكبر؛ يعني أن قضاءه وقدره له فيه الحكمة البالغة، وأما ما يقضيه ويقدّره العباد لأنفسهم، يقدر الأمر بنفسه، ويفعل الأمر لنفسه، فإن هذا يناسب نقص العبد، والله جل وعلا في قضائه وقدره بما يحدثه في كونه فهو أكبر.

٥- الأخير تكبير الله جل وعلا في شرعه وأمره.

قال (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) تدخل فيها هذه الخمسة، الأخير يعني اعتقاد الله جل وعلا أكبر فيما أمر به ونهى، وفيما أنزله من هذا القرآن العظيم، أكبر وأعظم من كل ما يشرعه العباد، أو يحكم به العباد، أو يأمر العباد به و ينهون عنه، ولهذا صارت هذه الكلمة (الله أكبر) من شعارات المسلمين العظيمة، يدخلون في الصلاة بها، ويرددونها في الصلاة، وهي من الأوامر الأولى التي

جاءت للنبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى له (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ).

إذا لحظت هذه المعاني الخمسة، وكل واحدة منها لها أدلة كثيرة من القرآن، تدبّر وأنتَ تقرأ القرآنَ، الآيات التي فيها ذكر تكبير الله تجد أن بعضها فيه ذكر الربوبية، وبعض الآيات فيه ذكر الألوهية، وبعضها فيه ذكر الأسماء والصفات، وبعضها فيه ذكر قضاء الله الكوني؛ أفعال الله جل وعلا، وبعضها فيه شرع الله جل وعلا، إذا اجتمعت هذه الخمس رأيت أن هذا التفسير من أحسن وأعظم ما يكون.

قال ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظِّمْه بالتوحيد) إذا اجتمعت هذه الخمس في الفهم، قال ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظِّمْه بالتوحيد) لأن معاني التكبير هي معاني التعظيم، وتلك المتعلقات هي التوحيد بأنواعه، فصار تفسير الشيخ هنا بقوله ((وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) أي: عظِّمه بالتوحيد) وهو من التفاسير المنقولة عن السلف، أنه صار ها هنا اختيارا مناسبا ملائما واضح الدلالة.

قال بعدها ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي طهر أعمالك عن الشرك)، فسّر الثياب بالعمل، الثوب أصله في اللغة ما يثوب إلى صاحبه، يعني ما يرجع إلى صاحبه، سمي اللباس –سواء كان قميصا أو إزارا أو كان سراويل، أو نحو ذلك، أو كانت عمامة–، يسمى ثوبا، لأنه يرجع إلى صاحبه في التباسه به حال لبسه، هذا أصل الثوب، ولهذا يقال للعمل أيضا ثوب، وتجمع على ثياب، باعتبار أنه يرجع إلى صاحبه، لهذا فسر قوله تعالى هنا ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي طهر أعمالك) فسر الثياب بالأعمال، لأنها راجعة إلى صاحبها باعتبار أصلها اللغوي، أو يقال إن العمل مشبه بالثوب لملازمته لصاحبه، فالثوب يلازم لابسه، والعمل كذلك يلازم عامله، كما قال جل وعلا ؟وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ؟[الإسراء:١٣]، الطائر هو ما يطير منه من العمل من خير أو شر، أُلزم به، صار ملازما له كملازمة ثوبه له، هنا اختار الشيخ أحد التفسيرين المنقولين عن السلف، وهو أن معنى ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) أي طهر أعمالك عن الشرك)، وفُسِّرت بِ:طهّر ثيابك من النجاسات، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) هذا التفسير الأعم أنسب ها هنا، لأنه يناسب ما قبله وما بعده، فإن ما قبله فيه الإنذار وتعظيم الله بالتوحيد، وما بعده فيه تركٌ للرُّجْزِ وهجر للأصنام والبراءة منها، بقي قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) فاتساق الكلام وكونه جميعا جاء بمعنى مترابط يقضي بأن يختار تفسير الثياب بالأعمال، لأن ما قبله (قُمْ فَأَنذِرْ) لينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) يعني وعظمه

بالتوحيد، (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)، ثم قال (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) التي هي الأصنام والأوثان، أتركها وتبرأ منها، الجميعُ في البراءة من الشرك، والبعد عن الشرك، والنهي عنه، والدعوة والالتزام بالتوحيد، بقي قوله (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) لها تفسيران؛ تفسير للثياب بالثياب المعروفة؛ ثياب تطهرها من النجاسة، وثيابك التي هي الأعمال، طهرها من الشرك، فصار الأنسب للثياب أن يفسر (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) بطهر أعمالك من الشرك، وهذا مما يعتني به المحققون من المفسرين، أنهم يختارون في التفسيرِ التفسيرَ الذي يناسب السياق، يناسب ما بعده وما قبله، واللغة لها محامل كثيرة، ولهذا اختلف السلف في تفسيراتهم.

قال ((وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرجز الأصنام وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلِها) يعني ترك الأصنام، وترك أهلها، والبراءة من الأصنام، والبراءة من أهلها، قال (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الرّجز: اسم عام لما يعبد من دون الله، قد يكون صنما، وقد يكون وثنا، قال ها هنا (الرجز الأصنام) يعني قوله (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) أي الأصنام أُتْرك، ويلزم من ذلك أن يترك أهلها ويتبرأ منها ومن أهلها، (الرجز الأصنام) الأصنام: جمع صنم، والصنم اسم لما عُبِد من دون الله، مما كان على هيئة صورة، عند كثير من العلماء، يعني الصنم يكون مصور على هيئة صورة؛ صورة كوكب، أو صورة جني، أو صورة شجرة، أو صورة آدمي، أو صورة نبي، أو صورة صالح، أو طالح، أو صورة حيوان، أن يكون على هيئة صورة، فإذا كان هناك شيء مصنوع على هيئة صورة -إما صورة كوكب، أو صورة مما هو على الأرض مما يعبد من دون الله- صار صنما، فإن كان ما يعبد من دون الله ليس على هيئة صورة صار اسمه الوثن لهذا قال عليه الصلاة والسلام «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» لا يصلح صنما يعبد، لأن القبر لا يكون على هيئة مصورة، قال (وثنا يعبد) لأن الوثن اسم لما يعبد من دون الله على هيئة صورة، أو على غير هيئة صورة، الوثن: اسم لما يعبد من دون الله إذا لم يكن مصورا على هيئة صورة. قال بعض أهل العلم الوثن قد يكون أيضا على هيئة صورة، فيكون الصنم ما له صورة، والوثن: يشمل ما كان له صورة وما لم يكن له صورة. وهذا هو القول الثاني، فيكون كل صنم وثنا، وليس كل وثن صنما، وأخذوا هذا من قوله تعالى في سورة العنكبوت، قال جل وعلا مخبرا عن قول إبراهيم لقومه ؟إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا؟[العنكبوت:١٧]، فحصر فقال (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) قد بين الله جل وعلا

في آيات أخر أن إبراهيم سألهم عن عبادتهم قال ?مَا تَعْبُدُونَ?[الشعراء:٧٠]، قالوا ?قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ?[الشعراء:٧١]، صار الوثن يشمل الصنم وغير الصنم، فهذا القول أدق وهو الذي أختاره أن الوثن يشمل الصنم وغير الصنم، يعني ما له صورة مما عبد من دون الله وما ليس له صورة، وأما الصنم فهو في الغالب ما كان على هيئة صورة، قال (والرجز الأصنام) ومعلوم أنه إذا نهاهم عن عبادة الأصنام، فإنه بذلك ينهاهم عن عبادة الأوثان، لأن العلة فيهما واحدة، وهي عبادة غير الله جل وعلا، وهجرها تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها.

قال (أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد) يعني بذلك أنه مكث عليه الصلاة والسلام عشر سنين يدعو قومه، ويدعو عشيرته الأقربين وجوبا لقوله تعالى ?وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ?[الشعراء:٢١٤]، يدعو إلى التوحيد قبل أن تنزل الفرائض، لم تنزل فريضة الصلاة على هذا النحو، ولا فريضة الزكاة على هذا النحو، ولا سائر التشريعات على هذا النحو، لم تحرم الخمر، ولم يحرم الزنا، ولم يحرم الربا في تلك المدة، وهذا معنى قوله (أخذ على هذا) يعني على الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، (أخذ على هذا) على الإنذار عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد، أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد، ما كان يدعو فيها إلى الأعمال، لا إلى صلاة ولا إلى زكاة مع أنه كان له صلاة في ذلك، قال كثير من أهل العلم كانت الصلاة المفروضة في العشر سنين تلك صلاتين في اليوم والليلة، أحدها في إقبال النهار، والأخرى في إقبال الليل، يعني أحدها الفجر، والثاني المغرب، وحملوا عليه قوله تعالى في سورة طه ?وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا?[طه:١٣٠]، كذلك قوله في سورة ق ?وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ?[ق:٣٩]، ونحو ذلك من الآيات، أما الصلوات الخمس فلم تُفرض إلا بعد ذلك.

قال (وبعد العشر عُرج به إلى السماء)كانت الصلاة ركعتين، أول النهار وآخره، على قول كثير من العلماء، قال (وبعد العشر عرج به إلى السماء) المعراج معناه الصعود، (عُرج به إلى السماء) يعني صُعد به إلى السماء، ومن أسماء السّلم والمِرقاة التي يُرتقى عليها المعراج، فمعنى المعراج السلم الذي يُصعد عليه، (عُرج به) أي صُعد به، ليلة المعراج يعني الليلة التي صُعد بالنبي ﷺ فيها على المعراج يعني على السلم، تسمية الليلة بوسيلة الصعود وهو المعراج، عليه

الصلاة والسلام أسري به تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس، وبعد ذلك (عُرج به)، الدابة رُبطت عند بيت المقدس، ثم أخذه جبريل وعرج به بالمعراج -يعني بالسلم الخاص الذي يصعد عليه- إلى السماء، (إلى السماء) المقصود به جنس السماء، يعني السماوات- حتى ارتفع في مستوى يسمع فيه [صريف الأقلام](١٣) عليه الصلاة والسلام، حتى إنه قرُب من ربه جل وعلا، وكلمه ربه جل وعلا بدون واسطة، رأى عليه الصلاة والسلام تلك الليلة نور الله جل وعلا، ورأى الحجاب الذي احتجب الله جل وعلا به عن خلقه فلا يرونه، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ -يعني ليلة المعراج- فقال: «رأيت نورا». وفي رواية أخرى قال: «نور أنّا أراه». يعني ثَم نور فكيف أراه؟ وهذا من الفضل العظيم له عليه الصلاة والسلام؛ أنه ارتفع من الأرض إلى ما بعد السماء السابعة، ورأى الجنة، ورأى النار، في ليلة، ورجع، والسماء الواحدة لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة، وما بين السماء والسماء لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة، وهكذا حتى تصل إلى السماء السابعة، ثم بعد ذلك الماء، وبعد ذلك الكرسي إلى آخره(١٤)، وهو عليه الصلاة والسلام لا شك أن المعراج له عليه الصلاة والسلام مما يدل على عظم قدره عند ربه جل وعلا، لهذا قال تعالى في الإسراء وهو من العجب بما كان

؟سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا؟[الإسراء:١]، يعني في بعض الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم رجع، هذا من مكة إلى بيت المقدس محل عجب عند العرب ولا شك أنه محل عجب، حيث ما كان عندهم من المركوبات، فكيف من بيت المقدس إلى ما بعد السماء السابعة، ثم يرجع إلى بيت المقدس، ثم يرجع من بيت المقدس إلى مكة، وفراشه لم يبرد بعد، هذا لاشك أنه مما أكرم الله جل وعلا به نبيه عليه الصلاة والسلام.

قال (فرضت عليه الصلوات الخمس) يعني على هذا النحو، بعد أن فرضت عليه خمس صلوات وأصبح صباحه في مكة، نزل عليه جبريل يعلمه أوقات الصلوات وأنواعها.

قال (فصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة)يعني صلى السنة العاشرة، الحادية عشر، الثانية عشر، من البعثة، ثم بعد ذلك أمر بالهجرة إلى المدينة.

والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، والهجرةُ فَرِيضةٌ على هذه الأمّةِ مِنْ بَلَدِ

الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى ؟إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا(٩٧)إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا(٩٨)فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا؟[النساء:٩٧-٩٩]، وقوله تعالى ؟يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ؟[العنكبوت:٥٦]، قالَ البَغَوِيُّ رحمهُ اللهُ: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللهُ باسمِ الإيمانِ.

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

قال الإمام رحمه الله تعالى (فصلى في مكة ثلاث سنين وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة) صلى في مكة عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين، يعني بعد أن فرضت عليه الصلاة، صلى الصلوات الخمس على هذا النحو الذي نصليه، قد حُدّت صفاتها، أركانها، واجباتها، وحُدَّت أوقات الصلوات كليا، جاء إلى النبي جبريل وبين له أوقات الصلوات، بعد ثلاث سنين من فرض الصلاة هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، بعد أن أُمر بذلك وبعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري كما هو معروف، لما أتى إلى هذا الموضع، فسّر الهجرة فقال (والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) هذا تعريفها الاصطلاحي، والهجرة في اللغة الترك، وفي الشرع ترك ما لا يحبه الله ويرضاه إلى ما يحبه ويرضاه، ويدخل في هذا المعنى الشرعي هجر الشرك، يدخل فيه ترك محبة غير الله ورسوله، يدخل فيه ترك بلد الكفر، لأنّ المقام فيها لا يرضاه الله جل وعلا ولا يحبه، أما في الاصطلاح قال (الهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)؛ الانتقال يعني ترك بلد الشرك والذهاب إلى بلد الإسلام، وسبب الهجرة يعني سبب إيجاب الهجرة، أو سبب مشروعية الهجرة أن المؤمن يجب عليه أن يُظهر دينَه، معتزا بذلك، مبينا للناس، مخبرا أنه يشهد شهادة الحق؛ لأن الشهادة لله بالتوحيد ولنبيه بالرسالة فيها إخبار الغير، وهذا الإخبار يكون بالقول والعمل، وإظهار الدين به يكون إخبار الغير عن مضمون الشهادة ومعنى الشهادة، فلهذا كانت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبة إذا لم يستطع المسلم

إظهار دينه، لأن إظهار الدين واجب في الأرض، وواجب على المسلم أن يظهر دينه، وأن لا يستخفي بدينه، فإذا كان إظهاره لدينه غير ممكن في دار وجب عليه أن يتركها، يعني وجب عليه أن يهاجر، قال (الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) بلد الشرك هي كل بلد يظهر فيها الشرك ويكون غالبا؛ إذا ظهر الشرك في بلد وصار غالبا كثيرا أكثر من غيره، صارت تسمى بلد شرك، سواء كان هذا الشرك في الربوبية، أو كان في الإلهية، أو كان في مقتضيات الإلهية من الطاعة والتحكيم ونحوها. بلد الشرك هي البلد التي يظهر فيه الشرك ويكون غالبا. هذا معنى ما قرره الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم رحمه الله حينما سئل عن دار الكفر ما هي؟ قال: دار الكفر هي الدار التي يظهر فيها الكفر ويكون غالبا.

إذن إذا ظهر الشرك في بلدة وصار ظهوره غالبا، معنى ذلك أن يكون منتشرا ظاهرا بينا غالبا الخير، فإن هذه الدار تسمى بلد شرك، هذا باعتبار ما وقع وهو الشرك، أما باعتبار أهل الدار فهذه مسألة فيها خلاف بين أهل العلم أن يُنظر في تسمية الدار بدار إسلام ودار شرك إلى أهلها.

وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن بلد تظهر فيها أحكام الكفر، وتظهر فيها أحكام الإسلام، فقال هذه الدار لا يحكم عليها دار كفر، ولا أنها دار إسلام، بل يعامل المسلم فيها بحسبه، ويعامل فيها الكافر بحسبه.

وقال بعض العلماء الدار إذا ظهر فيها الأذان وسُمع وقت من أوقات الصلوات فإنها دار إسلام، لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أراد أن يغزو قوما أن يصبحهم، قال لمن معه: «انتظروا» فإن سمع أذانا كفّ، وإن لم يسمع أذانا قاتل، وهذا فيه نظر، لأن الحديث على أصله، وهو أن العرب حينما يُعلون الأذان، معنى ذلك أنهم يقرون ويشهدون شهادة الحق لأنهم يعلمون معنى ذلك، وهم يؤدون حقوق التوحيد الذي اشتمل عليه الأذان، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله ورفعوا الأذان بالصلاة، معنى ذلك أنهم انسلخوا من الشرك وتبرؤوا منه، وأقاموا الصلاة، وقد قال جل وعلا ؟فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ؟[التوبة:١١]، (فَإِنْ تَابُوا) من الشرك، (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)، ذلك لأن العرب كانوا يعلمون معنى التوحيد، فإذا دخلوا في الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، دل ذلك أنهم يعملون بمقتضى ذلك، أما في هذه الأزمنة

المتأخرة فإن كثيرين من المسلمين، يقولون لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، ولا يعلمون معناها، ولا يعملون بمقتضاها، بل تجد الشرك فاشيا فيهم، ولهذا نقول إن هذا القيد أو هذا التعريف وهو أن دار الإسلام هي الدار التي يظهر فيها الأذان بالصلوات، أنه في هذه الأزمنة المتأخرة أنه لا يصح أن يكون قيدا، والدليل على أصله وهو أن العرب كانوا ينسلخون من الشرك، ويتبرؤون منه ومن أهله، ويقبلون على التوحيد، ويعملون بمقتضى الشهادتين، بخلاف أهل هذه الأزمان المتأخرة.

والأظهر هو الأول في تسمية الدار، ولا يلزم من كون دارٍ ما دار شرك أو دار إسلام، أن يكون هذا حكم على الأفراد الذين في داخل الدار، بل قلنا إن الحكم عليها بأنها دار كفر، أو دار شرك هذا في الأغلب بظهور الشرك والكفر، ومن فيها يعامل كل بحسبه، خاصة في هذا الزمن، لأن ظهور الكفر، وظهور الشرك بكثير من الديار، ليس من واقع اختيار أهل تلك الديار، بل هو ربما كان عن طريق تسلط، إما الطرق الصوفية مثلا، أو عن تسلط الحكومات، أو نحو ذلك، كما هو مشاهد معروف، لهذا نقول إن اسم الدار على نحو ما بينت وأما أهلها يختلف الحال. قال (والهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) الهجرة من حيثُ مكانُها تنقسم إلى هجرة عامة وإلى هجرة خاصة.

الهجرة العامة: هي التي عرّفها الشيخ هنا ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، بلد الشرك أيَّ بلد إلى أن تطلع الشمس من مغربها، أيَّ بلد ظهر فيها الشرك، وظهر فيها أحكام الشرك، وكان ذلك غالبا، فإن الهجرة منها تسمى هجرة، وهذه الهجرة عامة، من حيث المكان يمكن أن تكون متعلقة بأي بلد.

أما الهجرة الخاصة: فهي الهجرة من مكة إلى المدينة، ومكة لما تركها النبي عليه الصلاة والسلام تركها وهي دار شرك، وذهب إلى المدينة، لأنه فشى فيها الإسلام فصار كل بيت من بيوت المدينة دخل فيه الإسلام، فصارت دار إسلام، فانتقل من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، هاجر هجرة خاصة، وهذه الهجرة الخاصة هي التي جاء فيها قوله عليه الصلاة والسلام «لا هجرة بعد الفتح بل جهاد ونية» كما ثبت في الصحيح، فقوله (لا هجرة بعد الفتح) يعني لا هجرة من مكة، الهجرة الخاصة هذه من مكة إلى المدينة.

أما الهجرة العامة –الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام– فهي باقية إلى طلوع الشمس

من مغربها؛ إلى قيام الساعة، إذا وجد بلد شرك، ووجد بلد إسلام، توجب الهجرة، هذا من حيث المكان.

ومن حيث الحكم، فإن الهجرة تارة تكون واجبة، وتارة تكون مستحبة؛ تكون الهجرة واجبة، يعني من بلد الشرك إلى بلد الإسلام: تكون واجبة: إذا لم يمكن للمسلم المقيم بدار الشرك أن يظهر دينه، إذا ما استطاع أن يظهر التوحيد، ويظهر مقتضيات دينه، والصلاة وإتباع السنة، كل بلد بحسبه؛ بحسب ما فيه من الشرك، يظهر ما يخالف فيه هذا البلد، ويكون متميزا فيهم، إذا لم يستطع ذلك، فإن الهجرة تكون واجبة عليه، وعليه حمل قوله تعالى ؟إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ؟[النساء:٩٧]، يعني لم نستطع إظهار الدين، الاستضعاف هنا بمعنى عدم استطاعة إظهار الدين ؟قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا؟[النساء:٩٧]، فدل هذا على أنها واجبة، لأنه توعدها عليهم بجهنم، فمعنى هذا أن ترك الهجرة إذ لم يستطع إظهار الدين أنه محرم، وأن الهجرة واجبة.

القسم الثاني المستحب: وتكون الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام مستحبة، إذا كان المؤمن في دار الشرك يستطيع أن يظهر دينه، تكون مستحبة، وذلك لأن الأصل الأول من الهجرة أن يتمثل المؤمن من إظهار دينه، وأن يعبد الله جل وعلا على عزة، قد قال جل وعلا ؟يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ؟[العنكبوت:٥٦]، نزلت في من ترك الهجرة، وناداهم باسم الإيمان. هذه الأحكام متعلقة بالهجرة من دار الكفر والشرك إلى دار الإسلام، وهناك هجرة أخرى من دار يكثر فيها المعاصي والبدع إلى دار ليس فيها معاصي وبدع أو تقل فيها المعاصي والبدع، وهذه ذكر الفقهاء -فقهاء الحنابلة رحمهم الله- ذكروا أنها مستحبة، وأن البلد إذا كثر فيها الكبائر والمعاصي، فإنه يستحب له أن يتركها إلى دار يقل فيها ذلك أوليس فيها شيء من ذلك، لأن بقاءه على تلك الحال مع أولئك، يكون مع المتوعدين بنوع من العذاب الذي يحيط بأهل القرى الذين ظلموا.

وقد هاجر جمع من أهل العلم من بغداد لما علا فيها صوت المعتزلة وصوت أهل البدع، وكثرت فيها المعاصي والزنا وشرب الخمر، تركوها إلى بلد أخرى، وبعض أهل العلم بقي لكي يكون قائما بحق الله؛ بالدعوة وببيان العلم وبالإنكار وبنحو ذلك، أيضا كثير من العلماء

تركوا مصر لما تولت عليها الدولة العبيدية، وخرجوا إلى غيرها، وهذا قد يحمل على أنها من الهجرة المستحبة، أو من الهجرة الواجبة، بحسب الحال في ذلك الزمن.

قال هنا رحمه الله (والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام) فرض بقيد أن لا يستطيع إظهار دينه، فإن كان يستطيع كما ذكرت لك فإن الهجرة في حقه مستحبة.

قال (وهي باقية إلى أن تقوم الساعة)يريد إلى قرب قيام الساعة وهو طلوع الشمس من مغربها، كما جاء في الحديث «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

قال رحمه الله مستدلا (والدليل قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) ظلم النفس بترك الهجرة، لأنهم عصوا الله جل وعلا في ترك الهجرة، ومكة لم يعد في إمكان المؤمنين أن يظهروا دينهم فيها، فقد تسلط الكفار على أهلها، فلم يستطيعوا أعني المؤمنين أن يظهروا دينهم، وهذا هو قائم من أول الدعوة، تسلطوا فترة وكان إظهار الدين في أول الدعوة ليس واجبا، ثم أمروا بذلك بقوله تعالى ؟فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْرِكِينَ(٩٤)إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ؟[الحجر:٩٤-٩٥]، فابتلي من ابتلي من المؤمنين فلم يستطيعوا إظهار دينهم، فاستأذنوا النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فأذن بالهجرة إلى الحبشة؛ الهجرة الأولى ثم الثانية وقيل ثَم هجرة ثالثة، ثم لما لم يعد في الإمكان أن يظهر الدين في مكة، وقد قامت بلد الإسلام في المدينة صارت الهجرة متعينة وفرضا من مكة إلى المدينة، لهذا قال جل وعلا هنا (ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا) يعني الملائكة مخاطبين هؤلاء الذين توفتهم الملائكة وقد تركوا الهجرة (فِيمَ كُنتُمْ) يعني على أي حال كنتم (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ) فأجابت الملائكة (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) وهذا إنكار عليهم - أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا - لأن الاستفهام هنا في (أَلَمْ) استفهام للإنكار وضابطه أن يكون ما بعده باطلا، إذا أزلت الهمزة وقرأت ما بعده فإذا كان ما بعده غير صحيح صارت الهمزة إذن للإنكار، إذا تركت الهمزة صار الكلام لم تكن أرض الله واسعة هل هذا صحيح؟ ليس بصحيح، فأرض الله جل وعلا واسعة، ولما أتى الاستفهام في الهمزة بعدها كلام يكون بدون الهمزة باطلا، يصير الهمزة للإنكار، كما هو مقرر في موضعه في كتب شروح المعاني في اللغة قال (فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) فدل على أنهم تركوا الهجرة، فهذه الآية على أن من ترك الهجرة مع

القدرة على ذلك أنه مشرك وكافر من دين من أقام معهم، وهذا ليس بصحيح، بل إن هذه الآية في المؤمنين لأنه قال في أولها (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) فهؤلاء ظلموا أنفسهم، ليس الظلم الأكبر، ولكن الظلم الأصغر بترك الهجرة، قال جل وعلا بعدها (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) رجال مستضعفون، لا يمكنهم أن يعرفوا الطريق، لا يهتدون سبيلا إلى البلد الآخر ولا يستطيعون حيلة، ليس عندهم ما يركبون، وليس عندهم مال ينقلهم، فهم مستضعفين يريدون الهجرة، ولكنهم مستضعفون من جهة عدم القدرة على الهجرة من المال، والمركب، والدليل ونحو ذلك، فقال جل وعلا في هؤلاء (فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) ويلحق بهؤلاء من لم يستطع الهجرة في هذا الزمن بالمعوّقات القائمة من أنواع التأشيرات وأشباهها، لأن هذا لا يستطيع حيلة، هو يرغب أن يترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، لكن لا يمكنه ذلك لوجود المعوّقات لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا، أو طريقا إلى بلد الإسلام فهؤلاء قال جل وعلا في حقهم (فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) ثم ساق دليلا آخر وهو قوله تعالى (؟يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ؟[العنكبوت:٥٦]، قال البغوي رحمه الله سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان) تركوا الهجرة فناداهم الله باسم الإيمان، فدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان، فمعنى ذلك أن ترك الهجرة ليس شركا أكبرا، وليس كفرا أكبرا، وإنما هو معصية من المعاصي، لأنه نادى من ترك الهجرة باسم الإيمان، (يَا عِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)، قال البغوي نزلت هذه الآية في الذين لم يهاجروا من مكة ناداهم الله باسم الإيمان، دل أن من ترك الهجرة من مكة ليس كفرا ولا شركا، وأن قوله في الآية التي قبلها (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أن هذا لأجل أنهم تركوا واجبا من الوجبات، وارتكبوا كبيرة من الكبائر، لكن لا يسلب منهم الإيمان بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. قال (والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها») من الواضح أن التوبة لا تنقطع إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، وطلوع الشمس من مغربها هو المراد بقوله تعالى في آخر سورة الأنعام ؟أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ

آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا؟[الأنعام:١٥٨]، قال المفسرون إن معنى (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) أنه طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت (لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)، فلا تنفع التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها، كما قال هنا (ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)، فالهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها، وذلك لأن تارك الهجرة حتى طلعت الشمس من مغربها قد ترك فرضا عليه، إذا طلعت الشمس من مغربها ليس ثم عمل ينفع العبد قال ؟لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا؟[الأنعام:١٥٨]، والعمل بعض الإيمان.

؟؟(؟؟

فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ. أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ وبعدَها تُوُفِّيَ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ ودينُهُ باقٍ. وهذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه، والخيرُ الذي دلَّها عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ. والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللهُ ويأباهُ. بعثَهُ اللهُ إلى الناسِ كافَّةً، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثّقلينِ: الجنّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى ؟قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا؟[الأعراف:١٥٨]، وكمَّلَ اللهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى ؟الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا؟[المائدة:٠٣]. والدليلُ على موتِهِ صلى الله عليه وسلم قولُهُ تعالى ؟إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(٣٠)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ؟[الزمر: ٣٠-٣١]. والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى؟مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى؟[طه:٥٥]، وقولُهُ تعالى ؟وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا؟[نوح:١٧-١٨]، وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ والدليلُ قولُهُ تعالى؟وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى؟[النجم:٣١]، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى؟زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ؟[التغابن:٠٧].

قال (فلما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة) الزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة، أريد بالزكاة التي فرضت في السنة الثانية من الهجرة هذه الزكاة على هذا النحو المقدر؛ زكاة بشروطها، وبأنصبائها، وقدر المخرَج، وأوعية الزكاة ونحو ذلك، هذا فُرض في السنة الثانية من الهجرة، أما جنس الزكاة فقد فرض في مكة، جنس الزكاة غير مقدر مثل الصلاة التي كانت في مكة، وهذا جاء في آخر سورة المزمل، قال جل وعلا في آخرها وهي مكية ؟وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ؟[المزمل:٢٠]، فأمر بإيتاء الزكاة قال (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) والصواب من أقوال أهل العلم أن الزكاة أوجبت في مكة، ومنها بذل الماعون الذي جاء النهي عنه، في قوله ؟وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ؟[الماعون:٧]، ومنها الصدقة، منها إعطاء الفقير، ونحو ذلك، وهذه الزكاة غير محدودة، لا بقدر، ولا بصفة، وإنما يصدق عليها اسم الزكاة، أما الزكاة على هذا النحو المقدر الذي استقر فهذا فرض في السنة الثانية من الهجرة. قال (والصوم) الصوم كذلك، هاجر النبي ﷺ فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم «لما تصومون هذا اليوم؟» قالوا: يوم نجى الله فيه موسى، فصامه موسى شكرا، فنحن نصومه كما صام موسى. فقال عليه الصلاة والسلام: «نحن أحق بموسى منكم» فصامه عليه الصلاة والسلام، وأَمَر بصيامه، يعني كان صوم يوم عاشوراء فرضا، ثم لما فرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وهي السنة التي كان فيها وقعة بدر، صار صوم عاشوراء على الصحيح مستحبا، والفرض هو صيام شهر رمضان، كما قال جل وعلا في سورة البقرة ؟فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ؟[البقرة:١٨٥] وبها كان صيام رمضان واجبا. قال(والحج) من أهل العلم من يقول أنه فرض في السنة السادسة، وهي السنة التي نزل فيها قول الله تعالى ؟وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ؟[البقرة:١٩٦]، ومنهم من قال أنه لم يفرض إلا في السنة التاسعة، وهذا هو الصحيح، فإن الحج فرض متأخرا، وذلك بعد فتح مكة، فأُمر النبي ﷺ بالحج في سورة آل عمران، وهي إنما نزلت في سنة الوفود أو في عام الوفود، وهي السنة التاسعة، والنبي عليه الصلاة والسلام ترك الحج تلك السنة، وأمر أبا بكر أن يحج بالناس، وبعث معه عليا رضي الله عنهم أجمعين، ثم حج عليه الصلاة والسلام بعد ذلك في السنة العاشرة حجة يتيمة لم يحج بعدها.

قال(والأذان) كذلك فُرض الأذان في أول العهد المدني.

(والجهاد) كان هناك تدرج في فرضه.

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام)، يعني أن شرائع الإسلام الظاهرة إنما فرضت في المدينة، وأما في مكة فمكث عليه الصلاة والسلام، يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك عشر سنين، ثم فرضت الصلاة في السنة العاشرة، وأما بقية الشعائر؛ شعائر الإسلام الظاهرة، فإنما كانت في المدينة، حتى تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا ونحو ذلك، فإنما كان في المدينة، وهذا يدلك على عظم شأن التوحيد في هذا الدين، وأن هذه الرسالة رسالة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث بلغها للناس، مكث يدعو إلى التوحيد في عشر سنين، والتوحيد من حيث هو، أمر واحد، دعوة إلى التوحيد ونهي عن الشرك، أمر واحد، وتلك الأوامر التي فرضت فيما بعد، والمناهي التي نهي عنها فيما بعد، كثيرة جدا، عددها كثير مئات الأشياء من أمور الإسلام الظاهرة، وأمور المعاملات، والصلاة الاجتماعية، والنكاح، وتلك الأحوال، تلك بالمئات، فكان العهد المدني وهو عشر سنين متسعا لتلك الأمور جميعا، وأما التوحيد فمع أنه أمر واحد، وهو الدعوة إلى توحيد الله والنهي والنذارة عن الشرك، فقد مكث فيه عليه الصلاة والسلام عشر سنين، وهذا من أعظم الأدلة على أن شأن التوحيد في هذا الدين هو أعظم شيء، وأن غيره من أمور الإسلام الظاهرة، أنه يليه بكثير في الاهتمام به في هذا الشرع، فالدعوة إنما تكون في توحيد الله؛ لأن القلب إذا وحد الله جل وعلا أحب الله وأحب رسوله، أطاع الله بعد ذلك وأطاع رسوله فرضا، ترك الشرك، أبغض الشرك، ويُبغض كل ما لا يحبه الله جل وعلا ولا يرضاه، وهذا من مقتضيات التوحيد.

قال (أخذ على هذا عشر سنين) يعني مكث في المدينة عليه الصلاة والسلام عشر سنين يدعو إلى التوحيد وإلى أمور الإسلام الظاهرة.

(وتوفي صلاة الله وسلامه عليه ودينه باق وهذا دينه)، (صلاة الله) الصلاة من الله جل وعلا على نبيه، أو على المؤمنين هي ثناؤه عليهم في الملأ الأعلى، هذا هو الصحيح أن الصلاة من الله جل وعلا هي الثناء؛ لأن حقيقة الصلاة في اللغة الدعاء والثناء، وأما من قال أن الصلاة بمعنى الرحمة هذا ليس بصحيح، قال جل وعلا ؟إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ﴾[الأحزاب:٥٦]، الملائكة لا يمكنهم أن يرحموه، لكن يمكن أن يثنوا عليه، أو أن يدعوا له، والله جل وعلا في حقه الثناء، فمعنى صلاة الله جل وعلا على نبيه هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، لهذا جاء في الحديث الصحيح «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا» يعني من أثنى عليّ، من قال: اللهم صلي على مُحَّد. سأل الله جل وعلا أن يثني على نبيه في الملأ الأعلى، فإن الله جل وعلا يجزيه من جنس دعائه، وهو أنه يثني عليه بذلك عشر مرات في ملئه الأعلى، أسأل الله الكريم من فضله، وصلى الله على نبينا مُحَّد، اللهم صلي وسلم على نبينا مُحَّد. قال (ودينه باق)، عليه الصلاة والسلام توفي ودفن في حجرة عائشة، ودينه باق إلى قيام الساعة، لا يقبل الله جل وعلا من أحد دينا إلا هذا الدين، (وهذا دينه) الضمير يرجع إلى أي شيء؟ إلى ما سبق إيضاحه في هذه الرسالة، هذا الذي وصف لك فيما قبل هو دينه؛ معرفة العبد ربه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه ﷺ.

(وهذا دينه) عليه الصلاة والسلام، (لا خير) -هذا من صفاته عليه الصلاة والسلام- أنه (لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكره الله ويأباه) وعليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤوف رحيم، ومن رأفته بالمؤمنين ورحمته بهم أنه اجتهد أن يؤدي الأمانة كاملة، لا خير يقرب إلى الله، ويكون محبوبا إلى الله إلا بينه عليه الصلاة والسلام لهذه الأمة، وأعلى ذلك التوحيد، ويتبع ذلك جميع الأمور من الفرائض والواجبات والمستحبات، ومن المناهي التي اجتنابها فرض ونحو ذلك، المسنونات، حتى قال رجل لسلمان: لقد علَّمكم رسولُكم كل شيء حتى الخراءة، قال: نعم. يعني حتى هيئة الجلوس أثناء قضاء الحاجة، فإنه علمنا عليه الصلاة والسلام كيف يكون ذلك؛ إقبال واستدبار، وما ينبغي أن يكون إذا ذهب المرء أين يذهب، كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره، كان عليه الصلاة والسلام إذا ذهب المذهب أبعد، يعني لقضاء حاجته ونحو ذلك، علمنا عليه الصلاة والسلام كل شيء، من أعلى أمر وهو التوحيد؛ بيّنه بيانا شافيا مفصلا، إلى أقل الأمور، كلها بينها عليه الصلاة والسلام، فالحجة قائمة على أمته، وأنه عليه الصلاة والسلام سيكون شهيدا على هذه الأمة، وأنه بلَّغهم الرسالة، ودلهم على كل خير، يحبه الله ويرضاه، كذلك لا شر إلا حذرها منه، لا شر كان أو لا شر سيكون في هذه الأمة إلا حذرها منه، فحذر النبي عليه الصلاة والسلام

أمته من الشرور التي كانت في وقته؛ من الشرك بالله بأنواعه، ومن أنواع المعاصي وأنواع الآثام، وأنواع المعاملات الباطلة، وكذلك ما سيحدث في المستقبل، فإن الله جل وعلا أطلع نبيه على ما سيكون، فحذر النبي عليه الصلاة والسلام أمته من ذلك، مثلا كما جاء في الحديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا أولئك» أو كما جاء في غير هذه الرواية، لها ألفاظ كثيرة، فحذرها من تقليد فارس والروم، حذر النبي عليه الصلاة والسلام أمته من الفتن التي ستظهر بأنواعها، ومنها فتنة الخوارج الذين خرجوا على الصحابة وخرجوا على ولاة أمر المسلمين، حذّر من البدع بأنواعها، كما جاء في تفسير قول الله تعالى ؟إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ؟[الأنعام:١٥٩]، وكما قال عليه الصلاة والسلام «وإن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» ونحو ذلك من أنواع ما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام أمته محذرا، فهو عليه الصلاة والسلام لهذه الأمة رحيم رؤوف، لا خير إلا دلها عليه وأرشد، ولا شر إلا حذر منه ونهى، سواء في ذلك ما حدث في وقته، أو ما سيحدث بعد موته عليه الصلاة والسلام بقليل، أو ما سيكون إلى قيام الساعة، حتى إنه حذر أمته وشدد، حذرها وشدد التحذير في أمر المسيح الدجال، حتى إنه قال عليه الصلاة والسلام «إن خرج فيكم وأنا حي فأنا حجيجه دونكم وإن خرج عليكم بعدي» -يعني بعد وفاته عليه الصلاة والسلام- «فامرؤ حجيج نفسه» وهذا يدل على عظم ما دل النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأمة عليه.

قال رحمه الله بعد ذلك (وافترض طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس والدليل قوله تعالى ؟قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا؟[الأعراف:١٥٨]) طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض على الجن والإنس، لأن النبي عليه الصلاة والسلام بعث إلى الناس جميعا، قال جل وعلا (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) وقال جل وعلا ؟وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ؟[الأحقاف:٢٩]، لأنهم اتبعوا هذا الرسول، بعد أن سمعوا هذا القرآن، (وكمّل الله به الدين)، الدين كمل، والدين هو ما يدين به المرء، يعني ما يكون عادة له في عبادته، عادة له في عبادته يألفه ويعتاده، لأن أصل الدين هو العادة، كما قال الشاعر:

تقول وقد برأتُ لها وظيني هذا دينه أبدا وديني(١٥)

هذه عادته، وسمي الدين دينا لأنه يلتزمه الإنسان، وما كان من الاعتقادات، وما كان من العبادات يفعله بتكرر، حتى يصبح له عادة، نعم الدين ليس عادة، لكن أصل تسمية الدين سمي به لأنه له شبه بالعادة، حيث لزومها وكثرة فعلها وترداد صاحبها لها.

(كمل الله به الدين) إذن فليس في الدين نقصان، ليس فيه مجال للزيادة، فمن أراد التقرب إلى الله جل وعلا، فإنما يكون ذلك بالتقرب عن طريق رسوله ﷺ، يعني أن يكون متبعا لسنته عليه الصلاة والسلام، لأن الدين كمل فلا سبيل إلا هذا السبيل، كما قال ابن القيم:

فلواحد كن واحدا في واحد أعني سبيل الحق والإيمان

والهجرة من الهجرة إلى الرسول ﷺ بطاعته، واتباع سنته، وامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، والاهتداء بهديه، وألا يعبد الله إلا بما شرع، ينسلخ القلب ويترك كل ما سوى الله جل وعلا، وسوى رسوله من الذين يطاعون، ويتجه بطاعته إلى الله جل وعلا ورسوله، قال (والدليل قوله تعالى ؟الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا؟[المائدة:٠٣]، والدليل على موته ﷺ قوله تعالى ؟إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ(٣٠)ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ؟[الزمر:٣٠-٣١]) مات عليه الصلاة والسلام، الذين يدّعون أنه عليه الصلاة والسلام حي لم يمت، وأنه يحضر، روحه تحضر، وهو يحضر، وينتقل، ونحو ذلك، هؤلاء مكذبون للقرآن، كفرة بالله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا قال لنبيه (إِنَّكَ مَيِّتٌ) يعني ستموت (وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) إنهم سيموتون، (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إنكم جميعا أنت وهم (عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) وقال جل وعلا في الآية الأخرى ؟وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟[آل عمران:١٤٤]، ومن المعلوم ما حصل من قيام أبي بكر في الناس، بعد موت الرسول ﷺ خطيبا، قائلا فيما يروى: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ). قال عمر: كأني لم أسمع الآية إلا حين تلاها أبو بكر ﷺ. لكن هو بعد موته؛ في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية، فهو حي، حياته أكمل من حياة الشهداء، وهو قد مات، توفاه الله جل وعلا، انقطع عن هذه الدنيا، حياته أكمل من حياة الشهداء، فهو عليه الصلاة

والسلام قد توفي وانقضى أجله، وهو بالرفيق الأعلى بالجنة، وعند الله جل وعلا بأعلى المقامات عليه الصلاة والسلام.

قال لما ذكر موته عليه الصلاة والسلام (والناس إذا ماتوا يبعثون) خص هنا البعث بذكر، مع أن مناسبته هي في ذكر اليوم الآخر؛ المرتبة الثانية من الأصل الثاني، اليوم الآخر معناه أنه يبعث الناس بعد الموت، هنا قال (والناس إذا ماتوا يبعثون) وذلك لسبب وهو أنه في وقت الشيخ رحمه الله تعالى كان يكثر في البادية إنكار البعث بعد الموت، قد جاء في رسائل للشيخ من العلماء، رسائل كثيرة فيها بيان أن البعث بعد الموت حق، وأن من كفر بالبعث وأنكر البعث فهو كافر بالله العظيم، ليس بمؤمن ولا مسلم، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، نص هنا على هذا لأجل الاهتمام بالمسألة ووضعها في هذا الموضع المناسب، لأنه ذكر وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر قوله (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فناسب أن يقرر البعث بعد الموت لجميع الناس، قال (والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى؟مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى؟[طه:٥٥]، وقوله تعالى ؟وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا(١٧)ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا؟[نوح:١٧-١٨]، وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم والدليل قوله تعالى؟وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى؟[النجم:٣١]) قال (ومن كذب بالبعث كفر) مثل أولئك الأعراب في البادية، الذين كانوا في وقت الشيخ رحمه الله، ويكثر إلى الآن في بوادي بعض البلاد العربية أنهم يكذبون بالبعث، يعتقدون أن التزام الدين، أنه إنما يحصل له الإنسان السعادة في دنياه، وأن روحه تكون في نعيم أو في جحيم، لكن بعث بعد الموت، يكذبون بذلك قال هنا (ومن كذب بالبعث كفر والدليل قوله تعالى؟زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ؟[التغابن:٠٧]) وجه الاستدلال أنه قال (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فوصف الذين يزعمون أنهم لن يبعثوا بأنهم من الذين كفروا.

؟؟(؟؟

وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسلِ مبشّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى ؟رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ؟[النساء:١٦٥]، وأولُهُمْ نوحٌ عليهِ السلامُ، وآخِرُهُم

محمدٌ ﷺ وهو خاتِمُ النَّبيينَ والدليلُ على أنَّ أوَّلَهُم نوح قوله تعالى ؟إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ؟[النساء:١٦٣]، وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللهُ إليها رسولاً مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ، يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ، وينْهَاهُمْ عنْ عبادةِ الطاغوتِ، والدّليلُ قولُهُ تعالى ؟وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ؟[النحل:٣٦]، وافترضَ اللهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللهِ، قال ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع.

والطواغيتُ كثيرونَ ورؤوسُهُمْ خَمَسَةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ، ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللهُ، والدليلُ قولُهُ تعالى ؟ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؟[البقرة:٢٥٦]، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وفِي الحديثِ «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ وعمودُهُ الصَّلاةُ وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ فِي سبيلِ اللهِ» واللهُ أعلمُ. تمت هذه الرسالة.

قال(وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين والدليل قوله تعالى ؟رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ؟[النساء:١٦٥]، وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم مُحَمَّد ﷺ) من كذب برسول من الرسل فقد كذب بالرسل أجمعين، ومُحَمَّد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين وخاتم المرسلين، كل دعوة لنبوة أو دعوة للرسالة بعده فهي ضلال، وهي كفر بالله جل وعلا، فمن ادعى في وقت الصحابة وبعدهم إلى يومنا هذا لم يزل يظهر من يدعي النبوة، والنبي عليه الصلاة والسلام خاتم المرسلين وخاتم النبيين وخاتمهم؛ خاتَمهم و خاتِمهم (والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى ؟إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ؟[النساء:١٦٣]) هذا وحي خاص وحي رسالة، والمراد بالنبيين هنا المرسلين.

قال(وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى مُحَمَّد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت والدليل قوله تعالى ؟وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ؟[النحل:٣٦])، (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ) ما يأتي بعدها هو مضمون البعث، بعثهم لأي شيء؟ لما يأتي بعد (أَنْ) وهو (اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) عبادة الله سبق تفسيرها مفصلا في الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه، هنا لما ذكر الطاغوت كان

مناسبا لأهميته، أن يذكر معنى الطاغوت قال هنا (وافترض الله على جميع العباد -بهذا الدليل- الكفر بالطاغوت والإيمان بالله) ما معنى الطاغوت إذن؟ (قال ابن القيم رحمه الله تعالى: معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع) الطاغوت صيغة مبنية للكثرة والسَّعة، لأنها من طغى يطغى طغيانا، ومعنى ذلك التجاوز تجاوز الحد، يقال طغى الماء إذا تجاوز الحد، طغى الرجل إذا تجاوز حدّه، والطاغوت مبني من الطغيان، لكنه للكثرة مثل ملكوت، رحموت ونحو ذلك. ما هو الطاغوت؟ الطاغوت اسم لكل ما تجاوز به العبد حدّه، كل ما تجاوز به العبد حدّه؛ أي الحد الشرعي له، معلوم أن الشرع حدّ للأشياء حدودا، وبين علاقة المسلم بها، فإذا تجاوز العبد بشيء ما حده، فذلك الشيء طاغوت، قال (ما تجاوز به العبد حده من معبود) إذا عبد أحد غير الله جل وعلا فذلك الغير طاغوت هذا العابد، متى يكون طاغوتا؟ إذا كان راضيا بهذه العبادة، أما إذا كان يكرهها فإنه لا يسمى طاغوتا، لأنه يتبرأ منه والمتبرأ من الشيء ليس من أهله، كما قال جل وعلا ؟إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨)لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا؟[الأنبياء:٩٨-٩٩]، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، قالوا سنكون وعيسى وعزير- وعدّوا آلهة- سنكون جميعا في جهنم فنعم الصحبة، أنزل الله جل وعلا بعده ؟إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(١٠١)لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ(١٠٢)لَا يَحْزُنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ؟[الأنبياء:١٠١-١٠٣]، فدل على أن الذي لا يرضى بعبادته فإنه ليس بمذموم، لهذا عُبدت الأنبياء والرسل، وعُبد الصالحون، وكلهم يتبرؤون، عيسى عليه السلام أُله بعد رفعه، وقال له ربه جل وعلا ؟ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(١١٦)مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي؟[المائدة:١١٦-١١٧]، (تَوَفَّيْتَنِي) يعني قبضتني؛ قبضت بدني ورفعتني عنهم، واستوفيت مدتي على الأرض؛ المدة الأولى، كنت أنت الرقيب عليهم، ؟فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١١٧)إِنْ تُعَذِّبْهُمْ... ؟[المائدة:١١٧-

١١٨] إلى آخر الآيات، (معنى الطاغوت ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع) من يُتبع، يُقلَّد، يهتدى بهديه (أو مطاع) إذا كان اتبع أحد فجاوز العبد بهذا المتبع حده الذي أذن به شرعا، فقد صار ذلك طاغوتا له إذا كان راضيا بذلك، وإن كان لا يرضى فهذا هو الذي إتخذه طاغوتا، وذاك ليس بطاغوت أو مطاع.

بين ذلك بقوله (والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة إبليس لعنه الله ومن عبد وهو راض ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه) إبليس لعنه الله هو رأس الطواغيت لما؟ لأنه عُبد، ولأنه متبوع، ولأنه مطاع وهو راض بذلك، أطيع أو لم يطع؟ أطيع في معصية الله وهذه مأذون بها، أو غير مأذون بها؟ ويعتبر عند من أطاعه أنه مقدم، وأن طاعته هَنِيَّة، ولهذا قال جل وعلا في سورة إبراهيم ؟وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي؟[إبراهيم:٢٢]، الاستجابة هنا في المتابعة والطاعة، وقال جل وعلا في آية سورة يس ؟أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ؟[يس:٦٠]، (أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) يعني بالطاعة كما هو تفسيرها (ومن عُبد وهو راض) هذا القيد مهم، من عبد من دون الله، ورضي بهذه العبادة فهو من الطواغيت، من رؤوس الطواغيت. (من دعا الناس إلى عبادة نفسه) هذا أعظم، الأول يُعبد وهو ساكت لم يدعُ إلى عبادة نفسه، يُطاع وتكون طاعته دينا، في غير طاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله، ويرضى بذلك، هذا طاغوت، الأعظم منه أن يدعو، ذاك ساكت- الأول-يكون فُعل به ذاك وهو راض، الأعظم أن يدعو إلى نفسه، مثل ما يفعل مشايخ الطرق الصوفية، يعني بعض من مشايخ الطرق الصوفية، ورؤوس الضلال.ورؤوس الرافضة، ورؤوس الإسماعيلية، ونحو ذلك. كل هؤلاء يعظمهم أتباعهم فوق الحد الشرعي، فيتخذونهم مطاعين، فيتخذونهم متابَعين من دون رسول الله ﷺ.

قال (ومن ادعى شيئا من علم الغيب ومن حكم بغير ما أنزل الله) من ادعى شيئا من علم الغيب فهو من جنس الشياطين، فهو كاهن من الكهنة، أو ساحر من السحرة، أو مدعي لعلم الغيب، هذا من الطواغيت.

قال(ومن حكم بغير ما أنزل الله) الحاكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل:

* إذا حكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن حكمه جائز، وأن له أن يحكم، وحكمه قرين لحكم

الله أو مساوٍ لحكم الله، أو أفضل من حكم الله أو نحو ذلك. فإن هذا يعد طاغوتا.

* أما إن حكم بغير ما أنزل الله وهو يعلم أنه عاص في حكمه، وأن حكم الله جل وعلا أفضل، وأن حكم الله جل وعلا هو المتعين، ولكن غلبته نفسه وشهوته بأن حكم بغير ما أنزل الله ببعض المسائل، كما يحصل لبعض المفتونين من القضاة، أنهم يحكمون في مسائل بشهوتهم، كما كان يحدث في نجد من قرون قبل الدعوة، أنه كان يُرشى القاضي –يرشى بمال– فيحكم لأحد الخصمين بغير حكم الله جل وعلا، ويحكم بغير حكم الله، وهذا هو الذي جاء فيه الحديث الذي رواه أبو داوود وغيره بإسناد قوي، أنه عليه الصلاة والسلام قال«القضاة ثلاثة قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة، رجل قضى بغير الحق وهو يعلم الحق فذاك في النار» والعياذ بالله، هذا النوع يحكم لأجل مال، يحكم لأجل رِشوة بغير ما أنزل الله، هذه معصية من المعاصي، ولا شك أن معصية سمّاها الله جل وعلا كفرا، أعظم من معصية لم يسمها الله جل وعلا كفرا، كما يقول الشيخ مُحَّد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في رسالته تحكيم القوانين فإذن هذا الصنف من الناس فعلهم معصية.

*** هناك نوع آخر حدث في هذا الزمن، وهو تحكيم القوانين؛ أن يستبدل الشرع بقوانين وضعية، يستبدل الشرع استبدالا بقوانين، يأتي بها الحكام من عند غير الله ورسوله، يترك الدين، ويؤتى بتلك القوانين، فهذه كما يقول الشيخ رحمه الله تعالى مُحَّد ابن إبراهيم في أول رسالته تحكيم القوانين يقول ما نصه: إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الوحي الأمين، على قلب سيد المرسلين، للحكم به بين العالمين، وللرد إليه عند تنازع المتخاصمين، معاندة ومكابرة، لقول الله جل وعلا؟فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا؟[النساء:٥٩]. ورسالته هذه بسَط فيها القول، وهي رسالة دقيقة مهمّة في هذا الباب، إذن فصار تحكيم القوانين كفرا أكبر بالله، لأنه استبدال شريعة مكان شريعة، بدل شريعة الإسلام يأتون بشريعة فرنسا، أو شريعة أوروبا، أو شريعة إنجلترا، شريعة أمريكا، هذا استبدال، فإذا كان الحكم به غالبا صار تحكيما، يعني صار الحكم في أكثر أمور الشريعة بهذه الأحكام القانونية صار استبدالا، فمتى يكون كفرا؟ إذا كان استبدالا، ومتى يكون استبدالا؟ إذا كان تحكيم القوانين غالبا، كما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى في**

فتاويه –الشيخ محمَّد بن إبراهيم– أيضا مقيِّدا: متى يكون الحكم بالقانون كفرا؟ قال إذا كان غالبا فاشيا. لما؟ لأنه استبدل شريعة مكان شريعة، فإذا غلب ذلك صار استبدال، وهذا قيد مهم، وهذه المسألة يكثر فيها الكلام في هذا العصر، بين كلام متعلمين وعلى سبيل تعلم، وبين كلام جهال، وقلّ من يحرر الكلام فيها على نحو ما بينه العلماء بدقة وتفصيل.

قال هنا (والدليل قوله تعالى ?لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ?[البقرة:٢٥٦]) قال بعد ذلك (وهذا هو معنى لا إله إلا الله) ما معنى لا إله إلا الله؟ هو قوله (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) لأن الكفر بالطاغوت هو معنى النفي بـ(لا إله) والإثبات وهو قوله (وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) هو المستفاد من قوله (إلا الله).

قال بعد ذلك (وفي الحديث«رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»والله أعلم تمت هذه الرسالة) وأسأل الله جل وعلا أن ينفعني وإياكم لما سمعنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يجعلنا من المتعلمين حق التعلم، العاملين بما نعلم.

نسأله اللهم أن يجعلنا من أهل التوحيد؛ الذين يُعلون رايته، وينافحون عنه، ويُدافعون عنه وعن أهله، وأسأله لي ولكم العفو والغفران من جميع الزلل والسيئات، وأستغفر الله لذنبي ولذنوب جميع المسلمين، وأسأله أن يعفو عني ما حصل مني، في هذا الشرح الموجز من غلط لسان، أو سهو جنان، أو انتقال للذهن، وقد اختصرنا في الآخر، وكان حقها أن تبسط ولعل يكون فيما يأتى شيئ من البسط والتفصيل لهذا الأصل الثالث وهو

معرفة النبي محمَّد ﷺ

قال المصنف الأصل الثالث : معرفة نبيكم محمَّد ﷺ، وهو : محمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نبيء بإقرأ وأرسل بالمدثر، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة .

بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى : (يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر) ومعنى : (قم فأنذر) ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد (وربك فكبر) أي : عظمه بالتوحيد (وثيابك فطهر) أي طهر أعمالك عن الشرك (والرجز فاهجر) الرجز الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها .

أخذ على هذا عشر سنين، يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى

المدينة، والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي : باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) وقوله تعالى : (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قال البغوي رحمة الله تعالى : سبب نزول هذه الآية في المسلمين، الذين بمكة، لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان ؛ والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ " لنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " .

فلما استقر بالمدينة : أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام ؛ أخذ على هذا عشر سنين ؛ وتوفي ﷺ ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلاّ حذرها منه، والخير الذي دل عليه : التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه ؛ والشر الذي حذر عنه : الشرك بالله، وجيمع ما يكرهه الله ويأباه .

الشرح :

ومعرفة هذا الأصل يتضمن :

١ ـ العلم باسم الرسول ﷺ ونسبه .

٢ ـ كونه نبياً رسولاً .

٣ . معرفة هجرته .

٤ . معرفة بما أرسل .

٥ . معرفة شيء من سيرته الذاتية كعمره ومتى توفي وبلده .

والمصنف أعطى تعريفاً موجزاً لسيرته .

" مسألة " ما الفرق بين هذا الأصل وركن شهادة أن مُحَّداً رسول الله ؟

– الفرق بينهما أن هذا الأصل اعتقادي علمي يتعلق بالمعرفة وأما ركن شهادة أن مُحَّداً رسول الله فهو أصل عملي أي أنك تطيعه وتتبع أوامره فهناك تعمل وهنا تعتقد وتعرف وفائدة هذا لأصل علمية معرفية .

" **مسألة** " ما هو مقدار الواجب من معرفة سيرة الرسول ﷺ ؟ قبل الإجابة على ذلك يجب أن نعرف أن هناك فرض كفاية من سيرة الرسول ﷺ لم يقصده المصنف هنا وإنما قصد هنا ما يجب على كل مسلم ومسلمة كما قال في المقدمة ، أما فرض الكفاية فهذا واجب على مجموع الأمة يجب على بعض العلماء التخصص في الإحاطة بمسائل السيرة ومعرفة تفاصيل ذلك .

ولآن نعود للجواب : قال ابن حزم في مراتب الإجماع ص ١٦٧ في باب من الإجماع في الاعتقادات التي يكفر من خالفه بالإجماع إلى أن قال : ومنه أن مُحَّد بن عبد الله القرشي الهاشمي المبعوث بمكة المهاجر إلى المدينة رسول الله ﷺ إلى جميع الجن والإنس إلى يوم القيامة اهـ

وقال في المراتب ص ١٧٤ اتفقوا أنه بقي بالمدينة عشر سنين نبيا رسولا وبمكة مثلها رسولا نبيا واختلفوا هل بقي في مكة أكثر أم لا . وقال واتفقوا أن مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من مكة إلى المدينة يثرب وأن قبره بيثرب وبها مات عليه السلام وأنه نكح النساء وأولد اهـ

وقال القرطبي لما ذكر الفضائل قال ألا ترى أنه ﷺ كان عبدا قبل أن يكون نبيا ثم كان نبيا قبل أن يكون رسولا اهـ الجامع لفقه القرطبي ١ / ١١٦ .

قال القاضي عياض في كتابه الشفا في باب ما يكفر به من المقالات في بيان مسائل النبوة من جحد النبوة من أصلها عموما ، أو نبوة نبينا مُحَّد ﷺ خصوصا ، أو أحد من الأنبياء

الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم .

قال مثله جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفية وأصحاب الإباحية .

وكذلك من أضاف إلى نبينا ﷺ تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به ، أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بإجماع .

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) .

قال : وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا ﷺ ولكن قال كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي وتكذيب به .

وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ لو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ بعده ، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة .

وكذلك من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدعي النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة اهـ مختصرا والشاهد ظاهر .

وظاهر صنيع المصنف أن ما ذكره من سيرة الرسول ﷺ هنا أنه واجب ، فيجب أن تعرف أسمه واسم أبيه وجده وقبيلته ، وكم عمره ، ومتى نبئ ومتى أرسل ، وبلده ، ومهاجره ، وبماذا أرسل ، وكم سنة مكث في مكة ، وكم سنة مكث بالمدينة ، ومعرفة الإسراء والمعراج .

والذي يظهر لي أن ذلك ليس كله واجب وإنما بعض ذلك واجب والباقي مستحب . والقدر الواجب الذي يسأل عنه في القبر بسؤال الملكين وقد جاءت أحاديث كثيرة في سؤال الملكين عن الرسول ﷺ فيكون المقدار الواجب في معرفة النبي ﷺ كالتالي :

أ ـ يجب معرفة اسمه ، وأما اسم أبيه وجده فمستحب وإنما الواجب أن تعرف أن اسمه مُحَمَّد . كما جاء من حديث أنس المتفق عليه [إن الملكين يسألان فيقولان : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : مُحَمَّد ..] .

وجاء في حديث أنس المتفق عليه [أن الملكين يسألان فيقولان : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : مُحَمَّد رسول الله ..] . متفق عليه ، ويدل على أنه يسأل عن اسمه فقط ما جاء عن أبي داود والنسائي من حديث أنس [ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسأل عن شيء غيرها] .

ب ـ أن تعرف أنه رسول الله وأنه نبي وأنه عبد الله لا ملك ولا إله ولا يُعبد ولا يُستغاث به ولا يُذبح له ولا يُصرف له شيء من العبادة ، ومن صرف له شيء من العبادة فهو مشرك كافر ، ويدل عليه حديث أسماء [فيقول مُحَمَّد رسول الله] . وحديث أنس عند أبي داود والنسائي [فيقول : هو عبد الله ورسوله] وجاء عند البخاري في كتاب الجنائز [إذا أقعد المؤمن ثم أتى شهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله] . وفي المسند من حيث البراء بن عازب الطويل المشهور . فيقول : [هو رسول الله] وجاء في حديث الجارية رواه مسلم أنه سألها أين الله فقالت : في السماء . قال : من أنا . قالت : رسول الله . وفي رواية [أتشهدين أن مُحَمَّداً رسول الله ؟ قالت : نعم. قال : أعتقها فإنها مؤمنة] .

ج ـ يجب أن تعرف ما جاء به الرسول وهذا أعظمها كما جاء في حديث أسماء المتفق عليه [فيسأل الملكان ما علمك بهذا الرجل ؟ فيقول : مُحَمَّد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا] وجاء عند الترمذي من حديث علي مرفوعاً [لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : (منها) أني رسول الله بعثني بالحق ..] .

أنه يسأل عن الدليل كيف عرفت إن مُحَمَّد رسول الله وأنه جاء بالحق . ويدل على ذلك حديث البراء بن عازب الطويل [في سؤال الملكين فيقولان : ما يدريك عن هذا الرجل ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت وصدقت].

د . ويجب أن يعرف أنه عر بي وأنه قد مات كما قال تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله (وما مُحَّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) وأنه في قبره عي حياة برزخية .

هـ . ويجب أن يُعرف من سيرته ما يُفرق بينه وبين مدعي النبوة .

قال المصنف " معرفة نبيكم مُحَّد ﷺ " والملاحظ أنه لم يقل معرفة النبي بالأدلة كما قالها في معرفة الله ومعرفة الدين ويلاحظ أنه قال : نبيكم ولم يقل رسولكم لكنه جاء أثناء الحديث عن الرسالة .

وقوله : " وهو مُحَّد بن عبد الله " المقدار الواجب مُحَّد وما زاد فهو مستحب ثم ذكر نسبه إلى إبراهيم عليه السلام . ثم ذكر عمر الرسول ﷺ عند وفاته وأنه ثلاث وستون سنة وهذه معرفتها مستحبة ، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبياً رسولا. وهذه معرفة مستحبة .

قوله " نبئ بإقرأ وأرسل بالمدثر " وهذه معرفة واجبه ، قال القرطبي لما ذكر الفضائل قال ألا ترى أنه ﷺ كان عبدا قبل أن يكون نبيا ثم كان نبيا قبل أن يكون رسولا اهـ الجامع لفقه القرطبي ١ / ١١٦ .

قوله " وبلده مكة وهاجر إلى المدينة " هذا من المستحب معرفته .

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، والبراءة منها وأهلها وهذه معرفة ما جاء به الرسول وهذه واجبة وهي أعظمها و أعلاها ، كما قال الشارح وما جاء به الرسول هو :

الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى إفراد الله بما يستحقه من لأسماء والصفات والربوبية والألوهية وترك الشرك وأهله ، الدليل على ذلك قوله : { يا أيها المدثر ... وربك فكبر } أي عظمه بالتوحيد .

جاء ليبين الشرك وينذر عنه والدليل قوله { قم فأنذر } ، فينذر عن الشرك { وثيابك فطهر } أي طهر أعمالك عن الشرك ويقصد بالثياب هنا المعنوية.

جاء بالبراءة من المشركين ومن دينهم ومن أعمالهم قال تعالى : { والرجز فاهجر } ، فيهجر الأصنام وجاء بالبراءة منها ومن أهلها ، " وأخذ يدعو بهذه الأمور في مكة عشر سنوات

وبعد العشر جاءت مسألة الإسراء والمعراج وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين قبل الهجرة ، وبعدها هاجر إلى المدينة " .

قال المصنف " وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة " الموضوع يتعلق بالهجرة . " بعدها " أي بعد الثلاث سنوات بعد الإسراء والمعراج " أمر " مبني للمجهول والآمر هو الله سبحانه وتعالى وهذه هي المرحلة الوسطى من مراحل الهجرة .

فالهجرة على أنواع :

أ . هجرة من بلاد الخوف والاضطهاد إلى بلاد الأمن وهي الهجرة إلى الحبشة كما هاجر الصحابة .

ب . الهجرة إلى المدينة فقط ، وهي التي يتحدث عنها المصنف هنا وهو الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام الوحيد وهذه الهجرة الوسطى [11] باقية وهي أشد وجوباً لأن سببها أن يجتمع المسلمون في مكان واحد لإقامة الدين ، وهي الهجرة التي كانت من بداية هجرة الرسول ﷺ إلى ما بعد غزوة الأحزاب .

ج . الهجرة من بلاد الفتنة .

د . الهجرة من بلد البدعة المكفرة الغليظة .

هـ . الهجرة من بلد المعاصي والبدع غير المكفرة ونحو ذلك .

مسألة : وكلما وجدت أسباب كل نوع وجب فإذا وجد اضطهاد للمسلمين وليس هناك بلد إسلامي يهاجرون إليه هاجروا إلى أي بلد آمن حتى ولو كان كافراً كما حصل للصحابة عندما هاجروا من مكة إلى الحبشة . أما إذا وجد بلد إسلامي وحيد وهذا البلد قريب النشأة فيجب الهجرة إليه ليصبح المسلمون قوة واحدة كما فرض الهجرة إلى المدينة وكانت قريبة النشأة وهذه الهجرة حكمها حكم الجهاد ، فإذا قوي المسلمون وانتشرت البلاد الإسلامية فتجب الهجرة على العاجز إلى أي بلد إسلامي .

أما تعريف الهجرة فهي لغة : الترك . اصطلاحا : فهي ترك ما نهى الله عنه إلى ما أمر الله به ، وهذه الهجرة بالمعنى العام ، وأما تعريف الهجرة بالمعنى الخاصة : فهي كما قال المصنف " الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

---

[11]– وتسمى هجرة النصرة من هاجر مثلاً إلى بلد جديد في إسلامه يريد النصره وتسمى هجرة الجهاد فهي لتكثير السواد .

" مسألة "ما هو بلد الشرك ؟ بلد الشرك أو بلد الكفر هي الديار التي يكون فيها الغلبة والقوة للكفار أو المشركين وهي التي تجري فيها أحكام الكفر أو الشرك ولو كان فيها مسلمون . ولو ظهر فيها بعض خصال الإسلام إذا كان هذا الظهور بالخصال الإسلامية بسبب إذن الكفار لا بقوة المسلمين وأما ديار الإسلام فهي ما كان الغلبة والقوة للمسلمين وهي التي تجري فيها أحكام الإسلام .

قولنا : " القوة والغلبة " القوة تحصل إما بقوة السلطان أو بقوة الرعية ولو أراد السلطان أو الرعية ألا تظهر هذه الخصال لم تظهر .

" **مسألة** " هناك بلد ثالثة لا تسمى بلد شرك بإطلاق ولا تسمى بلد إسلام بإطلاق ؟ وهي ما ظهر فيها الإسلام وأحكام وخصال الإسلام بقوة الرعية أو السلطان وظهر فيها أحكام وخصال الكفر بقوة أهلها بحيث لا يستطيع هؤلاء منع هؤلاء وبالعكس هذه بلد مختلطة فيقضى لأهل الإسلام حكم وللكفار حكم وهذا النوع من البلاد ما حدث إلا من قريب عهد أبي العباس ابن تيمية ولذا سئل عن بعض البلاد التي تجري فيها أحكام الكفر بقوة وتجري أحكام وخصال الإسلام بقوة . فقال لا تعطى حكم الكفر بإطلاق ولا تعطى حكم الإسلام بإطلاق وإنما كل يعامل بحسبه . وهي ما تُسمى بالمسألة الماردينية . والمسألة الماردينية نسبة إلى البلد (ماردين) وهي بلد شما سوريا هذه لم تأتي إلا وقت التتار فسئل ابن تيمية عن هذه المسألة فقال : " لا تسمى مسلمة بإطلاق ولا كافرة بإطلاق وإنما يعامل كل بحسبه وهذه تسمى بلاد مختلطة .

وفي عهد أبي بكر ظهرت أحكام بلاد الردة ، وفي عهد علي بن أبي طالب ظهرت بلاد البدعة وهي بلاد الخوارج . حروراء . .

قال المصنف " من بلاد الشرك " بلاد مضاف ، الشرك مضاف إليه ، والإضافة بتقدير اللام ، أي بلاد للشرك واللام للملك والقوة والغلبة .

قال المصنف " بلاد الإسلام " الإضافة على تقدير اللام بلاد للإسلام ، فتكون اللام للملك والاستحقاق .

مسألة : الأقوال في بلاد الإسلام :

أ . الحكم يناط بجريان الأحكام والحكومة ، يدل على ذلك أن خيبر يوم فتحها الرسول اعتبرت بلاد إسلام جرى فيها حكم الإسلام ولكن شعبها كلهم يهود .

ب . يناط بالشعوب والرعية .

ج . يناط بالمكان والمجاورة فإذا كان هناك دولة إسلامية وبجوارها دولة فيها إسلام فهي إسلامية .

د . بلاد الإسلام كل ما فتحه المسلمون فتبقى إسلامية حتى يوم القيامة .

والقول الرابع أضعفها : بدليل أن مصر في عهد العبيديين أجمع العلماء بأنها بلاد كفر . ثم في الضعف الثالث وأقوى الأقوال الثاني والثلاث وأقوى القولين الأول .

أما بالنسبة للجغرافيين : فيقولون إن العبرة بشعبها إذا كان غالبهم مسلمين والحكام علمانيين فيقولون بلد إسلام وهذا غير صحيح .

* وقد يكون بلاد مختلطة فيها قوة جريان أحكام لهؤلاء وهؤلاء :

" مسألة " لو كانت البلد بلاد بدعة وليست بلاد شرك ؟ فهل يجب الهجرة ؟ يجب هنا أن نتعرض لأنواع الهجرة :

أولاً – الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وأما حكمها فواجبة على القادر إن كان قادراً على الهجرة ولا يستطيع إظهار دينه في بلد الشرك فيجب عليه ويدل عليه : { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم } بترك الهجرة مع القدرة عليها . أما إن كان في بلاد الشرك قادراً على إظهار دينه ويأمن على نفسه فالجمهور على أن يستحب له الهجرة واختاره ابن قدامة في المغنى وابن تيمية وكثير من أهل العلم .

ثانياً– الهجرة من بلد البدعة التي تجري عليه فيها البدعة إلى بلد السنة وهذه أيضاً واجبة ويدل على الوجوب قوله تعالى : { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين } .

ونقل ابن العربي في أحكام القرآن (١/٤٨٤) عن ابن القاسم عن مالك قال : " لا يحل لأحد أن يقيم ببلد سب فيها الصحابة " وهذا مثل البلاد التي تغلّب عليها المعتزلة أو

الرافضة أو الخوارج ، وتجري عليهم مقالاتهم . وقد هاجر الخرقي من بغداد لما كثر فيها سب الصحابة .

حكم الهجرة هنا للذي لا يستطيع إظهار السنة في هذا البلد ولا يأمن على نفسه بل تجري عليه البدعة فيجب أن يهاجر ، وإن استطاع أن يظهر السنة فيستحب أن يهاجر إلا إن كان في البقاء مصلحة للمسلمين فله أن يبقى كما بقي العباس في مكة وكان على إسلامه .

ثالثاً . الهجرة من بلد الخوف والظلم ، إذا كان في بلد مضطهد لقيامه بالدين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فله أن يهاجر لبلد إسلام آخر يستطيع أن يأمر فيه وينهى قال الشوكاني "في السيل الجرار الجزء الرابع" بعدما تكلم عن الهجرة قال "وليس مختصة بدار الكفر بل هي شريعة قائمة وسنة ثابتة عند استعلان المنكر وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وجود من يأخذ على أيدي المنتهكين لمحارم الله فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بدينه إن تمكن من ذلك ووجد أرضاً خالية من التظاهر بالمعاصي فإن لم يجد فليس بالإمكان أفضل مما كان اهـ

واختاره ابن العربي في أحكام القرآن واستدل على ذلك بفرار إبراهيم عليه السلام قال تعالى :{إني ذاهب إلى ربي سيهدين } وفعل نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى:{فخرج منها خائفا يترقب قال ربي نجني من القوم الظالمين}.

وذكر في تحفة الأحوذي (٥/٢١٤) أن من حكمة الهجرة إلى الحبشة ليسلم من أذية ذويهم ..ا.هـ . ويدل عليه قوله ﷺ " خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " رواه البخاري .

رابعاً – الهجرة من بلد الأوبئة والأمراض فما حكم الانتقال منه وهل يعد هجرة ؟

أما الانتقال فجائز لقوله ﷺ " فر من المجذوم فرارك من الأسد " ونهيه عليه الصلاة والسلام أن يورد ممرض على مصح وقد أذن النبي للذين استوخموا المدينة أن يخرجوا عنها حتى يصحوا ويكون حكمها حكم التداوي لأنها من أسباب التداوي ولكن لا يجب الخروج منها واستثنى العلماء بلد الطاعون فقالوا لا يخرج منها ولا يدخل إليها . كما حدث للصحابة في طاعون عمواس ، والبقاء فيها جائز فقد روى أحمد أن الرسول ﷺ أكل من المجذوم وقال ثقة بالله . وهو لا يعد هجرة بالمعنى الشرعي وإن كان يدخل في مسمى الهجرة لغة .

خامساً – بلد المعاصي التي غلب عليها الكسب الحرام ، فهذه عدها بعض أهل العلم من البلاد التي يهاجر منها اختاره صديق خان في كتابه العبرة فيما جاء في الغزو والهجرة واختاره ابن العربي في أحكام القرآن .

هذه التي مضت هي أنواع الهجرة باعتبار البلاد ، وإذا قلنا الهجرة واجبة فهي في حق غير القادر [١٢] وأما القادر فلا تجب عليه مادام أنه مظهر الإسلام والسنة لا تجري عليه الحكام الكفر أو البدعة أو المعصية ، ولكن يستحب الهجرة على قول الجمهور إلا إن كان في مصلحة للإسلام ظاهرة وأمن على نفسه فيبقى .

"مسألة"ما معنى قولنا "قادر على إظهار الدين " أي جميع الدين فالألف واللام في الدين للعموم فإن كان قادراً على إظهار الصلاة والأذان ولكن غير قادر على إظهار التوحيد فليس بقادر وإن كان قادراً على الصيام وغير قادر على البغض والمعاداة للكفار فليس بقادر ، فتجب عليه الهجرة إلا أن الهجرة في هذه الآونة قد تكون صعبة بسبب مسائل الحدود والإقامة والقوانين الوضعية .

قال المصنف "والهجرة فريضة " فيه تفصيل : فمن كان غير قادر على الهجرة فليست في حقه فرضً وأما إن كان قادراً على الهجرة وغير قادر على إظهار الدين فهي فرض في حقه .

قال المصنف "على هذه الأمة "أي أُمة الإجابة .

قال المصنف "وهي باقية إلى أن تقوم الساعة " وهذا رد على من قال أنها منسوخة بعد فتح مكة واستدل بقول النبي ﷺ :"لا هجرة بعد الفتح "والصحيح لا هجرة من مكة بعد الفتح لأنها أصبحت دار إسلام .

قال المصنف "إلى أن تقوم الساعة " إلى قرب قيام الساعة مادام أن هناك مسلمين لأن من المعلوم أن الساعة تقوم على الكفار واستدل على ذلك بقوله تعالى :{قالوا فيما كنتم قالوا : كنا مستضعفين في الأرض " أي ضعفاء بمعنى الأقلية ليس لنا أمر لأنهم ضعفاء غير قادرين على الهجرة وكثّروا سواد الكفار في معركة بدر ، ولذا فبلاد الكفر لما كان فيها المسلمون ضعفاء ليس لهم فيها أمر ولا نهي فقالت لهم الملائكة على وجه الإنكار {ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم } وهذه من آيات الوعيد ومذهب السلف إجراء

١٢– **غير القادر : أي غير قادر على إظهار دينه او لا يستطيع سبيلا .**

آيات الوعيد على ما جاءت عليه لأنه أوقع للزجر لكن إذا خشي أن يفهم منها الخلود أو التكفير فإنها تشرح، ولذا قد يقول قائل ظاهر مأواهم جهنم إنهم خالدون فيها فالجواب : أن يقال لا لأنه بإجماع أهل السنة والجماعة أنه لا خلد في النار لمن ترك الهجرة مع أنه مسلم ولا خلود على من ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب غير مستحل لها ".

لكن إن كان ترك الهجرة رغبة عن الإسلام أو صاحبها كفر فهذا فيه الخلود في النار أو كان ليس مجرد تكثير سواد الكفار بل قاتل معهم وحمل السلاح ورمى فهذا تولي مخرج من الدين . " إلا المستضعفين " استثنى الله المستضعفين الذين لا يستطيعون الهجرة . وأما الآية الثانية فتدل على وجوب الهجرة لقوله تعالى : {إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون } دليل الهجرة من السنة قال المصنف "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة".

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والأذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام وأخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلاة الله وسلامه عليه ، ودينه باق وهذا دينه ، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه . والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحب الله ويرضاه . والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه ".

الشرح : وهذه الأمور واضحة .

مسائل تتعلق بالأصل الثالث

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين، الجن والإنس، والدليل قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً والدليل على موته ﷺ قوله تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون) .

المسألة الأولى : عمومية بعثه الرسول صلى الله علية وسلم وأنه بعث إلى الخلق عامة قال المصنف "بعثه الله للناس كافة " واقتصار المصنف على ذكر الناس هنا لا يدل على خصوصيته بالناس ولذا قال المصنف بعدها "وافترض الله طاعته على جميع الثقلين " مما يدل على أنه بعث إلى الإنس والجن والدليل على أنه مبعوث إلى الخلق عامة قوله تعالى : (وما

خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقوله :{ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً}
وقال تعالى{وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن }.

المسألة الثانية : كمال الدين الذي جاء به الرسول ﷺ ، قال المصنف وأكمل الله به الدين والدليل قوله تعالى :{ اليوم أكملت لكم دينكم }.

المسألة الثالثة : تتعلق بموت الرسول وأنه ﷺ مات يقيناً{إنك ميت وإنهم ميتون } ومعنى موته . ﷺ .كموت بقية الناس ومعنى الموت : مفارقة الروح الجسد أي خروجها في هذه الحياة الدنيا وليس معنى الموت هو فناء الروح فإن الروح لا تفنى ، وإنما تنتقل إلى الملأ الأعلى إن كان مؤمناً أو إلى ما شاء الله من العذاب إن كان غير ذلك

وفي هذا رد على المبتدعة وعباد القبور والذين يستغيثون بالرسول ويقولون إنه لم يمت والرسول ﷺ في قبره حي ولكن حياة برزخية ولروحه اتصال ببدنه ، ولذا جاء في الحديث أن الرسول يرد على من يسلم عليه ، وألف البيهقي رسالة في بيان حياة الأنبياء وأنهم أحياء لكن حياة برزخية . وقلنا أن الموت هو مفارقة الروح للبدن فما هو السبب للموت ؟ السبب الوحيد للموت هو انتهاء الأجل بما قدر الله . فالمقتول مات لأنه انتهى أجله والمريض مات لأنه انتهى أجله خلافاً للمعتزلة الذين يقولون أن المقتول مات قبل أجله ولو لم يقتل لاستمر في الحياة .

هل الدعاء بزيادة العمر مشروع ؟

كره الإمام أحمد أن يقال للشخص أطال الله عمرك وقال : لا تسأل الله عن شيء فرغ منه ، ومثله ما يوجد في نهاية الخطابات " دمتم" فتدعو له بالدوام وهذا يكره . ولكن الظاهر الجواز فقد ثبت في حديث أنس أنه قال (اللهم أطل عمره وأكثر ولده..) متفق عليه . فيكون المقصود أطال الله عمرك بطاعته فهي على تقدير محذوف .

هل مفارقة الروح للبدن بالموت مفارقة لا لقاء بعدها ؟

الجواب : لا .. بل تلتقي الروح بعد الموت بالبدن . لذلك لو مات الميت وانتقلت روحه فإذا وضع في القبر عادت الروح إذا جاء منكر ونكير للسؤال . ثم بعد ذلك تنتقل الروح إما إلى نعيم أو عذب أو ما شاء الله .

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقوله : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) وبعد البعث محاسبون، ومجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والدليل قوله تعالى : (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

الشرح :

. ثم بعد ذلك ذكر المصنف مسائل عامة وهذا هو القسم الأخير من الكتاب ذكر فيه عدة مسائل .

المسألة الأولى : مسألة البعث قال المصنف :"والناس إذا ماتوا يبعثون".

البعث عودة لأرواح إلى الأجساد بعد النفخة الثالثة وهذا تعريف أبي العباس ابن تيميه في الواسطية .. والبعث لغة الإرسال . قول المصنف " والناس يبعثون " لم يقصد التخصيص لأن البعث يشمل الإنس والجن بل حتى الحيوانات لكي يقتص بعضها من بعض قال تعالى : {وإذا الوحوش حشرت}ويكون البعث بعد النفخة الأخيرة . وصح عن أحمد أنه قال (إنه ليعاد للشاة بعضها في بعض) أي الجلحاء والقرناء .

مسألة : اختلف أهل العلم في عدد النفخات .. فمنهم من قال هي نفختان ومنهم من قال هي ثلاث ، والذي قال نفختين دمج نفختين في نفخة وهذه النفخات الثلاث هي :

أ . نفخة الفزع في الصور .. قال تعالى : { ونفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض }.

ب . نفخة الصعق وهلاك كل شيء أراد الله هلاكه قال تعالى : { ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ....} وهاتان النفختان أحياناً تدمج في نفخة واحدة ، لكن هذا التفصيل أكمل .

ج . نفخة البعث قال تعالى { ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون }.

وأول من يبعث من الناس الرسول . ﷺ . وقد جاء من حديث أبي سعيد رواه أحمد بسند حسن أن الرسول قال : "أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر

والناس يبعثون من قبورهم ، وهذا بالنسبة للمقبورين وإلاّ من حيث كانوا يبعثون . أما مراتب **اليوم الآخر فهي كالتالي :**

١- البعث والنشور .

٢- الحشر.

٣- القيام وهو أن يطول قيامهم بعد الحشر فأول قيامهم عراة غير مختونين ثم يكسون فأول ما يكسى إبراهيم ثم النبي ثم يكسى الناس بعدهم ثم تدنوا الشمس فيعرقون على قدر أعمالهم .

٤ . ثم تقريب النار وجرّها ثم تزلّف الجنة .

٥- الشفاعة الكبرى . سجوده قُدّر في مسند أحمد بجمعة أي (أسبوع).

٦- مجيء الله لفصل بين الخلق .

٧- العرضتان وهي جدال ومعاريض .

٨- العرض الثالث ومنه الحساب اليسير وهو التقرير وهو خاص بالمؤمنين المرحومين ومنه المؤمن الذي عصى وستره الله ويريد أن يغفر له في الآخرة .

٩ . ثم الحساب العسير وهو حساب المناقشة وهذا يشمل الكفار والمنافقين و عصاة المؤمنين الذين لم يشأ الله أن يستر عليهم ويغفر لهم ذنوبهم وهو على رؤوس الخلائق

١٠- ثم تطاير الصحف .

١١ . الميزان .. وذلك بعد ما أطلع الناس على أعمالهم واطلعوا على صحفهم وانتهت مناقشتهم . بعد ذلك يوزنون

١٢- الصراط .

١٣- ثم القنطرة .

١٤ . أهل الأعراف

١٥ / ١٦ . . الجنة أو النار ، وذبح الموت بين الجنة والنار .

وكل مرحلة من تلك المراحل فيها مراحل أيضا وتفصيل . والمصنف رحمه الله اختصر المراحل ، وسوف نبسط إن شاء الله بتيسير الله وتسهيله تفصيل هذه المراحل بأدلتها في شرحنا للواسطية.

مدة هذه المراحل من البعث والحشر إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة كلهم وأهل النار النار كلهم مدتها خمسون ألف عام كما قال تعالى (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) فقد جاء عن ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة قال ابن كثير وإسناده صحيح .

ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة .

قال ابن كثير وقد وردت أحاديث في معنى ذلك فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد قال قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا) قال ابن كثير : ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم .

ثم ذكر ابن كثير احاديث في هذا الباب الشاهد فيها ذكر التعذيب لصاحب الابل وغيره ممن لم يؤد حقها ، ثم قال : ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام والغرض من إيراده ههنا قوله حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

قال ابن كثير وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عيينة وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس في قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه فقال إنما سألتك لتحدثني ؟ قال هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم اهـ .

قال المصنف والدليل على البعث قوله تعالى : { منها خلقناكم وفيها نعيدكم } وقوله تعالى : { والله أنبتكم من الأرض نباتاً } .

المسألة الثالثة : مسألة الحساب :

قال المصنف " بعد البعث محاسبون " تعريف الحساب لغة : العد . اصطلاحا : إطلاع الله العباد على أعمالهم خيراً كانت أم شراً على وجه التفصيل قبل الانصراف من المحشر .

هل الحساب عام لجميع الخلق ؟ نعم .. إلا ما استثني وهم الأنبياء والملائكة والسبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب والصديقون لأنهم افضل من السبعين ألف.

والدليل على أنه كلا محاسب قوله تعالى : { فوربك لنسئلنهم أجمعين } . وما رواه الترمذي وحسنه قال : [لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره ... وماله .... وعمله ...] مختصراً .

من هو أول من يحاسب ؟ وقع خلاف بين أهل العلم في أول من يحاسب وكل منهم استدل بأحاديث بأن أول من يحاسب كذا وأول من يحاسب كذا . وأحسن التعريف الجمع بين أقوالهم فيقال كل ما قيل صحيح ويقسم أول من يحاسب إلى اعتبارات : فيقال أول من يحاسب باعتبار الأمم أمة مُحَمَّد ﷺ . والدليل ما رواه ابن ماجة مرفوعاً [نحن الآخرون السابقون المقضي عليهم قبل الخلائق] وعند الإمام أحمد أنه بعد الشفاعة الكبرى ومجيء الله للفصل يقال : [أين أمة مُحَمَّد فيأتون غراً محجلين فيبدأ بهم الحساب] .

وأول من يحاسب باعتبار أعمال العبد المسلم المتعلقة بحقوق الله الشرك ثم يحاسب على الصلاة ثم الزكاة .. بقية الأعمال . وأول محاسبة باعتبار حقوق العباد الدماء [أول ما يقضى في يوم القيامة الدماء] في الصحيح .

وباعتبار الناس أول ما يحاسب العالم ثم المجاهد ثم العابد ثم التاجر ثم رؤساء الناس ثم سائر الناس على حديث معاوية في الصحيح .

والحساب ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول: ما يسمى العرض والتقرير وهذا ليس لكل الناس وإنما للمؤمنين وليس كل المؤمنين بل المؤمن الذي شاء الله أن يستر ذنوبه ويتجاوز عنه ، يحاسبه محاسبة سرية بينه وبينه

أما صفتها فتعرض عليه أعماله السيئة فيقال : فعلت كذا وكذا يوم كذا وكذا وهذا يقرر ويقول : نعم . فيقول الله سترتك في الدنيا وأنا أتجاوز عنها يوم القيامة .

القسم الثاني : الحساب العسير وهو المناقشة العلنية كما جاء في الحديث : [من نوقش الحساب عذب] وفيه يحصل الفضح بين الخلائق والتشهير لبعض الناس والتكبيت .

والحساب غير العرض والجدال .

وذكر المصنف " الدليل على ذلك قوله تعالى : { ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .. } .

* أطفال المسلمين إذا ماتوا فلا يحاسبون فهم في الجنة بالإجماع ، وأما أطفال الكفار فقيل يمتحنون وهو الصحيح ، وقيل : غير ذلك .

ثم يذبح الموت بين الجنة والنار فيقال لأهليهما خلود فلا موت .

مسألة : الأعراف أناس تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، يوضعون في مكان مرتفع بين الجنة والنار يجلسون مدة يشاهدون أهل الجنة وأهل النار لكنهم ينتهون إلى الجنة برحمة الله وفضله .

ثم بعد الصراط وقبل الجنة : هناك قنطرة وهذا المكان مكان قصاص فيقتص فيه المؤمنون بعضهم من بعض فالذي ليس عليه شيء يدخل الجنة والذي عليه مظلمة ينتظر فلا يدخل حتى يأتي خصمه من المؤمنين فيحصل القصاص بينهما .

مسألة : القصاص يوم القيامة :

أول ما يحصل في هذا الباب يوم القيامة هو قصاص البهائم بعضها من بعض ثم تكون رماداً

ثم القصاص بين الكفار والمسلمين إذا كان هناك ظلم فيقتص بعضها من بعض .

ثم القصاص بين المؤمنين وهذا بعد الصراط .

مسألة : طبقات العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار و لم يأتوا بناقض :

أ . طبقة من كان في قلبه مثقال حبة من دينار (وهم أحسن طبقة موجودة من العصاة) وهؤلاء عندهم توحيد لا إله إلا الله ويصلون وهذا شرط أساسي ولا عندهم ناقض للدين .

ب . أصحاب النصف دينار فيقول الله (أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من نصف دينار) وهم أقل ممن قبلهم .

ج ـ أصحاب المثقال والذرة والخردلة ، وهؤلاء أقل ، فهم دون النصف .
د ـ من كان في قلبه (أدنى أدنى) من مثقال .
المسألة الرابعة – حكم من كذب بالبعث قال المصنف " ومن كذب بالعبث كفر والدليل : { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا } .

فصل

وأرسل الله جميع الرسل : مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين، لا نبي بعده، والدليل قوله تعالى : (ما كان مُحَمَّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .
والدليل : على أن أولهم نوح عليه السلام، قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) وكل أمة : بعث الله إليها رسولاً، من نوح إلى مُحَمَّد، يأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .
الشرح :
مسألة مهمة الرسل :
" وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين " وهذه هي مهمة الرسل . ومعنى بشير : مأخوذ من بشرت الرجل وبشرته إذا أخبرته بأمر سار وأكثر ما تستعمل في الخير فإذاً الرسل يخبرون الناس بما يسرهم مثل : إخبارهم عن الثواب لمن أطاع الله .
" منذرين " الإنذار هو الإعلام مع التخويف . ومعنى كون الرسل منذرين أي يخوفون من عصى الله بالنار والجزاء . والدليل : { رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة } والمصنف هنا بدأ بالتبشير قبل النذارة والظاهر أن الترتيب مقصود لن العادة أن الإنذار لا يأتي إلا بعد التبشير وقول المصنف " الرسل " يعني الأنبياء .
والمعروف من القرآن والسنة أن الأنبياء كذلك مبشرين قال تعلى : { فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين } وعلى ذلك فالرسل هنا بالمعنى اللغوي أي الذين بعثهم الله سواء رسل

بالمعنى الخاص أم أنبياء . و " أولهم نوح " أي أول الرسل وهو بالمعنى الخاص الذين بعثهم الله إلى قوم كفار يدعوهم إلى شرع جديد .

" أولهم نوح " هل هي أولية مطلقة أم أولية باعتبار ؟ هذا فيه تفصيل إن كان المقصود بأولهم أي جميع ما أرسل الله من الأنبياء والرسل بالمعنى الخاص فيكون معنى " أولهم " باعتبار بعد الاختلاف وإن كان المقصود بالرسل المعنى الخاص أي من أرسله الله في قوم كفار يدعوهم إلى شرع جديد فيكون أولهم هذه أوليه مطلقة ، فقبله آدم وهو نبي ثم بعده من أبنائه شيث ثم إدريس وهو من أجداد نوح ذكرهم ابن كثير في البداية والنهاية ثم بعد عشر قرون من الرسل كفروا فأرسل نوح .

" مسألة " هل قبل نوح رسل بالمعنى الخاص ؟ الجواب : لا .

" مسألة " هل قبل نوح أنبياء ؟ الجواب : نعم آدم على الصحيح فإن آدم نبي وليس رسولاً ، ويدل على ذلك ما رواه الطبراني والحاكم بسند صحيح أن الرسول سئل [أكان آدم نبياً ؟ قال نعم ومكلماً] . وحديث الشفاعة : [قال آدم اذهبوا إلى نوح فإنه أول رسول] . هذا المنطوق والمفهوم أنه ليس قبله رسول .

ثم النبي شيث ، وهو من أبناء آدم وقد قال بنبوته ابن تيمية وابن كثير ، وقبله – أي نوح – إدريس فإنه من أبناء شيث قال تعالى : { واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً } وجعله ابن جرير في كتابه التاريخ إنه من أبناء شيث من قبل نوح وأنه نبي ووافقه على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية . ووقع إشكال بين أهل العلم هل إدريس هو إلياس أم بينهما فرق ؟ والصحيح أن بينهما فرق . ذكر ابن جرير في تاريخه وابن كثير في البداية والنهاية فجعلا إدريس قبل نوح وإلياس من أولاد هارون مبعوث لبني إسرائيل .

وأما ما ذكره البخاري في صحيحه معلقاً عن ابن مسعود وابن عباس أن إدريس هو إلياس فقد ذكره البخاري بصيغة التمريض فقال وذكر عن ابن مسعود وعن ابن عباس أن إدريس إلياس مما يشعر بضعف ما نقل عنهما .

أما أفضل الأنبياء فهم الرسل وأفضل الرسل الخمسة أولوا العزم وأفضل الخمسة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بالإجماع ثم إبراهيم ، ثم وقع الخلاف في الثلاثة الباقين ، فقال الحافظ بن حجر أفضلهم بعد إبراهيم موسى ثم عيسى ثم نوح ،نقل ذلك عنه السفاريني في السفارينية .

أما عدد الأنبياء فجاء من حديث أبي ذر رواه أحمد بسند صحيح أن عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ، والرسل ثلاثمائة وبضعة عشر .

مسألة : أن من خصائص الرسل أنهم يبعثون إلى الأمم الكافرة أما الأنبياء فيبعثون إلى المؤمنين ، قال المصنف : " كل أمة بعث الله فيها رسولاً وهؤلاء الرسل يدعون إلى إفراد الله بالعبادة والكفر بالطاغوت " . ثم ذكر الدليل : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } .

وافترض الله على جميع العباد : الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، قال ابن القيم : رحمه الله تعالى، معنى الطاغوت : ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع .

والطواغيت كثيرة، ورؤسهم، خمسة، إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله ؛ والدليل قوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وهذا : معنى لا إلَه إلاّ الله، وفي الحديث : " رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " والله أعلم، وصلى الله على مُحَّد، وعلى آله وصحبه .

الشرح :

ثم بعد ذلك ذكر المصنف مسائل في معنى الطاغوت وحكمه وأنواعه ورؤوسه .

فقال " وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت " وهنا بدأ المصنف بالحكم على الطاغوت قبل تعريفه والمشهور أن التعاريف يُبتدأ بها قبل الحكم على الشيء لكن لا مشاحة في الاصطلاح .

المسألة الأولى : حكم الطاغوت : قال المصنف " افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت " الكفر به فرض لازم وهو فرض عين على جميع العباد . فالألف واللام للعموم كالإنس والجن أما كيفية الكفر بالطاغوت فتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ الكفر بجنس الطاغوت بالقلب وهو أن تبغضه بقلبك وتتمنى زواله وتعاديه وتنفر منه هذا بالقلب وحكم هذا القسم فرض لازم لا يسقط بحال من الأحوال ، حتى مع الإكراه بل إن الإكراه لا يتصور فيه كما أشار المصنف إلى ذلك في آخر كشف الشبهات .

ب . الكفر بجنس الطاغوت باللسان وذلك بالتصريح أن الطاغوت كافر وأنه باطل وأن عابديه كفار قال تعالى { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون } قل : بلسانك .. { وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون } والدليل على أنه يسقط مع العجز عموم قوله الله تعالى { فاتقوا الله ما استطعتم } بشرط أن يكون عجزاً حقيقياً وملجئاً .

الكفر بالطاغوت باليد وهو تحطيمه وإزالته وهذا واجب مع الاستطاعة والدليل أن الرسول ﷺ حطم الأصنام وأزاله في فتح مكة وأرسل من يزيلها .

المسألة الثانية : تعريف الطاغوت : صيغة مبالغة مشتقة من الطغيان وهي التجاوز والارتفاع والزيادة ومنه طغى الماء أي زاد . اصطلاحا : اختلفت عبارات السلف في تعريف فجاء عن عمر رضي الله عنه أن الطاغوت هو الشيطان رواه ابن أبي حاتم وجاء عن جابر أنه الكاهن ، وقال مالك : هو ما عبد من دون الله ؛ وجاء عن مُحَّد بن سيرين أن الطاغوت : الساحر ، وقيل : مردة أهل الكتاب ؛ وذكر ابن الجوزي في زاد المسير في تفسيره آية الكرسي ويلاحظ من هذه التعاريف أنها من باب تفسير الشيء ببعض أفراده وأما التفسير الجامع للطاغوت فهو تعريف ابن القيم رحمه الله قال : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع .

" معبود " ما ذكره عمر ومالك .

" متبوع " يشمل : مردة أهل الكتاب .

" مطاع " يشمل : الساحر ولكاهن وكل حاكم ويشمل علماء السوء وأمراء السوء وعباد السوء.

وهناك تعريف أدق من تعريف ابن القيم وهو : كل مجاوزة في الكفر ، فتارك الصلاة مثلا كافر وإذا دعا إلى ترك الصلاة أو عاقب على فعله فهذا تجاوز في الكفر فهو طاغوت ، ومن ذبح لغير الله هذا شرك فإذا دعا إلى الذبح لغير الله أو زينه فقد تجاوز في الكفر فهو طاغوت ، وإذا حلل شيئا فهذا تجاوز في الكفر ويدخل في ذلك سدنة الشرك والحجاب ... الخ

ومن تعريف ابن القيم تؤخذ أنواع الطواغيت وأنها ثلاثة أنواع :

طواغيت العبادة وهو يشمل كل من عبد من دون الله وهو راض ويشمل من دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ويشمل الشيطان أيضاً ، ويشمل الأصنام .

طواغيت الأتباع ، ويشمل العلماء والعباد ، علماء السوء والعباد المنحرفين .

طواغيت الطاعة ، وهو يشمل الأمراء ورؤساء العشائر يحللون ويحرمون من دون الله ، ويشمل الكهان والسحرة والحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله والمشرعين .

المسألة الثالثة : **رؤوس الطواغيت** . والطواغيت كثيرون باعتبار العدد لكن رؤوسهم وقادتهم خمسة – عُرف ذلك بالاستقراء – وزاد المصنف طاغوتاً في رسالة له على هذه الخمسة وهو الحاكم الجائر المغير لأحكام الله وعلى ذلك فيكونون ستة :

١ . إبليس : وعبر المصنف بالشيطان وهو أعم من التعبير بإبليس فيشمل كل مارد من الجن والإنس ، ودليل هذا القسم ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن الطاغوت هو الشيطان رواه ابن أبي حاتم ووجه كون إبليس والشيطان طاغوتاً لأنه تجاوز الكفر الذي وقع فيه إلى تزيين الكفر والدعوة إليه والأمر به ، وهذا النوع إبليس والشيطان أكبر الطواغيت وأعظمها والسبب أنه جمع معاني كثيرة من معاني الطاغوت فهو يدعو لعبادة نفسه ، ويدعو لعبادة غيره ويدعو إلى تغيير أحكام الله ويعين من يدعى علم الغيب .

٢ . من عبد وهو راض : وذكره في هذه الرسالة بهذا اللفظ ومن هنا موصولة بمعنى الذي تدل على العموم .

" عبد " ذلً وخضوعاً له بأي نوع من أنواع العبادة كمن ذبح له واستغيث به ونحو ذلك قول المصنف " وهو راض " جملة حالية الواو للحال في حالة كونه راض فلا يدخل عيسى عليه الصلاة والسلام في ذلك لأنه غير راض فلا يقال له طاغوت والعياذ بالله لأنه لم يرض بذلك ولن يرضى ، ووجه مجاوزة الحد في هذا النوع أنه رضي بالكفر والشرك أن يُفعل له .

٣ . من ادعى شيئاً من علم الغيب " من " موصولة بمعنى الذي ، وهي عامة في كل من ادعى علم الغيب سواء كان مسلماً أو كافراً أو رجلاً أو امرأة . " شيئاً " نكرة فتشمل لو ادعى شيئاً بسيطاً حتى ولو ادعى مرة واحدة ." من علم " من تبعيضية . أي بعض علم الغيب . " الغيب " مصدر غاب يغيب وهو كل ما خفي عنك ويطلق على ما لا يقع تحت الحس ، وهو ينقسم إلى قسمين :

أ- ما يسمى الغيب المطلق ويسمى أيضاً غيب المستقبل . تعريفه : هو ما لا يعلمه إلا الله . كعلم الساعة ، ومتى موت الإنسان ، وهي الخمس المجموعة في قوله تعالى : { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري

نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } .

ب- يسمى الغيب النسبي ويسمى بغيب الماضي والحاضر وهو ما خفي عليك وعلمه غيرك فما يدور خلف هذا الجدار هو بالنسبة لنا غيب وأما بالنسبة لمن حضره يعتبر شهادة .

أصناف مدعى الغيب : كالمنجم والكاهن والعراف والساحر والرمال والعائف وغيره ممن يدعى علم الغيب بأي وسيلة والفرق بين هؤلاء أنهم كلهم يدعون علم الغيب ولكن تختلف الوسيلة التي يخبرون بها عن الغيب .

فمن أخبر عن طريق النجوم فهو منجم ومن أخبر عن طريق الخطوط في الأرض فهو الرمال وصاحب الطرق وكيفيته يأتون إلى الرمال وهم يريدون تجارة أو سفر فيقوم الرمال ويخط خطوطاً سريعة في الأرض غير معروفة العدد ثم يبدأ بمحو هذه الخطوط خطين خطين فإن بقي خطان تفاءل وحث على السفر والتجارة ، وأحياناً يستخدمون الحجارة بدل الخطوط فيجمع كومة من الحجارة ويأخذ حجرين حجرين فإن بقي حجر تشاءم وإن بقي حجران تفاءل أو يستخدم أوراقاً أو عيداناُ أو غير ذلك وإن أخبر عن الغيب عن طريق الطير فيسمى العياف أو العائف فإذا أراد أحدهم سفراً أو زواجاً أرسل الطير فإن اتجه في طيرانه إلى جهة اليمين تفاءل وسافر وإن اتجه نحو اليسار تشاءم وإن أخبر عن الغيب عن طريق الجن وما ينقلون إليه من الأخبار فيسمى الكاهن والعراف أيضاً إلا أن العراف يخبر عن السرقات ومكان الضالة بعد ما تخبره الشياطين وأما الكاهن فإنه يخبر عما في الضمير ، وكذلك الساحر يخبر عن الغيب عن طريق الجن .

" مسألة " هناك مجموعة من الأمور فهل تعتبر من ادعاء علم الغيب أمثال :

١ . الإخبار عن الكسوف والخسوف لا يعتبر من ادعاء علم الغيب إن أخبر به عن طريق الحساب واستخدام بعض الآلات الحديثة . إلا أنه لا ينبغي الجزم بأن الكسوف أو الخسوف سوف يحدث وموقفنا ممن يخبر عن ذلك لا نصدقه ولا نكذبه كأحاديث بني إسرائيل والاستعداد لها والوضوء والذهاب إلى المسجد قبل رؤيتها بالعين أو سماع النداء لها هذا من تصديقها ، لأن العمل من التصديق .

٢ . إخباريات الأرصاد الجوية عن هبوب الريح أو توقع المطر أو تغيرات الجو ؛ هذه لا تعتبر من إدعاء علم الغيب ، لأن هذه أمور تعرف بالحساب وتعرف بالآلات الحديثة إلا أنه لا يجوز الجزم بذلك ، بل يربط ذلك بمشيئة الله .

٣ . الإخبار عن المياه الجوفية في باطن الأرض والمعادن هذا إذا كانت بوسائل حسية حديثة فليست من ادعاء علم الغيب .

٤ . إخبار ما يسمى بالقافي ويطلق عليه (المري) وهو الذي يخبر عن السرقة والضالة عن طريق تتبع الآثار أو البصمات وهذا لا يعتبر من ادعاء علم الغيب لأنه أخبر عن ذلك بطرق حسية معقولة ، ولذا جاء في الصحيح أن الرسول ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها مسروراً فقال : ألم تسمعي ما قال مجزز حينما رأى أقدام أسامة بن زيد وأبيه زيد فقال : أن هذه الأقدام بعضها من بعض . وقد كان أسامة لونه أسود وأبوه أبيض فقد يقول قائل أنه ليس أباه فأخبر هذا القافي أن الأقدام واحدة ، فدل على جواز العمل بخبر القافي .

٥ . الإخبار عن طريق الفراسة ولا تعتبر من ادعاء علم الغيب . قال عليه الصلاة والسلام : " اتقوا فراسة المؤمن " وكان عمر مشهوراً بالفراسة حتى أنه رأى رجل يمشي لأول مرة فقال إني لأظنه كاهناً فكان كما قال .

٦ . ما يسمى بقراءة الكف وتعتمد على تفسير الخطوط التي في كفك وتعرجاتها ثم يخبرك بعد الإطلاع على ذلك أنك سعيد أو شقي وهذا من ادعاء علم الغيب .

٧ . ما يسمى بقراءة الفنجان ، وهو أن يجعلك تشرب في فنجاناً وبعد فراغك من شربه يديره عدة مرات ثم ينظر ما علق بجدران الفنجان من خطوط من بقايا القهوة فإن تشكل فيها ما يشبه الحية تشاءم ؛ وإن ظهر ما يشبه الوردة تفاءل ، فحثك على السفر أو الزواج حسب السؤال .

٨ . ما يسمى بقراءة النار وهي الإخبار عن الغيب عن طريق صور لهيب النار فإن تشكل ما يشبه الفأس أو المطرقة قال لك سيصيبك كارثة ، أو منعك من السفر ، وإن تشكل ما يشبه الشجرة حثك على الزواج أو نحو ذلك .

٩ . ما يسمى فتح الكتاب : فلو أن إنسانا يريد أن يتزوج مثلاً فيأخذ كتاباً أو قرآناً ثم يفتحه بطريقة عشوائية وينظر إلى أول كلمة فإن كانت آية رحمة أو كلمة جميلة تزوج وإلا تشاءم وتركه ؛ وهذا كله من الكهانة وهي من إدعاء علم الغيب وهي كفر

١٠ . ومنه ما يسمى بتحضير الأرواح وهو عبارة عن استحضار جني يدعي بأدعية وتعاويذ وشركيات فيتقمص شخصية شخص أو صوته ويأتي بالأخبار الماضية أو المستقبلية ويدعي هذا الجني أنه روح فلان وهذا من ادعاء علم الغيب .

١١ . ما يسمى بحساب الجُمّل وهي من ادعاء علم الغيب وهي أن تحسب حروف اسمك واسم أبيك واسم أمك ثم تقسم المجموع على شهور السنة والناتج هو خبر المستقبل ويكون مصحوباً بجدول فإن كان ناتج القسمة عشرة مثلاً قال لك : ارجع إلى الجدول وانظر إلى الرقم عشرة .

١٢ . ما يسمى في المجلات والجرائد بركن (أنت وحظك) وهو من التنجيم وادعاء علم الغيب فيقول من ولد في برج كذا فهو في هذا الأسبوع (شقي) مثلاً أو نحو ذلك .

" مسألة " حكم مدعي الغيب ذاته كافر .

وحكم من ذهب إليهم فيه تفصيل : أ . فإن ذهب إليهم وهو مصدق لهم أنهم يعلمون الغيب سواء الغيب المطلق أو الغيب النسبي فهذا كافر كفراً أكبر لأنه اعتقد أن هناك من يعلم الغيب غير الله . قال تعالى { قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله } .

ب . وإن ذهب إليهم وهو يكره فعلهم ويعلم أنهم لا يعلمون الغيب . لكن ذهب يسألهم حاجة دنيوية أو يسألهم علاجاً شعبياً ، فهذا ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، ولا تقبل له صلاة أربعين يوماً كما جاء في حديث حفصة رواه مسلم : [من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً] أي لا يؤجر علي صلاة أربعين يوماً فيصلى بدون أجر وليس معنى ذلك أن يترك الصلاة بل يجب عليه أن يصلى لكن لا يؤجر لأن هذه السيئة ذهبت بأجر أربعين يوماً .

ج- أن يكره فعلهم ويعتقد أنهم لا يعلمون الغيب ولكن ذهب للفرجة والنزهة من باب الاستطلاع فهذا من كبائر الذنوب ولا تقبل له صلاة أربعين ، ومثله مشاهدته بالتلفزيون

فكله لا يجوز ومثله ألعاب السيرك ، ومثله من يحضر عند السحرة لكي يتفرج على ألعابهم البهلوانية وما يقومون به من أشياء مضحكة ولافتة للنظر .

٤ . من دعا الناس إلى عبادة نفسه : وهذا النوع ذكره هنا ولم يذكره المصنف في رسالة الطواغيت . وهذا عام في كل من دعا الناس إلى أن يعبدوه .

وقوله " عبادة نفسه " بالمعنى العام للعبادة حتى يدخل عبادة السؤال والطلب والاستغاثة كأن يستغيث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ويشمل العبادة بالمعنى الخاص كالذبح النذر وهذا النوع أغلظ من الذي قبله ، لماذا ؟ لأن الذي قبله رضي بالعبادة فقط بدون دعوة ، أما هذا رضي بالعبادة ودعا الناس إلى أن يعبدوه .

" الناس " على الغالب وإلا لو دعا الجن لعبادته فيدخل في ذلك ، وهذا يوجد في بعض الأقطار أن يقول للناس استغيثوا بي ادعوني أقضي حوائجكم كما يفعل بعض الصوفية .

٥- من حكم بغير ما أنزل الله وهذا هو الطاغوت الخامس وهو على أقسام :

أ- أن يحكم بغير ما أنزل الله وهذا هو الطاغوت الخامس مع اعتقاد أن هذا الذي حكم به مثل حكم الله أو أحسن من حكم الله أوأنه يجوز أن يحكم به فهذا كفر أكبر والدليل قوله تعالى : { أفحكم الجاهلية يبغون } وقوله : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } ، وهذه مرت بالنواقض العشر.

ب- أن يحكم بغير ما أنزل الله أحياناً في قضايا معينة قليلة ليس عن قانون ولا تعميم ولا لائحة ولا نظام ولا عرف أو تقليد وهو يعرف أن هذا الذي حكم به باطل ولا يجوز ، ولكنه في باب الشهوة والهوى أو الرشوة ، فهذا كفر دون كفر مثاله كأن يكون هنا قاض يحكم بين الناس بالشرع وهو دائماً يحكم على السارق إذا ثبتت عليه السرقة بالقطع وعلى من شرب الخمر بالحد هذا فعله دائماً لكن في بعض الأحيان القليلة إذا جاءه سارق قريب له أو أعطاه شيئاً من المال وقد ثبتت عليه السرقة لم يحكم بقطع يده وإنما حكم عليه بالسجن والتعزير هوى لا عن قانون ولا تعميم ولا لائحة ولا نظام ولا عرف ونحو ذلك ، وهو يعرف في قرارة نفسه أنه مخطئ لكن الهوى والمجاملة دفعه لذلك ، فهذا يعتبر من الكفر الأصغر والدليل يحمل عليه قول ابن عباس أنه كفر دون كفر إن صح ، ويحمل عليه ما صح عن التابعين أنه

كفر دون كفر وهو قول أبي مجلز التابعي لما ناقش الخوارج حول آية { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } .

ج- من يعرف أنه مخطئ ولكن كثيراً ما يحكم بغير ما أنزل الله وهو نفس المثال السابق لكن بدل القول (في قليل من القضايا) يكون في كثير من قضاياه يحكم بغير ما أنزل الله . فالقاضي الذي يحكم على السارق بالقطع أحياناً وإلاّ فأكثر السراق يحكم عليهم بغير حكم الله فهذا حكمه كفر أكبر وأدلته أدلة القسم الأول . وأشد منه الذي يحكم في كل القضايا بغير ما أنزل الله حتى ولو كان يعرف أنه مخطئ وأن حكم الله سبحانه أحسن ، وهذا التقسيم في حكم من حكم بغير ما أنزل الله .

د- القاضي الذي يحكم بما أنزل الله لكن في بعض القضايا يحكم بالقانون وباللائحة وبالتعميم وبالنظام أو العرف والتقليد والسلوم ولو مرة واحدة وهو يعرف أنه مخطئ فهذا يكفر ولو كان كل عمره يحكم بما أنزل الله لكن في قضية واحدة حكم من أجل قانون أو تعميم ونحو ذلك يخالف شرع الله فهذا يكفر .

والفرق بين هذا وبين القاضي الذي يحكم بما أنزل الله لكن في قليل من القضايا يحكم بها شهوة :- أن الذي يحكم بالقانون أو التعميم يتضمن الرضى بالقوانين الوضعية .

مسألة : وهو المشرع وليس بقاض يسن القوانيين وهو لا يحكم بها فهذا طاغوت ، ولو سموا أنفسهم هيئة استشارية ونحو ذلك فالعبرة بالمعاني والحقائق لا بالألفاظ

مسألة : وشروط تسمية الشيء تشريعا سواءً أكان قانونا أو غيره :

أ . أن يعين من ذي سلطة كالملك والرئيس والأمير والمدير العام ورئس اللجنة .

ب . أن يعين إلى أناس من شأنهم أن ينفذون كالشرطة والموظفين والقضاة.

ج . أن يكون بألفاظ عامة مثل إذا جاءكم سارق فيؤخذ منه غرامة ، أما إذا كان بلفظ خاص كأن يقول إذا جاءكم مُحَّد وقد سرق فاتركوه فهذا من الظلم وليس من التشريع العام

* وإذا اجتمعت هذه الثلاثة الشروط سُمى تشريعا ولا يشترط أن يكون تحريريا بل ولو كان شفويا أو عرفا جاريا أو عادة متبعة .

مسألة : عرفنا حكم من حكم بغير ما أنزل الله بقي حكم من تحاكم إلى غير ما أنزل الله كالذي يتحاكم إلى المحاكم غير الشرعية ؟ على نفس التقسيم السابق كالتالي :

أ- إن ذهب إلى المحاكم الوضعية وهو يعتقد أنها أفضل أو مثل ما أنزل الله أو أنه يجوز الذهاب إليها فهذا كفر أكبر : { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون } وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

ب- يذهب إلى المحاكم الشرعية سواء أغلب ذهابه أو أقل ذهابه (فلا فرق) بمعنى كل من ذهب إلى المحاكم الوضعية باختياره ورغبة منع عالما بأنها وضعية فهو يكفر كفرا مخرجا من الملة ، قال تعالى : { ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم أمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت [١٣] } .

٦- هذا الصنف السادس لم يذكره المصنف في هذا الكتاب لكنه ذكره في رسالته عن الطواغيت ورؤوسهم وهو الحاكم الجائر المغير لأحكام الله ويقصد به من يُشَرع وهذا القسم كافر بإطلاق وليس فيه تفصيل ولو شرع حكماً واحداً يضاد به حكم الله حتى ولو كان يعتقد في قرارة نفسه أن ما شرعه لا يجوز أن يحكم به أو أن حكم الله أفضل فلا عبرة باعتقاده ، فالكفر مناط بفعله وهو التشريع بغض النظر عن ما في قلبه ويدل عليه قوله تعلى{ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } قال تعالى { فلا تجعلوا لله أنداداً } .

ثم ذكر المصنف الدليل على وجوب الكفر بالطاغوت قوله تعلى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها .. } والآية فيها معنى لا إله إلا الله وهو معنى الكفر بالطاغوت ثم ختم الشيخ – رحمه الله تعالى – هذه الرسالة برد العلم إلى الله – عز وجل – والصلاة والسلام على نبيه مُحَمَّد ﷺ ..

---

[١٣]- نزلت في رجلين تخاصما رجل من اليهود ورجل من المسلمين فقال اليهودي نذهب إلى مُحَمَّد وقال المسلم نذهب إلى كعب الأشراف وفي رواية إلى كاهن وآخر شيء ذهبوا إلى عمر فقالوا له كلامهم فقال عمر أكذلك فقال نعم فدخل فأخذ السيف من بيته وأتى إليه وضرب رأسه حتى تدحرج .

وبهذا تم شرح الأصول الثلاثة منتقاة من مجموعة شرحات لأهل العلم وكبار العلماء الذين قاموا بشرح الرسالة وقد إعتمدنا شرح الشيخ صالح آل الشيخ والشيخ على الخضير غفر الله لهما مع تعليقات يسيرة مختصرة على حسب الحال نسأل الله أن يثيب مؤلفها ، وأن يغفر له وأن يثبت شارحها وأن يجعل لنا نصيباً من أجرها وثوابها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا مُحَمَّد .

متى يكون التوكل شركا أكبر ومتى يكون شركا أصغر؟

التوكل عبادة مطلوبة؛ التوكل على الله عبادة مطلوبة واجبة، يسأل هو عن التوكل على غير الله، يكون شركا أكبر إذا فوض أمره لغير الله؛ فوض هذا الأمر؛ المصيبة التي وقع فيها، أو ما يريد إنجاحه تجارة، أو عبادة أو درس أو نحو ذلك، فوّض إنجاح هذا الأمر لغير الله، وقام بقلبه هذا التعلق، يكون شركا أكبر، ولا يكون التوكل على غير الله شركا أصغر، إنما هو شرك أكبر.

يوجد كتاب باسم حكم تمني الموت صحة أحكام تمني الموت للشيخ مُحَّد عبد الوهاب، وقد قرأت هذا الكتاب فوجدت فيه من القصص الغريبة والأحاديث الضعيفة. فهل هذا الكتاب فعلا للشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب علما بأن دار النشر المكتبة الإعدادية بمكة المكرمة؟

هذا سؤال جيّد، وإن كان الجواب عليه قد يطول، لأن المسألة تحتاج إلى إيضاح وبسط، لكن ألخص الجواب: بأن هذا الكتاب ليس للشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وإنما الواقع أن الجامعة؛ جامعة الإمام، رأت أن النسخة هذه التي طبعوا عنها، أنها بخط الشيخ رحمه الله تعالى، وعندي صورة منها وهي بخط الشيخ رحمه الله، وقد جلبها العلماء منذ عقود مضت من لندن من المتحف البريطاني؛ جلبوها لا لأنها من تأليف الشيخ، ولكن لأجل أنها بخط الشيخ، مجموع كبير بخط الشيخ رحمه الله، جلبوها من هناك وصوروها وأودعوها في المكتبة السعودية في الرياض، لأنها بخط الشيخ والعلماء منذ ذلك الوقت يعلمون أنها ليست للشيخ، وإنما هي بخطه وسيأتي لما كتبها الشيخ، ولهذا لم يسعوا إلى نشرها ولا إلى طبعها.

الشيخ رحمه الله تعالى في هذه من جنس المجاميع التي كتبها بخطه، ولأنه كان يتجول في رحلاته، فإذا رأى كتابا –كما تعلمون في ذلك الوقت يصعب شراء الكتب، تكون نسخة عند واحد من الناس فيصعب شرائها– فالعالم ماذا يصنع، يأخذ هذا الكتاب ويختصره؛ ينتخب منه، فهو الذي صنع في هذا المجموع أنه انتخب منه أشياء تتعلق بأوله، بأحكام تمني الموت، ثم بعد ذلك انتخب أشياء من هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الخرافيون في بعض المسائل حياة الموتى وتعلق أرواح الأحياء بالموتى ونحو ذلك، أخذها من كتاب للسيوطي مطبوع الآن بأحوال أهل القبور، أخذ هذه الأحاديث لما؟ ليكون على بينة في تخريجها فيما إذا أوردها عليه الخصوم؛ خصوم الدعوة فهو لم ينتخبها تأليفا وإنما انتخبها انتقاء، حتى يكون على بينة منها، كعادته في أشياء كثيرة مما انتقاه وانتخبه، والذي غرَّ الذين طبعوه أنه موجود بخط الشيخ رحمه الله تعالى، وكونه بخط الشيخ لا يعني

أنه تأليف له، وسموه بهذا الاسم (أحكام تمني الموت) لأن أول صفحة منه في حكم تمني الموت، فتمني الموت في ذلك الكتاب استغرق صفحة أو صفحتين أو قريبا منها، والباقي كلها من الأحاديث التي ذكرها هذا السائل جزاه الله خيرا، والشيخ رحمه الله كما ذكرت لك انتخب هذه ليعلمها، من كتاب للسيوطي موجود، لو طابقت بين هذه الرسالة المزعومة وكتاب السيوطي لوجدت أنها نقل عنه حرفا بحرف، الأحاديث المتوالية نقلها عنه ليكون على بينة مما فيها فيما لو احتج بها الخرافيون، ولهذا قال من قال من علماء الحديث: أهل الحديث يكتبون كل شيء؛ يكتبون حتى الموضوعات، حتى إذا احتج بها أحد بينوا له حكمها، وبينوا له وجه معناها.

هل يُقدَّم السبب على التوكل على الله، وما معنى قوله عليه السلام «اعقلها وتوكّل»؟

السبب يكون قبل، تريد أمرا من الأمور تفعل السبب الذي يحصل المسبب عادة به؛ شفاء من مرض، السبب أن تذهب إلى الطبيب فهذا السبب، إذا فعلت السبب يقوم بالقلب شيئان:

أولا: تفويض أمر الشفاء لله جل وعلا.

الثاني: أن لا يرى القلب هذا السبب محصلا للمقصود وحده، لا يرى القلب هذا السبب الذي هو الذهاب للطبيب محصلا للشفاء وحده، ولكن يعلم أنه ثم أسباب أخرى كلها جميعا بيد الله جل وعلا.

فهذا السبب يتلوه شيئان هما التوكل، وفعل السبب من تمام التوكل، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره فيما ساقه السائل «اعقلها وتوكّل» توكَّلَ على الله جل وعلا في حفظ ناقته بدون أن يعقلها، فسرحت وذهبت وبعُدت عنه، فقال: اعقلها وتوكل. يعني ابذل السبب ثم بعد ذلك فوض الأمر إلى الله جل وعلا أن ينفع بهذا السبب، إذ بيده ملكوت كل شيء، وليكن بقبك عدم رؤية أن هذا السبب وهو العقل كافيا في حصول المراد وهو حفظ تلك الناقة.

هل البيت المعروف عند الناس وامعتصماه، شرك في الاستغاثة ولماذا؟

هذا الذي يقول: ((رُبَّ وامعتصماه انطلقت))، القصة هذه لا نُثبتها، أي أن المرأة نادت المعتصم وقالت: وامعتصماه، أو أين المعتصم مني، أو يا معتصماه، هذه ليست بثابتة تاريخيا، لكن أخبار التاريخ كما هو معلوم كثيرة لا يمكن أخذ التثبت منها.

وامعتصماه هذه لها احتمالات، احتمال أن تكون نُدْبَة، واحتمال أن تكون نداء واستغاثة. وعلى كل إذا كان هذا الغائب لا يسمع الكلام، أو لا يعتقد أن الكلام سيصل إليه، فإنه يكون شركا؛ لأنه استغاث بغير الله جل وعلا، فإن كان من باب النُّدبة فإن باب الندبة فيه شيء من السعة، والأصل أن الندبة تكون لسامع، كذلك الاستغاثة لما يُقْدَرُ على الاستغاثة فيه تكون لحي حاضر

سامع يقدر أن يغيث، وهذا كان على القصة هذه لو كانت المرأة قالتها المعتصم لا يسمعها وليس قريبا منها، فيحتمل إن كان مرادها أنه يمكن أن يسمعها؛ يقوم بقلبها أنه يمكن أن يسمعها دون واسطة طبيعية، ودون كرامة خاصة لها من الله جل وعلا، هذا شرك من جنس أفعال المشركين، وإن كان مقصودها أن يوصل ويصل إلى المعتصم طلبها واستغاثتها بواسطة من سمعها كما حصل فعلا فهذا ليس بشرك أكبر مخرج من الملّة.

فتلخص أن هذه الكلمة محتملة، والأصل؛ القاعدة في مثل هذه الكلمات المحتملة لا يجوز استعمالها–المحتملة لشرك– لا يجوز استعمالها؛ لأن استعمالها يخشى أن يوقع في الشرك أو يفتح باب الشرك.

؟ بعض الناس يخاف أن يُنْكِر المنكر، إذا كان في مجلس –مثلا– فيقوم من المجلس ويكتفي بإنكار القلب، فهل يدخل هذا في الخوف المحرم؟

لو جلس كان هذا داخلا في الخوف المحرم، وذلك بشرط أن لا يكون مستطيعا أن ينكر بيده، أو مستطيعا أن ينكر بلسانه، فإن كان بوسعه أن ينكر بيده إذ له مقدرة على الإنكار بيده؛ بأن يكون الأمر في بيته أو عند من له عليهم سلطة من قرابته ونحو ذلك، هذا ينكر بيده، إن لم يستطع ذلك ينكر بلسانه، وبعد ذلك يفارق المكان إن لم يُغَيَّر، الثالث إن لم يستطع الإنكار باللسان ينكر بقلبه لبغضه لهذا المنكر، وإن تمكن من الخروج من مكان المنكر فإنه يجب عليه الخروج، إن خاف الناس في إنكاره بيده مع استطاعته أن ينكر بيده، فهذا من الخوف المحرم الذي هو المرتبة الثالثة، إن خاف أن ينكر بلسانه؛ خاف الناس، مع إمكانه أن ينكر بلسانه، فهذا من الخوف المحرم، إن خاف أن يفارق مع إمكانه أن يفارق دون مفسدة راجحة تحصل ولم يفارق كان هذا من الخوف المحرم، والله المستعان

هل يصح أن يُقال توكلت على الله ثم عليك؟

والجواب: أن هذا لا يصلح؛ لأن الإمام أحمد وغيره من الأئمة صرحوا بأن التوكل عمل القلب.

ما معنى التوكل؟ هو تفويض الأمر إلى الله جل وعلا بعد بذل السبب؛ إذا بُذل السبب فوض العبد أمره إلى الله، فصار مجموع بذله للسبب وتفويضه أمره لله مجموعها التوكل، ومعلوم أن هذا عمل القلب كما قال الإمام أحمد.

ولهذا سئل الشيخ مُحَمَّد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية السابق رحمه الله تعالى عن هذه العبارة فقال: لا تصح لأن التوكل عمل القلب، لا يَقبل أن يقال فيه (ثُمَّ)؛ توكلت على الله ثم عليك. إنما الذي يقال فيه (ثُمَّ) ما يسوغ أن يُنسب للبشر.

بعض أهل العلم في وقتنا قالوا: إن هذه العبارة لا بأس بها؛ توكلت على الله ثم عليك، ولا يُنظر فيها

إلى أصل معناها وما يكون من التوكل في القلب، إنما ينظر فيها إلى أن العامة حينما تستعملها ما تريد التوكل الذي يعلمه العلماء، وإنما تريد ممثل معنى اعتمدت عليك، ومثل وَكَّلْتُك ونحو ذلك، فسهلوا فيها باعتبار ما يجول في خاطر العامة من معناها وأنهم لا يعنون التوكل الذي هو لله؛ لا يصلح إلا لله، لكن مع ذلك فالأولى المنع لأن هذا الباب ينبغي أن يُسد، ولو فتح باب أنه يستسهل في الألفاظ لأجل مراد العامة، فإنه يأتي من يقول مثلا ألفاظ شركية ويقول أنا لا أقصد بها كذا، مثل الذين يظهر ويكثر على لسانهم الحلف بغير الله بالنبي أو ببعض الأولياء أو نحو ذلك يقولون لا نقصد حقيقة الحلف، ينبغي وصف ما يتعلق بالتوحيد، وربما ما يكون قد يخدشه أو يضعفه، ينبغي وَصْدُ الباب أمامه حتى تخلص القلوب والألسنة لله وحده لا شريك له.

ما إعراب ثلاثة الأصول وأدلتها ولماذا لم يقل المصنف: الأصول الثلاثة وأدلتها وما هي العبارة الأصح؟

الشيخ رحمه الله تعالى له رسالة أخرى بعنوان الأصول الثلاثة رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ ليعلمها الصبيان والصغار تلك يقال لها الأصول الثلاثة، وأما ثلاثة الأصول فهي هذه التي نقرأها، ويكثر الخلط بين التسميتين، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول، أو الأصول الثلاثة، لكن تسميتها المعروفة أنها ثلاثة الأصول وأدلتها.

إعراب ثلاثة الأصول وأدلتها:

ثلاثة: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه (هذه ثلاثة) خبر مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمّة الظاهرة على آخره وهو مضاف.

الأصول: مضاف إليه مجرور بالتبعية وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الواو: عاطفة.

أدلةُ: معطوف على ثلاثة مرفوع بالتبعية؛ تبعية العطف، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف.

ها: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالاضافة.]

سؤال وجيه وهو أنه جاء في حديث ابن عباس: «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». وُصف الله بأنه ذو معرفة، وأنه يَعرف.

وهذا فيه نظر لأنه المتقرر في القواعد في الأسماء والصفات؛ أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، وباب الأخبار أوسع من باب الأفعال وباب الصفات وباب الأسماء، فقد يطلق ويضاف إلى جل وعلا فعل ولا يضاف إليه الصفة، كما أنه قد

يوصف الله جل وعلا بشيء ولا يشتق له من الصفة اسما، ولهذا يدخل في هذا كثير مما جاء، مثل ما وَصف الله جل وعلا به نفسه في قوله ؟وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ؟[الأنفال: ٣٠]، يستهزئون والله يستهزئ بهم، إن الله لا يمل حتى تملوا، ونحو ذلك مما جاء مقيدا بالفعل، ولم يذكر صفة للاسم، فهذا يقال فيه أنه يطلق مقيدا، ويمكن أن يحمل عليه حديث ابن عباس هذا (تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)، نقول إن الله جل وعلا يعرف في الشدة من تعرف إليه في الرخاء، على نحو تلك القاعدة، كما يقال إن الله جل وعلا يمكر بمن مكر به، يستهزئ بمن استهزأ به، يخادع من خدعه، ولا يقال إن الله جل وعلا ذو مكر، وذو استهزاء، وذو مخادعة هكذا مطلقا بالصفة، وإنما كما هي القاعدة أن باب الأفعال أوسع من باب الصفات.

ما الفرق بين الحمد والشكر؟

هناك فروق كثيرة بين الحمد والشكر، لكن الذي يضبطها هو:

*** أن الحمد هو الثناء باللسان، والثناء على كل جميل.**

*** وأما الشكر فمورده اللسان والعمل.**

فلا يُقال مثلا فلان حمد الله جل وعلا بفعله، بل لابد أن يكون الحمد باللسان، لكن الشكر يمكن أن يكون باللسان ويمكن أن يكون بالعمل، قال جل وعلا؟أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ؟[لقمان: ١١٤]، وقال جل وعلا؟اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا؟[سبإ:١٣].

فمن حيث المورد الشكر أعم من الحمد، لأنه يشمل حمد الثناء، والمدح باللسان وبالعمل.

والحمد أخص لأنه لا يكون إلا باللسان.

ومن حيث ما يحمد عليه أو ما يثنى عليه، وما يمدح، فإن الحمد أعم فهذا من الأشياء التي يقول فيها العلماء إن بينهما عموم وخصوص؛ يجتمعان في شيء ويفترقان في شيء آخر.

-عرف الأصل؟ وإلى ماذا أشار المصنف بهذه الأصول الثلاثة؟

ج:الأصول: جمع أصل ، وهو ما يبنى عليه غيره ، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه ، وأصل الشجرة الذي يتفرغ منه الأغصان.

وهذه الأصول الثلاثة يشير بها المصنف رحمه إلى الأصول التي يسأل عنها الإنسان في قبره : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

-معرفة الله تكون بأسباب اذكرها؟

ج:أولا: النظر والتفكر في مخلوقاته عز وجل فإن ذلك يؤدي إلى معرفته ومعرفة عظيم سلطانه وتمام قدرته ، وحكمته ، ورحمته قال الله تعالى: ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت

السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ {سورة الأعراف، الآية: ١٨٥}. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {سورة البقرة ، الآية: ١٦٤}.

ثانيا:ومن أسباب معرفة العبد ربه النظر في آياته الشرعية وهي الوحي الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فينظر في هذه الآيات وما فيها من المصالح العظيمه التي لا تقوم حياة الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا بها ، فإذا نظر فيها وتأملها وما اشتملت عليه من العلم والحكمة ووجد انتظامها وموافقتها لمصالح العباد عرف بذلك ربه عز وجل كما قال الله عز وجل : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ {سورة النساء، الآية: ٨٢} .

ثالثا:ومنها ما يلقى الله عز وجل في قلب المؤمن من معرفة الله سبحانه وتعالى حتى كأنه يرى ربه رأي العين قال النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله جبريل عن الإحسان ؟ قال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ما معنى كون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان؟

ج:معنى كونه صالحاً لكل زمان ومكان: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ومكان ، فدين الإسلام يأمر بكل عمل صالح وينهي عن كل عمل سيء، فهو يأمر بكل خلق فاضل ، وينهى عن كل خلق سافل.

ما معنى التربية؟ وتربية الله لعباده على قسمين اذكرها؟

ج:التربية هي عبارة عن الرعاية التي يكون بها تقويم المربى.

التربية تنقسم إلى قسمين:

أولا: تربية عامة: وهي تشمل جميع المخلوقات من المؤمن والكافر والحيوانات فربوبية الله عامة لجميع المخلوقات بالخلق والرزق والملك والتدبير.

ثانيا: تربية خاصة: وهي خاصة بالمؤمنين وذلك بتربيتهم على الإيمان والتقوى والخير والصلاح.

عرف العالَم ؟ ولماذا سمو بذلك؟

ج:العالم كل من سوى الله ، وسُمو عالماً ؛لأنهم علم على خالقهم ومالكهم ومدبرهم ففي كل شيء آية لله تدل على أنه واحد.

عرف الآية وكم أقسامها؟

ج:وهي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

أقسامها:

الأول: آيات كونية: فالكونية هي المخلوقات.

الثاني: آيات شرعية: هي الوحي الذي أنزله الله على رسله.

ما معنى الرب؟مع الدليل؟

ج:الرب: هو المعبود والدليل قوله تعالى:﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾.

–عرف التقوى؟

ج:التقوى :هي اتخاذ وقاية من عذاب الله عز وجل بإتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

–اذكر شيئا من أنواع العبادة التي أمر الله بها؟

ج:الإسلام ، والإيمان، والإحسان؛ ومنه الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والخشوع ، والخشية ، والإنابة ، والاستعانة ، والاستعاذة ، والاستغاثة ، والذبح، والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها لله تعالى.

ما حكم من صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله تعالى؟ مع ذكر الدليل؟

ج:من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، والدليل قوله تعالى: ﴿ ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ {سورة المؤمنون، الآية: ١١٧}.

حديث(الدعاء مخ العبادة) ماذا تعرف عن صحة الحديث؟ وهل هناك حديث آخر يقوم مقامه؟

ج: الحديث ضعيف لم يثبت وسبب ضعفه،أن في سنده ابن لهيعة، وهناك حديث آخر صحيح يقوم مقامه وهو حديث النعمان ابن بشير ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:«الدعاء هو العبادة».

كم أقسام الدعاء؟مع تعريف كل قسم؟

ج:نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

دعاء المسألة: هو دعاء الطلب أي طلب الحاجات وهو عبادة إذا كان من العبد لربه ؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة. ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة

ودعاء العبادة: أن يتعبد به للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة وعليه يقع الوعيد في قوله تعالى: ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ {سورة غافر، الآية: ٦٠ }.

-دعاء المسألة له أقسام اذكرها؟

ج:الأول: أن يدعو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهذا شرك بالله تعالى كقولك: يا فلان اشفني؛لأن الشفاء لا يقدر عليه إلا الله.

الثاني: أن يدعو غير الله فيما يقدر عليه فهذا جائز كقولك: يا فلان أعطني القلم أو يا فلان أطعمني.

-عرف الخوف؟ مع ذكر أنواعه؟ مع تعريف كل نوع؟

هو الذعر وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه هلاك أو ضرراً أو أذى ، وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن خوف أولياء الشيطان وأمر بخوفه وحده.

والخوف ثلاثة أنواع:

النوع الأولى: خوف طبيعي: كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق وهذا لا يلام عليه العبد قال الله تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ فأصبح في المدينة خائفاً يترقب ﴾

{سورة القصص، الآية: ١٨} لكن إذا كان هذا الخوف كما ذكر الشيخ رحمه الله سبباً لترك واجب أو فعل محرم كان حراماً ؛ لأن ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم فهو حرام ودليل قوله تعالى: ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ {سورة آل عمران، الآية: ١٧٥} .

والخوف من الله تعالى يكون محموداً ، ويكون غير محموداً .

فالمحمود: ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله بحيث يحملك على فعل الواجبات وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود: ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه.

النوع الثاني: خوف العبادة أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فهذا لا يكون إلا لله تعالى.

وصرفه لغير الله تعالى شرك أكبر.

النوع الثالث: خوف السر كأن يخاف صاحب القبر ، أو ولياً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً ذكره العلماء من الشرك.

-عرف الرجاء؟ مع ذكر أقسامه؟

ج:الرجاء هو:طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

أقسامه:

الأول: الرجاء المتضمن للذل والخضوع وهذا لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما اصغر ، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . وقد استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾.

واعلم أن الرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته ، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمن مذموم.

الثاني: رجاء غير متضمن للذل والخضوع ،وهذا يجوز صرفه لغير الله تعالى كقولك: يا فلان أرجوك أن تعمل لي كذا وكذا.

-عرف التوكل؟واذكر أنواعه؟

ج:التوكل على الشيء الاعتماد عليه. «والتوكل على الله تعالى: الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسباً في جلب المنافع ودفع المضار» وهو من تمام الإيمان وعلاماته لقوله تعالى: ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾

أنواع التوكل:

الأول: التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فر ق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً عدوا لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه. أما لو اعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة ، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿ يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٨٧} ووكل النبي صلى الله عليه وسلم ،على الصدقة عمالاً وحفاظاً ، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب ﷺ في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر ﷺ بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.

-عرف كلا من: الرغبة- الرهبة- الخشوع؟

ج: (١) الرغبة : محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

(٢) والرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.

(٣) الخشوع: الذل لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

–هل يغلب جانب الرجاء على الخوف أم هناك تفصيل؟

ج:والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها ، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء : يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر

ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل ،وفي حال الصحة يكون

نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله ، والخوف على اليأس من رحمة الله تعالى.

–عرف الخشية؟مع ذكر أقسامها؟

ج:الخشية نوع من الخوف، لكنها تفارق الخوف بأنها خوف مع علم، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، فالخشية خوف مع علم.

وأقسام الخشية هي أقسام الخوف.

عرف الإنابة؟ وما الفرق بينها وبين التوبة؟

ج:الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته وهي قريبة من معنى التوبة.

والفرق بينها وبين التوبة: أنها أرق من التوبة لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ .

–ينقسم الإسلام إلى قسمين اذكرهما مع تعريف كل قسم؟

ج:وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني: وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر ، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: ﴿

وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ {سورة آل عمران، الآية: ٨٣} .

الثاني: إسلام شرعي: وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل وأتباعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

-عرف الاستعانة؟واذكر أنواعها؟

ج:الاستعانة: طلب العون وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه ، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾، ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿ إياك ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن: أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة.

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على برٍّ فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ {سورة المائدة، الآية: ٢}.

وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ {سورة البقرة ، الآية: ١٩٥}

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر الغائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك؛ لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيًا في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلواة ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٥٣}.

وقد استدل المؤلف رحمه الله تعالى للنوع الأول بقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ {سورة الفاتحة، الآية: ٤} وقوله ﷺ : «إذا استعنت فأستعن بالله».

–عرف الاستعاذة واذكر أنواعها؟

ج:الاستعاذة : طلب الإعاذة، والإعاذة: الحماية من مكروه فالمستعيذ محتمي بمن استعاذ به ومعتصم به.

والاستعاذة أنواع:

الأول: الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق ﴾إلى آخر السورة، وقوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس* من شر الوسواس الخناس ﴾ إلى آخر السورة.

الثاني: الاستعاذة بصفةٍ ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، وقوله : «أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»، وقوله : في دعاء الألم «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»، وقوله: « أعوذ برضاك من سخطك» ، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ {سورة الأنعام ، الآية: ٦٥} فقال: «أعوذ بوجهك»

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ {سورة الجن، الآية: ٦}

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن : «من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذبه» متفق عليه، وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «فمن كان له إبل فليلحق بإبله» الحديث رواه مسلم، وفي صحيحه أيضاً عن جابر ﷺ أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة الحديث، وفي صحيحه أيضاً عن أم سلمة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث».الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان ، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه.

-عرف الاستغاثة واذكر أنواعها؟

ج:طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك ، وهو أقسام :

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول : « اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك» فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك ؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة النمل ، الآية: ٦٢}.

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالاستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿ فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ {سورة القصص، الآية: ١٥}.

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العله، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما اغتر بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة.

-عرف الذبح؟ وله وجوه متعددة اذكرها؟

ج:هو:إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص .وله وجوه متعددة:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره

الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿ قل إن صلاتي ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له ﴾ .

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو إستحباباً لقوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف «أو لم ولو بشاة»

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴾{سورة يس، الآيتين: ٧١، ٧٢} وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له.

عرف النذر؟ وما حكمه؟

ج:النذر: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما ، أو طاعة لله غير واجبة.

حكمه: مكروه ، وقال بعض العلماء: إنه محرم؛ لأن النبي ﷺ ، نهى عن النذر وقال : «إنه لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل» ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله وجب عليه فعلها لقول النبي ﷺ : «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

كم مراتب الدين؟ ولكل مرتبة لها أركان اذكرها؟مع ذكر الدليل من السنة؟

ج:مراتب الدين ثلاثة مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

المرتبة الأولى: الإسلام: وأركانه خمسة: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت دليل ذلك ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَّداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام» متفق عليه.

المرتبة الثانية: الإيمان، وأركانه ستة: [الإيمان بالله–الإيمان بالملائكة– الإيمان بالرسل– الإيمان بالكتب– الإيمان باليوم الآخر– الإيمان بالقدر خيره وشره] دليل ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فسأله عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

المرتبة الثالثة: الإحسان، دليل ذلك حديث عمر بن الخطاب السابق لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ما هي أعظم شهادة وأعظم شاهد وأعظم مشهود؟مع الدليل؟

ج:أعظم شهادة هي لا إله إلا الله، وأعظم شاهد هو الله تعالى وملائكته وأولو العلم، وأعظم مشهود به هو توحيد الله في ألوهيته.دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ {سورة آل عمران، الآية : ١٨}.

ما معنى لا إله إلا الله؟ وكم أركانها؟

ج:معناها: لا معبود بحق إلا الله ؛ ولها ركنان:

النفي: في "لا إله" نافياً جميع ما يعبد من دون الله

والإثبات: في " إلا الله" مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته

ما هو الدليل على بطلان ألوهية غير الله تعالى؟

ج:الدليل:قوله تعالى: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه وهو الباطل﴾فهذه الآلهة التي تعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة ،وليس لها من حق الألوهية شيء.

ماهي الكلمة المرادة من قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم)؟

ج:هذه الكلمة هي ألا نعبد إلا الله وهي معنى "لا إله إلا الله".

ما معنى شهادة أن مُحَّدا رسول الله؟

ج:معنى شهادة "أن مُحَّداً رسول الله" هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن مُحَّد بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله – عز وجل – إلى جميع الخلق من الجن والإنس، ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر، وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع.

عرف الإيمان لغة وشرعاً؟

ج:الإيمان في اللغة التصديق.

وفي الشرع: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح.

–ما الجمع بين كون الإيمان بضع وسبعون شعبة وبين كونه ستة أركان ؟

ج:الجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره».

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شبعة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيماناً في قوله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٤٣} قال المفسرون: يعني صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس.

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور اذكرها؟ مع تعريف كل أمر؟

ج:الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة ، والعقل ، والشرع والحس.

١– أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه».

٢– وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى : فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن توجد صدفة،فلا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه ، لأن قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور ، حيث قال: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ {سورة الطور، الآية: ٣٥} يعني: أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم ، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع – جبير بن مطعم – ﵁ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ﴾ {سورة الطور، الآيات: ٣٥-٣٧} وكان – جبير يؤمئذ مشركاً قال : «كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي» رواه – البخاري – مفرقاً

– وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى : فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك ، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

– وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله تعالى: ﴿ ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له﴾ {سورة الأنبياء، الآية: ٧٦} وقال تعالى: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فأستجاب لكم ﴾ {سورة الأنفال ، الآية: ٩} وفي صحيح البخاري عن – أنس بن مالك ﵁ : "أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: (يا رسول الله) ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا ، فرفع يديه وقال : "اللهم حوالينا ولا علينا ، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت» .

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم .

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه فانفلق اثنى عشر طريقاً يابساً ، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ {سورة الشعراء، الآية: ٦٣}.

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله ، قال الله تعالى: ﴿وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ {سورة آل عمران ، الآية: ٤٩} وقال :﴿ وإذ تخرج الموتى بإذني﴾ {سورة المائدة ، الآية: ١١٠}.

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس ، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ {سورة القمر، الآيتين: ١-٢}. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم ، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته:أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب : من له الخلق والملك ، والأمر ، فلا خالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو ، ولا أمر إلا له، قال تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ {سورة الأعراف، الآية : ٥٤} وقال: ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ {سورة فاطر، الآية: ١٣} ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول ،كما حصل من – فرعون – حين قال لقومه : ﴿ أنا ربكم الأعلى﴾ {سورة النازعات ، الآية: ٢٤} وقال: ﴿ يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ {سورة القصص، الآية: ٣٨} لكن ذلك ليس عن عقيدة ، قال الله تعالى: ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ {سورة النمل، الآية: ١٤} وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ { سورة الإسراء، الآية: ١٠٢}،ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى ، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا

تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾{سورة المؤمنون ، الآيات : ٨٤-٨٩}.

وقال الله تعالى: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ {سورة الزخرف، الآية: ٩} وقال: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهن ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ {سورة الزخرف، الآية: ٨٧}.

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته ، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادت وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنه وحده الإله الحق لا شريك له) و "الإله" بمعنى المألوه" أي "المعبود حباً وتعظيماً ، وقال الله تعالى: ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٦٣} وقال تعالى: ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ {سورة آل عمران، الآية: ١٨}. وكل ما اتخذ إلها مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة ، قال الله تعالى: ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير ﴾ {سورة الحج ، الآية: ٦٢} وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ {سورة النجم ، الآية: ٢٣} وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان﴾ {سورة الأعراف، الآية: ٧١} وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ {سورة يوسف، الآيتين: ٣٩-٤٠} ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم { أعبدوا الله ما لكم من إله غيره } ولكن أبى ذلك المشركون ، واتخذوا من دون الله آلهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تجلب نفعاً لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضرراً ، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً ، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه.قال الله تعالى: ﴿ واتخذوا من دونه ءالهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ {سورة الفرقان، الآية: ٣}،وقال تعالى: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ {سورة سبأ، الآيتين: ٢٢-٢٣} .

وقال: ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون * ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ﴾ {سورة الأعراف، الآيتين: ١٩١-١٩٢}.

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه ، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما قال تعالى : ﴿يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ {سورة البقرة ، الآيتين: ٢١-٢٢} وقال ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ {سورة الزخرف ، الآية : ٨٧} وقال : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾ {سورة يونس ، الآيتين: ٣١-٣٢}.

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته :

أي: (ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، قال الله تعالى :﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ {سورة الأعراف، الآية: ١٨٠} وقال: ﴿ وله المثل الأعلى في السماوات

والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ {سورة الروم ، الآية: ٢٧} وقال : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ {سورة الشورى ، الآية: ١١} .

هل كان كفار قريش يقرون بربوبية الله تعالى؟دلل على كلامك؟

ج:نعم كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما قال تعالى : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ {سورة البقرة ، الآيتين: ٢١-٢٢} وقال: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ {سورة الزخرف ، الآية : ٨٧} وقال :﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون * فذلك الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون ﴾{سورة يونس ، الآيتين: ٣١-٣٢}.

-لقد ضل في باب أسماء الله تعالى وصفاته طائفتان اذكرهما؟

ج: هما:المعطلة - والممثلة

-لماذا سمي المعطلة بهذا الاسم؟وبماذا نرد على شبهتهم؟

ج:سمي(المعطلة) بهذا الاسم؛ لأنهم عطلوا الله تعالى عن كل ما يليق به فأنكروا الأسماء ، والصفات ، أو بعضها .

زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه ، أي تشبيه الله تعالى بخلقه ، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول : أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه ، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء ، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله ، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في أسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع ، بصير ، متكلم ، ولا يلزم من ذلك أن

يتماثلا في المعاني الإنسانية ، والسمع والبصر ، والكلام ، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل ، وأعين ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها ، وأعينها متماثلة .

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء ، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

-لماذا سمي المشبهة بهذا الاسم؟ وبماذا نرد على شبهتهم؟

ج:سمي المشبهة بهذا الاسم لأنهم أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص ، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل ببطله العقل، والشرع ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى :(وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم ، لكن حقيقة الإستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه فإن الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الإستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق ، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

-ما هي ثمرات الإيمان بالله تعالى؟

ج:الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفاً ، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

-ماذا تعرف عن الملائكة؟

ج:هم عالم غيبي مخلوقون ، عابدون لله تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿ ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ {سورة الأنبياء، الآيتين: ١٩-٢٠} . وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ﷺ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودا إليه آخر ما عليهم.

-الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور اذكرها؟

ج:والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق. وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل ، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى -مريم-فتمثل لها بشراً سوياً ، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه أحد من الصحابة ، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه ، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام ، والإيمان والإحسان ، والساعة ، وأماراتها ، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ : "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

-اذكر بعض الملائكة مع ذكر أعمالهم؟

ج:مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل: مالك وهو خازن النار.

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه ، بعث الله إليه ملكاً وأمره بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص ، ملكان : أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بسؤال إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

ما هي ثمرات الإيمان بالملائكة؟

ج:والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته ، وسلطانه ، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

كيف نرد على من أنكر أن الملائكة أجسام؟

ج:أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً ، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات ، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ﴾ {سورة الفاطر ، الآية: ١} .

وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ {سورة الأنفال، الآية: ٥٠}.

وقال: ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم﴾ {سورة الأنعام ، الآية: ٩٣}.

وقال:﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ {سورة سبأ، الآية: ٢٣}.

وقال في أهل الجنة :﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ {سورة الرعد، الآيتين: ٢٣-٢٤}.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء، ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض».

وفيه أيضاً عنه قال : قال النبي ﷺ " إذا كان يوم الجمعة على كل باب من أبواب المساجد الملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر".

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية ، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

-ما هي الكتب السماوية؟

ج:هي الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة وهي: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والزبور .

-الإيمان بالكتب السماوية يتضمن أربعة أمور اذكرها؟

ج:والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على مُحَّد ﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزبور الذي أوتيه داود ﷺ وأما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ {سورة المائدة، الآية: ٤٨} أي: (حاكماً عليه) وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

–ما هي ثمرات الإيمان بالكتب؟

ج:الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ {سورة المائدة ، الآية: ٤٨}.

–عرف الرسول؟ ومن هو أول الرسل؟

ج:الرسل : جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحى إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

–الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور اذكرها؟

ج:والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال الله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ {سورة الشعراء، الآية: ١٠٥} فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا مُحَمَّداً ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً ، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: مُحَمَّد وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ونوح عليهم الصلاة والسلام ، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب في قوله: ﴿ ولقد أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ {سورة الأحزاب، الآية: ٧}. وفي سورة الشورى في قوله ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ { سورة الشورى، الآية: ١٣}.

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ {سورة غافر، الآية: ٧٨}.

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم مُحَمَّد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ {سورة النساء، الآية: ٦٥}.

-ما هي ثمرات الإيمان بالرسل؟

ج:للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمه الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنصح لعباده.

-عرف اليوم الآخر؟

ج:اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم.

-الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور اذكرها؟

ج:الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث : وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين ، قال الله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ {سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤}.

والبعث : حق ثابت دل عليه الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين . قال الله تعالى: ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ {سورة المؤمنون، الآيتين: ١٥-١٦}،وقال النبي ﷺ : «يحشر الناس يوم القيامة غرلاً» متفق عليه .

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى :﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ {سورة المؤمنون، الآية: ١١٥} وقال لنبيه صلى الله

عليه وسلم :﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ {سورة القصص، الآية: ٨٥}.

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دل على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى: ﴿ إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم ﴾ {سورة الغاشية، الآيتين : ٢٥-٢٦} وقال: ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ {سورة الأنعام ، الآية: ١٦٠} وقال: ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإنك كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ {سورة الأنبياء ، الآية: ٤٧}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما-أن النبي ﷺ -قال: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين" متفق عليه.

وصح عن النبي ﷺ :«أن من هم بحسنة فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسنا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأن من هم بسيئة ففعلها كتبها الله سيئة واحدة» .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم ، وذرياتهم ، ونسائهم ، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ* فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ {سورة الأعراف، الآيتين: ٦-٧} .

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المال الأبدي للخلق ، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله ، مخلصين لله متبعين لرسوله . فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال الله تعالى :﴿ إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير

البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ﷺ ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ {سورة البينة، الآيتين: ٧-٨}،وقال تعالى :﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ {سورة السجدة ، الآية: ١٧}.

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين ، الذين كفروا به وعصوا رسله ، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى:﴿واتقوا النار التي أعدت للكافرين﴾، وقال :﴿إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ﴾ {سورة الكهف، الآية: ٢٩} وقال تعالى:﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً * خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً * يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ {سورة الأحزاب، الآيات: ٦٤-٦٦}.

-ما الفرق بين فتنة القبر وعذاب القبر؟

ج: (أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي مُحَمَّد ﷺ. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه ، هاه ، لا أدري . ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) وعذاب القبر ونعيمه: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى :﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءايته تستكبرون ﴾ {سورة الأنعام ، الآية: ٢٣}،وقال تعال في آل عمران:﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ {سورة غافر، الآية: ٤٤} .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القربر. قالوا. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال» .

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ {سورة فصلت، الآية: ٤١}،وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ {سورة الواقعة، الآيات: ٨٣-٨٩}.

-ما هي ثمرات الإيمان باليوم الآخر؟

ج:وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

-لقد أنكر الكفار البعث بعد الموت بماذا نرد عليهم؟

ج:هذا الإنكار باطل دل على بطلانه الشرع ، والحس ، والعقل .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى: ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير ﴾ {سورة التغابن، الآية: ٧} وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك وهي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له:﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٥٥} فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل :﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾ {سورة البقرة، الآيتين : ٥٥، ٥٦}.

المثال الثاني في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾{سورة البقرة ، الآيتين: ٧٢-٧٣}.

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٤٣}.

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مئة سنة ، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٥٩}.

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى ؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير ، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ، ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ، ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٦٠}.

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما : أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما ، خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى:﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو

أهون عليه﴾ {سورة الروم، الآية: ٢٧} وقال تعالى :﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ {سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤}. وقال آمرا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ {سورة يس، الآية: ٧٩}.

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها ، قادر على إحياء الموتى . قال الله تعالى:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {سورة فصلت، الآية: ٣٩} وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾{سورة ق، الآيات: ٩-١١}.

-لقد أنكر قوم عذاب القبر ما هي شبهتهم في ذلك؟ وكيف الرد عليها؟

ج:قد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه ، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

وهذا الزعم باطل بالشرع ، والحس ، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.

وفي صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بعض حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما" وذكر الحديث ، وفيه : "أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي –رواية – " من (بوله) وأن الآخر كان يمشي بالنميمة".

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى ، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه ، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى " وفاة " قال الله تعالى: ﴿

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾{سورة الزمر، الآية: ٤٢}.

وأما العقل : فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للمواقع ، وربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا ، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة ؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق ، فجوابه من وجوه منها:

الأولى: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ....وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة ، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿تسبح له السماوات والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾{سورة الإسراء، الآية: ٤٤} وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم

هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ {سورة الأعراف، الآية: ٢٧} وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه.

-عرف القدر؟

القدر بفتح الدال: "تقدير الله تعالى للكائنات ، حسبما سبق علمه ، واقتضته حكمته" .

-الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور اذكرها؟

ج:الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً ، أزلاً وأبداً ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ {سورة الحج، الآية: ١٧٠}.

وفي صحيح مسلم- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة".

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله :﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾{سورة القصص، الآية: ٨٦}، وقال : ﴿ ويفعل الله ما يشاء﴾ {سورة إبراهيم ، الآية: ٢٧} وقال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾ {سورة آل عمران الآية:٦} وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ {سورة النساء ، الآية: ٩٠} وقال: ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١١٢}.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى:﴿ الله خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ {سورة الزمر ، الآية: ١٢} وقال: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ {سورة الفرقان، الآية: ٢}. وقال عن نبي الله إبراهيم صلى

الله عليه وسلم أنه قال لقومه: ﴿والله خلقكم وما تعلمون ﴾ {سورة الصافات، الآية: ٩٦}.

-هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله دلل على ما تقول؟

ج:الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه مئاباً ﴾ {سورة النبأ، الآية: ٣٩} وقال :﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٢٣} وقال في القدرة: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ﴾ {سورة التغابن، الآية: ١٦} وقال: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٨٦}.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع: بإرادته كالمشيء وما يقع بغير إرادته كالإرتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم * وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ {سورة التكوير، الآيتين: ٢٨-٢٩} ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

-ما حكم الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية أو ترك الطاعة وكيف الرد على من أثبت ذلك؟

ج:الإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي ، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه :

الأول: قوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾{سورة الأنعام ، الآية: ١٤٨} ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ {سورة النساء، الآية: ١٦٥}ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل ، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة. فقال رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله ؟ قال: لا. اعملوا فكل ميسر ، ثم قرأ: ﴿ فأما من أعطى وأتقى ﴾ الآية. وفي لفظ لمسلم : «فكل ميسر لما خلق له» فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ {سورة التغابن، الآية: ١٦} وقال: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٨٦} ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان ، أو إكراه فلا إثم أو إكراه ، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله ، وحينئذ تنفى حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر ، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟

وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهى به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر ، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟

مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهي عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء

أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهى الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟

السابع : أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي ، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟

ويذكر أن- أمير المؤمنين – عمر بن الخطاب ﷺ رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

ما هي ثمرات الإيمان بالقدر؟

ج:للإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح ، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ {سورة الحديد، الآيتين : ٢٢-٢٣} و يقول النبي ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" رواه مسلم.

لقد ضل في باب القدر طائفتان اذكرهما؟

ج:هما: الجبرية – والقدرية.

-لماذا سمي الجبرية بهذا الاسم ؟وكيف نرد على شبهتهم؟

ج:سمي الجبرية بذلك لأنهم قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

والرد عليهم بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ {سورة آل عمران، الآية: ١٥٢} وقال: ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ {سورة الكهف، الآية: ٢٩} الآية. وقال: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ومار بك بظلام للعبيد﴾ {سورة فصلت، الآية: ٤٦}.

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل ، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

-لماذا سمي القدرية بهذا الاسم ؟ وكيف نرد على شبهتهم؟

ج:سمي القدرية بذلك لأنهم قالوا: إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه آثر.

والرد عليهم بما يلي:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء ، وكل شيء كائن بمشيئة ، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى :﴿ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من ءامن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٢٥٣} وقال تعالى :﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ {سورة السجدة ، الآية: ١٣}.

وأما العقل : فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

عرف الإحسان؟واذكر أنواعه؟

ج:وهو " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"

والدليل قوله تعالى:﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ {سورة النحل، الآية: ١٢٨}،

كذلك يُعرّف الإحسان بأنه: ضد الإساءة وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذى فيبذل المعروف لعباد الله في ماله ، وجاهه ، وعلمه ، وبدنه.

فأما المال فأن ينفق ويتصدق ويزكى وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة، لأن الزكاة أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات إلى الله عز وجل، ويلي ذلك، ما يجب على الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوته، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلى آخر هذا، ثم الصدقة على المساكين وغيرهم، ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلاً.

وأما بذل المعروف في الجاه فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذوي السلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلى ذي السلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه، أو بجلب خير له.

وأما بعلمه فإن يبذل علمه لعباد الله، تعليماً في الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتى لو كنت في مجلس قهوة، فإن من الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس، ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل على الناس حيث كلما جلست في مجلساً جعلت تعظهم وتتحدث إليهم، لأن النبي ﷺ كان يتخولهم بالموعظة، ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملت كلت وضعفت، وربما تركه الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلى الناس بالبدن فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع عليها متاعه صدقة". فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله على طريق أو ما أشبه ذلك فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلى عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله: فأن تعبد الله كأنك تراه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهذه العبادة أي عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق ، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثاً عليها ، لأنه يطلب هذا الذي يحبه ، فهو يعبده كأنه يراه، فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى، " فإن لم تكن تراه فإنه

يراك"، وهذه عبادة الهرب والخوف ، ولهذا كانت هذه المرتبة ثانية في الإحسان ، إذا لم تكن تعبد الله – عز وجل – كأنك تراه وتطلبه، وتحث النفس للوصول إليه فاعبده كأنه هو الذي يراك، فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه، وهذه الدرجة عند أرباب السلوك أدنى من الدرجة الأولى.

–العبادة مبنية على ركنين اذكرهما؟

ج:العبادة مبنية ركنين هما: غاية الحب ، وغاية الذل ، ففي الحب الطلب ، وفي الذل الخوف والهرب

–معرفة النبي ﷺ تتضمن خمسة أمور اذكرها؟

ج:وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور:

الأمور : معرفته نسباً فهو أشرف الناس نسباً فهو هاشمي قرشي عربي فهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلى آخر ما قاله الشيخ رحمه الله.

الثاني : معرفة سنه ، ومتى ولادته ، وهجرته وقد بينها الشيخ بقوله: "وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وبلده مكة ، وهاجر إلى المدينة" فقد ولد بمكة وبقي فيها ثلاثا وخمسين سنة ، ثم هاجر إلى المدينة فبقي فيها عشر سنين ، ثم توفي فيها في ربيع الأول سنة إحدى عشر بعد الهجرة.

الثالث: معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون سنة كما قال أحد شعرائه:

وأتت عليه أربعون فأشرقت ....شمس النبوة منه في رمضان

الرابع: بماذا كان نبياً ورسولاً ؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ {سورة العلق، الآيات: ١–٥} ، ثم كان رسولاً حين نزل عليه قوله تعالى: ﴿ يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾ {سورة المدثر، الآيات: ١–٧} ، فقام ﷺ فأنذر وقام بأمر الله عز وجل.

الخامس: بماذا أرسل ولماذا؟ فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى النور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

ما الفرق بين النبي والرسول؟

ج:الفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أن النبي هو من أوحي إليه بشرع أو من جاء ليكمل ويبلغ رسالة من قبلة ولم يرسل بشريعة خاصة ، والرسول من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولاً.

بماذا بعث النبي ﷺ؟مع ذكر الدليل؟

ج:فقد أرسل بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأرسل رحمة للعالمين لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى النور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه.

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد . والدليل قوله تعالى:﴿ يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ {سورة المدثر، الآيات: ١-٧} ومعنى ﴿قم فأنذر ﴾ : ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد .﴿ وربك فكبر ﴾ أي : عظمه بالتوحيد،﴿وثيابك فطهر﴾ أي : طهر أعمالك عن الشرك. ﴿والرجز فاهجر﴾ الرجز: الأصنام وهجرها تركها ، والبراءة منها وأهلها.

١١٦-كم مكث الرسول يدعو إلى التوحيد قبل عروجه إلى السماء؟

ج:بقي عشر سنين يدعو إلى توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالى قبل عروجه إلى السماء.

-أين فرضت الصلاة؟ وكم كان عدد ركعاتها عندما فرضت؟

ج:في السماء السابعة عندما عرج إلى ربه جل وعلا، وكان ﷺ يصلي ركعتين ركعتين حتى هاجر إلى المدينة،

فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر.

عرف الهجرة لغة واصطلاحاً؟

ج:الهجرة في اللغة: "مأخوذه من الهجر وهو الترك".

وشرعا: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

-عرف بلد الشرك؟وبلد الإسلام؟

ج:بلد الشرك: هو الذي تقام فيها شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل ، وإنما قلنا على وجه عام شامل ليخرج ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام.

أما بلاد الإسلام: فهي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل.

ما حكم الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؟

ج:واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر فلا يتم إسلامه إذا كان لا يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.[النساء:٩٧-٩٩]

في هذه الآية دليل على أن هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم على الهجرة أن الملائكة تتوفاهم وتوبخهم وتقول لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، أما العاجزون عن الهجرة من المستضعفين فقد عفا الله عنهم لعجزهم عن الهجرة ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقوله تعالى :﴿ يا عبادي الذين ءامنوا إن أرضي واسعة فإياى فاعبدون ﴾ {سورة العنكبوت، الآية:٦٥} قال البغوي - رحمه الله تعالى -: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ؛ ناداهم الله باسم الإيمان.

-هل الهجرة انقطعت أم أنها باقية؟مع الدليل؟ وما وجه قول الرسول: (لا هجرة بعد الفتح)؟

ج:الهجرة ما زالت باقية لم تنقطع دليل ذلك والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها" أخرجه أحمد في مسنده ورجاله ثقات.

-ما حكم السفر إلى بلاد الكفر؟

ج:لا يجوز شرعًا.

-ذكر الشيخ رحمه الله شروطا لجواز السفر إلى بلاد الكفر؟اذكرها

ج:السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك.

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار.

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به.

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلاداً سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها.

الإقامة في بلد الكفر لا تجوز إلا بشروط اذكرها؟

ج:الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقاً، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان – والعياذ بالله – حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين ، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسين:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم، مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباؤهم أو

أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ {سورة المجادلة، الآية: ٢٢} الآية: وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشي أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ {سورة المائدة، الآيتين: ٥١-٥٢} وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن من أحب قوماً فهو منهم، وأن المرء مع من أحب" ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: "من أحب قوماً فهو منهم".

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة ، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين ، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ، قال في المغني ص ٤٥٧ جـ ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إن الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ {سورة النساء الآية: ٩٧}. وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. اهـ.

-الإقامة في بلد الكفر تنقسم إلى أقسام اذكرها؟

ج:تنقسم الإقامة في دار الكفار إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ : "بلغوا عني ولو آية"

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة ، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق ، وفوضوية السلوك ؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم ، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى:﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١٠٨}.

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة ﭫ.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكاً بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو

عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم،

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله". وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما". رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن حازم عن النبي ﷺ قال الترمذي سمعت مُحَمَّداً – يعني البخاري – يقول الصحيح حديث قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم ،مرسل .اهـ. وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم.

المقيم للدراسة في بلد الكفر له شروط خاصة اذكرها؟

ج:من أجل خطر هذا وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث "صغار السن" وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيراً من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم،

وأخلاقه، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل ، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل. وفي الدعاء المأثور "اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علي فأضل".

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق ، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

-أين فرض أصل الزكاة؟ وأين قدرت أنصبتها ومصارفها؟

ج:الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، وذهب بعض أهل العلم إلى أن الزكاة فرضت أولاً في مكة وفي المدينة قدرت الأنصبة وقدر الواجب واستدل هؤلاء بأنه جاءت آيات توجب الزكاة في سورة مكية مثل قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿وءاتوا حقه يوم حصاده ﴾{سورة الأنعام، الآية: ١٤١} ومثل قوله تعالى :﴿ والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم ﴾ {سورة المعارج، الآيتين: ٢٤-٢٥} وعلى كل حال فاستقرار الزكاة وتقدير أنصابها وما يجب فيها وبيان مستحقيها كان في المدينة.

-متى فرض الصيام والحج؟

ج: فأما الصيام فقد فرض في السنة الثانية من الهجرة، وأما الحج فلم يفرض إلا في السنة التاسعة على القول الراجح من أقوال

أهل العلم وذلك حين كانت مكة بلد إسلام بعد فتحها في السنة الثامنة من الهجرة

-عرف الطاغوت؟ واذكر رؤوس الطواغيت؟

ج: الطاغوت: مشتق من الطغيان ، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى: ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية ﴾ {سورة الحاقة، الآية:١١}. يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة.

واصطلاحاً أحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم – رحمه الله – أنه – أي الطاغوت–: "كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع ، أو مطاع" . ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين ، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا – أو اتبعوا – أو اتبعوا – أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت ، وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر ، أو يدعون إلى البدع، أو إلى تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله طواغيت ، والذين يزينون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مخالفة لنظام الدين الإسلامي طواغيت ، لأن هؤلاء تجاوزوا حدهم

والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب.

-الناس مع حكامهم في أمر الطاعة على أحوال اذكرها؟

ج:ولهذا نقول إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال:

الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والعملية.

الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .

الحال الرابعة: أن يقوي الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى .

عرف الغيب واذكر أنواعه؟

ج:الغيب ما غاب عن الإنسان وهو نوعان:

واقع ، ومستقبل ، فغيب الواقع نسبي يكون لشخص معلوماً ولآخر مجهولاً ، وغيب المستقبل حقيقي لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده أو من أطلعه عليه من الرسل فمن ادعى علمه فهو كافر لأنه مكذب لله عز وجل ولرسوله ، قال الله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾ {سورة النمل، الآية: ٦٥}، وإذا كان الله عز وجل يأمر نبيه مُحَمَّد ﷺ ، أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ، فإن من ادعى علم الغيب فقد كذب الله عز وجل ورسوله في هذا الخبر.

ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيب والنبي ﷺ لا يعلم الغيب ؟هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟ فإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال عز وجل عن نفسه : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ {سورة الجن، الآية:٢٦-٢٧}، وهذه آية ثانية تدل على كفر من ادعى علم الغيب ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله :﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك أن أتبع ما يوحي إلى ﴾ {سورة الأنعام، الآية: ٥٠}.

١٣٢-الوصف بالكفر والظلم والفسق في قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)،(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)،(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)هل تنطبق على موصوف واحد أم تنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على الحكم بغير ما أنزل الله؟

ج: هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ وهذا هو الأقرب والله أعلم.